أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Wa'i Al-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٧٦) ذو القعدة ١٤٣٤هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٣م

الكويت تودع
سفير العمل الخيري
د.عبد الرحمن السميط

تلمسان..
جوهرة المغرب العربي

- مسؤولية المجرم النائم
- بين الثقافة والتعليم
- الحرية والحريات الأساسية
- الوثبات العاتية في الإعلام المعربد

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

أماكن توزيع مجلة الوعي الإسلامي في العالم

الكويت - المسجد الكبير - بدالة : ١٨٤٤٠٤٤ - هاتف : ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ (٩٦٥+) - فاكس : ٢٢٤٧٣٧٠٩ (٩٦٥+)

Website: www.alwaei.gov.kw - E-mail: info@alwaei.com

الافتتاحية

الأزمان متفاضلة

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

لقد خاب وخسر من ذهب زمانه باطلًا، وترك عمره من حلى الطاعة عاطلًا، فالسعيد من تدبر أمره وأخذ حذره، وانتهز الفرصة مادام في الآجال فسحة، فإن الأزمان متفاضلة، فاغتنمها بالأعمال الفاضلة، أيام أقسم الله بلياليها، تضاعفت فيها الحسنات، وليال تجاب فيها الدعوات، وتترادف فيها الخيرات، وتهبط فيها الرحمات، ويعم فيها الإحسان والفضل على قاصدي البيت الحرام، فطوبى لحجاج بيت الله العتيق، لقد تم لهم الإسعاد والتوفيق، فقد جاءوا من كل فج عميق.

فالحج آخر ما فُرض، لأنه يجمع من العمل والمال، فجعل فرضه بعد استقرار فروض الأبدان وفروض الأموال، فكان في إيجابه تذكير بيوم الحشر، في مفارقة المال والأهل، وخضوع العزيز والفقير، في الوقوف بين يديه سبحانه وتعالى.

فرض الله على المسلمين حج بيته الحرام، وجعله ركنًا من أركان الإسلام، فرضه لحكمة سامية، وغاية نبيلة، فيه تتضح المساواة الإنسانية في أبهى صورها وأجلى معانيها، وعلى من زاره أن يتخلق بالأخلاق الكريمة، ويتحلى بالفضيلة، ويجتنب العادات السيئة والرذيلة، وحسب المؤمن أن يستشعر أنه في ضيافة ربه، ويعيش في رحابه، ويلوذ بجنابه، فما أروع هذا البيت وأعظمه في تجميع الأمم والشعوب تحت راية واحدة! فهو رمز لتوحيد الألوهية، كما أنه رمز لاتحاد الأمة الإسلامية.

ولهذا البيت من المفاخر والمآثر، والآيات والمناظر ما يزيده في القلوب رفعة وتكريمًا، ومهابة وإجلالًا لله وتعظيمًا، فهو بيت مَن دخله كان آمنًا، ومن أراده بسوء أو هم فيه بإلحاد بظلم قصمه الله ورد كيده في نحره، لأنه حِمى الله وبيته.

وفي هذا الموقف العظيم بلغ النبي الكريم ﷺ في الخطبة الجامعة التي ألقاها في حجة الوداع أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وأنهم لا يتفاضلون إلا بمقدار ما عملوا من الأعمال الصالحة.. ما أروعها من كلمات يخاطب بها الأجيال والتاريخ، بعد أن أدى الأمانة ونصح الأمة وهو يلمح بالرحيل، يلخص المبادئ التي من أجلها جاهد! وهي كلمات جامعة وبنود معدودة: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، فدماء الجاهلية وربا الجاهلية موضوع. وأوصى بالنساء خيرًا، وأكد القضاء على الظلم للمرأة الذي كان يمارس عليها في الجاهلية، وشدد على ضمان حقوقها وكرامتها، وأرشد الأمة عند الاختلاف إلى الرجوع للمصدرين الأساسيين: الكتاب والسنة، وبيّن العلاقة بين الحاكم والمحكوم. وختم الخطبة بمسؤولية تبليغ الدعوة، وبأن النعمة تمت والدين كمل والرسالة ختمت، وأن على المسلمين حمل نور الإسلام إلى الناس، ودعوتهم إلى هداه والتحصن به لمواجهة الأعداء والمبادئ الهدامة.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٧٩ | ذو القعدة ١٤٣٤ هـ
العام الخمسون
سبتمبر – أكتوبر ٢٠١٣ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
يحيى بوم

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ
الكويت – هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد

«تلمسان» لؤلؤة المغرب العربي، ودرة المدن الجزائرية التي تزهو بكثرة ما فيها من مبانٍ فنية رائعة خالدة، وبماضٍ فكري وثقافي وسياسي تليد

٨

مظالم الأخوة في الله.. حلول وبدائل

٤٨

الإعجاز البياني للقرآن الكريم

٥٢

اللغة والإنسان

٦٤

الأسرة المسلمة.. الحل العملي للعنف الأسري

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦– ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	الافتتاحية: الأزمان متفاضلة	فيصل يوسف العلي
٦	خواطر: عقد منيعة.. وحلول بديعة!	هنادي نجيب
٨	دعوة: مظالم الأخوة في الله.. حلول وبدائل	سميرة بيطام
١٠	حوار: أستاذ الفلسفة الإسلامية د.حامد طاهر	محمد حبيب
١٢	تحقيق: الصحافة الإسلامية.. هل هي دون المستوى؟	شريف أبوالوفا
١٤	إعلام: الوثبات العاتية في الإعلام المعربد	حسين وهدان
١٧	تنمية: التنمية المستدامة	هواري عبدالقادر
١٨	ثقافة: بين الثقافة والتعليم	محمود كحيلة
٢٢	أخلاق: القوة الكامنة	بلال الريسي
٢٦	ملف العدد: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾	عثمان إسماعيل
٢٨	ملف العدد: أيها الحاج: هل لك بعد وقفة عرفات من وقفة؟	د.ماهر عباس
٣٠	ملف العدد: النيابة عن الميت في الحج الواجب	رشيد الحسن
٣٦	دراسات: واقع أطفالنا في العالم العربي اليوم	د.آندي حجازي
٤٠	دراسات: مسؤولية المجرم النائم	د. رضا عبدالحكيم
٤٤	دراسات: تغيير المنكر.. قراءة في المنهجية والمآلات	د. محمد سعيد باه
٤٨	دراسات: الإعجاز البياني للقرآن الكريم	د. جمال الدين الفاروقي
٥٢	لغة وأدب: اللغة والإنسان	عبدالقادر رالة
٥٤	لغة وأدب: اللغة العربية في خطر	عبدالله أيت الأعشير
٥٦	لغة وأدب: تاريخ الإعراب للأحاديث النبوية الشريفة	د. فخرالدين قباوة
٦٠	لغة وأدب: الهدية	مياسة النخلاني
٦٣	لغة وأدب: وهبت الرياح	أحمد عطية
٦٤	أسرة: الأسرة المسلمة.. الحل العملي للعنف الأسري	د. حميد مسرار
٦٨	أسرة: الصورة النمطية للمرأة في الإعلام العربي	بشرى شاكر
٧٠	أسرة: ارتفاع معدلات الطلاق يفتت النسيج الاجتماعي	نشوة صالح
٧٢	علوم: الرجال مسؤولون عن رقي الجنس البشري	د. البشير الجطلاوي
٧٥	إدارة: إدارة الكلفة	د. سلطان السهو
٧٦	تاريخ: التاريخ عند المسلمين	د. أحمد الشال
٨٠	حوار: رئيس مجلس الشورى الإسلامي في سويسرا	علاء عبدالفتاح
٨٣	منارات: تلمسان.. جوهرة المغرب العربي	محمد عبدالعزيز
٨٦	طب: الطب الإسلامي في مرآة التاريخ والاستقصاءات	د. محمد القاسمي
٨٨	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش
٩٠	الوعي نت	خالد محمد
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر
٩٨	مسك الختام: الحرية.. والحريات الأساسية	أحمد مبارك سالم

كلمة العدد

القيم والمصالح

اعتنى الإسلام عناية خاصة بمنظومة القيم والمبادئ الإنسانية، وسعى إلى إبرازها وتوجيهها نحو التكامل، والعمل على الالتزام بها قولًا وعملًا.

وجاء الاهتمام بالقيم رعاية للمسلمين، وهداية لهم، وإنقاذًا لأنفسهم من الوقوع والسقوط في طرق الأخلاق الذميمة، لتحيا بها الشعوب، وتقوم عليها سعادة المجتمعات.

إن الالتزام بالقيم يساعد في بناء الشخصية المتزنة، وتقوية الإرادة، وتهذيب النفس، بالإضافة إلى حفظ الأمن، والوقاية من شرور المجتمع، لأن تأثيرها أعظم من تأثير القوانين.

والمجتمع المسلم لا يقوم بدوره على أكمل وجه إلا بعدما تحتل فيه القيَم منزلتها الرفيعة، متمثلة في سلوك الفرد والمجتمع والأمّة.

ولعل الشواهد التاريخية تؤكد أن أصحاب القيَم يؤدون أعمالهم بفعالية وإتقان، ويحققون نتائج باهرة في مسيرة حياتهم، حتى بات الكثير منهم أصحاب منزلة رفيعة، ومكانة مرموقة.

ومن الضروري ألا تتبدل القيم بتبدل المصالح والأهواء، كما هو معمول به في المجتمعات المادية، وإنما يجب أن تظل راسخة في قلوب المسلمين، ثابتة في نفوسهم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾.

إن الأمة اليوم في أمسّ الحاجة للالتزام بقيم الأمانة، والصدق، والمساواة، والعدل، والشجاعة، وإتقان العمل، والإنصاف، والشعور بالمسؤولية، وحب الخير، وجهاد النفس والهوى.

لقد انتشرت الدعوة الإسلامية بالقيم، بعدما تغلغلت في النفوس، وشملت جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، حتى أصبحت منظومةً متكاملة، لا يمكن تجزئتها.

التحرير

الاشتراكات
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

عقد منيعة.. وحلول بديعة!

هنادي الشيخ نجيب
كاتبة لبنانية

أعتقد أن أكثر من في الأرض معترفون بأن أوضاعنا معقدة جدًا.. لكن هل هذا الاعتراف يهدم الاقتراف؟! وهل يفيد الإقرار مع الإصرار؟!

بعض المتفائلين- ثبتهم الله- يتوقعون فائدة الاعتراف، إذا كان سيحقق فضيلة الوعي بما يدور حولنا، ويبعدنا عن السذاجة في تفسير الأحداث، ولاحتمال أنه سيدفعنا للتفكير بطريقة تعيننا على قهر التعقيد، و«حلحلة» المسائل المرعبة، وسيساعدنا في تفكيك المعادلات الصعبة.

وهنا نسأل سؤالًا: وهل يعني إذا كان الوضع معقدًا، أن يكون الحل معقدًا أيضًا؟ أم أن هناك احتمالًا أن يكون بسيطًا أو حتى في غاية البساطة؟

إن خبراء تفكيك الواقع يركزون أولًا على ما يسمى (عقدة الموقف) أو (عقدة الصراع)، وهذا التحديد يسهل الإجابة عن السؤال التالي: ما هي العقدة التي إذا تم حلها فستحل بقية العقد؟

وحتى نقرب الفكرة، سنزور قرية صغيرة من قرى الهند، لنعرف كيف يمكن أن يكون لعقدة منيعة حلول بديعة!

ففي تلك القرية، كان يعيش مزارع بسيط مع ابنته الشابة الوحيدة، التي توفيت والدتها وهي طفلة رضيعة.

استدان المزارع مبلغًا كبيرًا من المال ليحسن زراعته، وكان المدين تاجرًا عجوزًا طماعًا، لا يوفر فرصة في الضغط على المزارع ليطالبه بسداد دينه، برغم معرفته بظروف المزارع الصعبة!

لكن ذلك التاجر كان معجبًا بابنة المزارع الجميلة، ففكر أن يقدم لوالدها عرض مقايضة؛ حيث اقترح عليه أن يسامحه بالدين، إذا رضي أن يزوجه ابنته الفاتنة!

فزع الوالد من هذا العرض الخبيث، فاستدرك التاجر الماكر بأنه سيدع الفلاح وابنته ليحكم القدر في أمرهما؛ وأطلعهما على خطته «المنصفة»، والتي تقضي بإحضار كيس سميك ووضع حصتين داخله: واحدة سوداء، والثانية بيضاء، وعلى الفتاة أن تغمض عينيها، وتمد يدها لتلتقط إحدى الحصاتين، فإن التقطت الحصاة السوداء تصبح زوجته ويتنازل عن دين أبيها، وإذا كانت الحصاة البيضاء من نصيبها فلن يتزوجها التاجر، ولكن سيتنازل عن دين أبيها، أما إذا رفضت أن تلتقط أي حصاة فسيسجن والدها...

وقف أهل القرية على ممر مفروش بالحصى، فانحنى التاجر ليلتقط حصاتين ويدسهما داخل كيس أسود في يده، لكن الفتاة انتبهت بأنه وضع في الكيس حصاتين سوداوين... تقدم التاجر نحو الفتاة وطلب منها أن تختار قدرها... ماذا عليها أن تفعل الآن؟! أترفض اختيار حصاة فيسجن والدها؟ أم تكشف حقيقة ذلك الرجل المخادع فينتقم من أبيها؟! أم تراها يجب أن تستسلم لقدرها وتضحي بنفسها لتنقذ من أفنى حياته لأجلها؟!

لاشك أن تلك المسكينة، تمر في وضع عقدته متينة! لكنها لم تكن لترضى بنهاية حزينة، ولم تفكر بنمطية وروتينية، بل استجمعت قواها النفسية والفكرية، وأدخلت يدها في الكيس، وسحبت منه حصاة، وقبل أن يرى الجميع لونها، أوقعت نفسها على ممر الحصى، وأسقطت الحصاة من يدها، ثم وقفت وقالت معتذرة: (يا لي من حمقاء، لقد تعثرت، لكن لا بأس، نستطيع أن ننظر داخل الكيس لمعرفة لون الحصاة التي وقعت من يدي).. وبما أن الحصاة الموجودة في الكيس سوداء، فقد استنتج أهل القرية بأن الفتاة كانت قد سحبت الحصاة البيضاء...

ذهل التاجر من صنيع الفتاة، ولم يجرؤ على فضح الأمر، وبذلك تكون الصبية قد نجت مع أبيها من وضع معقد جدًا، وبطريقة بسيطة جدًا جدًا.

نعم- قراءنا الكرام- فكم من أوضاع صعبة فككتها أدوات بسيطة، لأن التحدي الكبير ليس في إيجاد حلول متطورة لمشاكل معقدة، بل التحدي في إيجاد العقل الثائر على الواقع، المتمرد على الهزيمة، الرافض للانبطاح والاستسلام، المستشعر عظم المسؤولية مع عظم القدرة..

إنه لم يعد ينفعنا القفز في أماكننا استنكارًا لظروفنا واعتراضًا على ما يجري حولنا، وبحجة أننا لا نستطيع إجبار واقعنا على الاستجابة لرغباتنا... إن الحل أبسط مما نصور؛ نعم، الحل يتجسد في القاعدة التالية: (أصلح نفسك، وادع الآخرين)، فإن الله تعالى قد ضمن لنا النجاة: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى) وبشرط واحد: (وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)... رؤية سهلة لا عقد فيها؛ فالمطلوب، وبكل وضوح، تكوين المسلم «الصالح المصلح»... ولم لا؛ فإن المسلم اليوم لم يفقد المال، ولا العلم، ولا القدرات، بل يحتاج فقط إلى استعادة قلبه الحي النابض المشرق الحنون، الذي يتحرق على خسارة الروح وضياع الضمير، أكثر مما يفكر بخسارة الاستيراد والتصدير!!!

تلك إذن تجارة لن تبور، مع العزيز الغفور، لنصلح ما أفسدت أيدينا.

مظالم الأخوة في الله.. حلول وبدائل

سميرة بيطام
كاتبة صحافية

نصوص القرآن الكريم مليئة بالعبر المتضمنة لتبجيل علاقة الأخوة في الله، الصادقة صدق النوايا والعزم، ففي سورة الأنفال وصف لألفة القلوب بإذن من الله دونما سعي أو تخطيط أو تحفيز، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٣).

ففي هذه الآية الكريمة تفصيل جميل لقدسية المحبة في الله، في أنه تعالى هو من يؤلف ويؤاخي بين عباده، لأنها عزته وحكمته عز وجل، فلو كان للبشر منطق حسي ذواق لنعمة الله لما قصر في حقوق الأخوة والمحبة في الله.

إذ نجد في سيرة الصحابة أنه بقدر ما ترتفع مقامات هذه العلاقة المبنية لوجه الله تعالى، فتتخذ لها من تقوى الإيمان ركيزة متينة للوصول بهذه الرابطة إلى ما يحبه الله ويرضاه، فتصبح بذلك نموذجًا يقتدى به لغير العارفين بأبجديات هذه الصلة، لأنها فن ورقي أخلاق وإيثار من طرف للطرف الآخر.. هذا هو الجمال بأحقيته على ضوء الإخلاص، فالمبدأ هو الله، والغاية هي كذلك الله، إلا أنه تنشب عن هذه العلاقة مظالم بسبب أو مسببات.

إذن، في الوقت الذي من المفروض فيه السمو بالكبرياء لله عز وجل، إلا أنه تفتح أبواب الشيطان على مصراعيها لنعطي له بأنفسنا فرصة لينفث سم التفرقة بيننا، فيتغلغل القلق والتوتر في مجاري دمائنا في أقدس وأمتن علاقة، ويتحول بذلك الحب إلى كراهية، ليكون البادئ أظلم لأحد الطرفين على اختلاف أساليب الشتات، لتكون القطيعة سيفًا حادا يقطع حبال المتانة بعد أن شدت بأوثق عرى الإيمان بسواعد التقوى النقية الطاهرة.

وبالموازاة نجد في سورة الزخرف قوله تعالى: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)، فهنا شرط الأخوة الحقيقية هو التقوى، فإن لم يحافظ المحبون في الله على هذا الشرط الأساسي حتمًا سيتسلل الضعف والشك، وبالتالي تنمو في القلوب أمراض نفسية لم تكن موجودة في بداية العلاقة، مثل الحسد والغيرة، وقد يصل الأمر إلى محاولة الانتقام، لإفشال أي مشروع في التفوق، سواء في مجال العمل أو الدراسة أو الزواج.

وإذا حافظ المحبون على شرط التقوى يأتيهم وعد الله بالأجر العظيم، وهو الجنة، وقد ورد ذلك في نصوص عديدة من القرآن

الكريم منها: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢- ٧٣)، إذن لماذا لا نستخلص الحلول لأنفسنا وبأنفسنا من الشريعة السمحاء في حالة نشوب نزاع أو خلاف بين أختين تحابتا في الله أو بين أخوين تحابا في الله، وهذا باتباع الخطوات التالية:

● عند اللقاء وجهًا لوجه تستحب المصارحة، وطرح الإشكالات القائمة بروح أخوية، وليست عدائية، حتى يعم الهدوء والتفاهم جلسة الحوار، والابتعادُ قدر المستطاع عن الغوغائية، وتكرار عناصر المشكلة والخلاف حتى لا يتسرب الملل واليأس إلى قلوب المتحاورين، لأنه عامل فشل، وليس عامل توفيق ونجاح لبلوغ المراد من اللقاء.

● عند اللقاء، يجب البحث عن الحلول بطريقة سلسة وبسيطة ترضي الطرفين بعيدًا عن لغة التعالي والتكبر والإعجاب بالنفس، لأن هذا من مداخل الشيطان، والعياذ بالله، وهنا تزداد الأضغان والأحقاد.

● في حالة عدم التفاهم في اللقاء الأول، يستحب الانصراف واللجوء إلى أسلوب آخر لتلطيف الأجواء، مثل فكرة إهداء هدية، فهذا من شأنه إذابة جليد الكراهية والتعصب بالرأي.

● محاولة تهدئة مواضع الخلاف في المشكلة باختيار أسلوب الوعظ وإسداء النصيحة، ولتكن الحجة القائمة عند عدم التفاهم هي آية قرآنية أو حديث نبوي شريف.

● في حالة عدم الوصول إلى حل نهائي للخلاف أو إلى نتيجة، من الأحسن اللجوء إلى طرف ثالث، كأن يكون صديقًا مقربًا للطرفين المتخاصمين لإجراء الصلح، ومن الأحسن أن يكون صلحًا شفافًا قائمًا على ركيزة الوفاء والوضوح، وليس مجرد وعود كاذبة، ثم العودة من جديد إلى بؤرة الخلاف.

إن البدائل لحل المظالم الناشئة في علاقة الأخوة في الله كثيرة ومفيدة، منها الهجر الجميل، ولكن ليس بطويل المدى حتى لا تصاب المشاعر بالفتور وتقسو القلوب، بالعكس يكون على فترات قصيرة ليحن كلا الطرفين لبعضهما البعض، خاصة إن كانت فيه جوانب إحسان كثيرة، فبهذا الإحسان يمكن تجاوز أزمة الخلاف باقتدار، ثم الإحسان له تأثير في القلوب مصداقا لقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤- ٣٥)، فالصبر على المكاره فيه مصابرة ومجاهدة للنفس وهو ليس بالأمر الهين.

إذن، فلنبادر بالعفو والصفح الجميل لنصنع أجرنا بأيدينا، ونكبل محاولات الشيطان وحزبه للإيقاع بنا في فخ القطيعة المحرمة شرعًا، وسنجد حتمًا ثمرة جهادنا في جنات النعيم، وما الدنيا إلا ساعة، فلتكن طاعة الله قاموسًا نستلهم منه أدبيات الحياة بفنون العيش الكريم تحت ظلال القرآن والسنة النبوية.

الكويت تودع سفير العمل الخيري

د. عبدالرحمن السميط

ودعت دولة الكويت يوم ١٥ أغسطس الماضي رمزًا من رموز الخير في العالم الإسلامي، وعلمًا بارزًا من أعلامها، عُرف بحبه الشديد للعمل الخيري في القارة السمراء (أفريقيا)، إنه الدكتور عبدالرحمن بن حمود السميط مؤسس جمعية العون المباشر – لجنة مسلمي أفريقيا سابقًا – ورئيس مجلس إدارتها، ورئيس مجلس البحوث والدراسات الإسلامية، الحاصل على وسام الكويت ذي الوشاح من الدرجة الأولى من صاحب السمو أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، والحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ، تقديرًا لجهوده الدعوية في أفريقيا حيث قضى أكثر من ٢٩ سنة ينشر الإسلام في أفريقيا وقد أسلم على يديه نحو ١١ مليون شخص، وكانت سلسلة رحلاته في أدغال أفريقيا محفوفة بالمخاطر لكنه بذلها ليحمل السلام والغوث لأفريقيا، بيد فيها رغيف ويد فيها مصباح نور وكتاب.

ولد الدكتور السميط في الكويت عام ١٩٤٧م، وقبل أن يصبح ناشطًا في العمل الخيري، كان طبيبا متخصصًا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي. تخرج من جامعة بغداد بعد أن حصل على بكالوريوس الطب والجراحة، ثم حصل على دبلوم أمراض المناطق الحارة من جامعة ليفربول، ثم استكمل دراساته العليا في جامعة ماكجل الكندية متخصصًا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي.

أستاذ الفلسفة الإسلامية د.حامد طاهر: نعيش الآن مرحلة آفة المسلمين في فرقتهم وعدم توحدهم حـ

قال أستاذ الفلسفة الإسلامية والعميد الأسبق لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة د.حامد طاهر إنه يشعر بمرارة عميقة؛ لتراجع مكانة المسلمين بين الأمم وعددهم يزيد حاليًا على ١,٣ مليار نسمة حول العالم، بينما سادوا الأمم، وهم قلة.. كما عبر عن حزنه، لتدني مستوى التعاون بين الدول الإسلامية، وأوضح في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الجاليات المسلمة التي تعيش في الغرب تعاني من ضغوط نفسية واجتماعية، ومن قوانين عنصرية تحد من نشاطها وحريتها.. مزيد من التفاصيل عبر الصفحات التالية.

محمد حبيب - القاهرة دار الإعلام العربية

عُرف عنك د.حامد اهتمامك الدائم بأحوال المسلمين في العالم.. فكيف ترى التحديات التي تواجههم؟ وسبل تخطيها؟

هذا السؤال يُجدد الإحساس لديَّ بالمرارة التي تنتابني حين أفكر بعمق فيما وصل إليه المسلمون من تراجع، بعد أن كانوا سادة العالم، وعلى الرغم من تزايدهم المستمر، حيث تعدى عددهم أكثر من ١,٣ مليار نسمة حول العالم، فإن واقعنا أصبح كـ«غثاء السيل»، الذي أخبر عنه النبي ﷺ في حديثه «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت».

المسلمون اليوم دخلوا في إطار لا يتفق مع صحيح العقيدة التي تدفع الإنسان إلى أن ينطلق من أخلاقه وتعاملاته نحو أفق جديد، يصنع تفوقًا في العلوم والتكنولوجيا ومواكبة التطورات الحديثة، والعمل على أن تكون له الغلبة الحقيقية في قيادة العالم بقوته وعلمه، ولعلنا نشاهد أن معظم الدول الإسلامية مازال الفرد يعتمد عمله فيها على جهده العضلي، واستخدام الحيوانات في عمل الحقول وجر العربات، إلى جانب قيام التعليم فيها على الكم دون الكيف، وإهمال البحث العلمي، وغياب المبادرات والابتكارات الفردية، وأخيرًا سوء الإدارة، أو حركتها بإيقاع بطيء للغاية. فإذا استعرضنا مدى التعاون بين الدول الإسلامية في العالم المعاصر وجدناه في أدنى المستويات، بل إن الغالب عليها هو الخصام الذي يصل إلى حد القطيعة، والتي تنعكس بالتالي على التواصل الاجتماعي والثقافة، وتلك هي آفة المسلمين في فرقتهم، وعدم توحدهم حول أهداف تنموية مشتركة.

ترى ما أهم الأسباب الداعمة لتمزيق العالم العربي والإسلامي إلى هذا الحد؟

النزاعات المتكررة بين الدول كفيلة بتمزيق كل أنواع الروابط بينها، وتختلف هذه النزاعات بين الدول الإسلامية والعربية، وتتنوع أسبابها ومظاهرها إلى حد كبير.. فبعضها نزاع على الحدود، وبعضها نزاع مذهبي، وبعضها سياسي – أيديولوجي، وبعضها عرقي، وبعضها بسبب تفاوت الثروة المفرطة والفقر الطاحن، والتبعية للغرب والاتجاه إلى استغلال القرارات، ثم الحسد والغيرة. وما أضرم النيران في عمق هذه العلاقات ما بدأ يحدث منذ سبعينيات القرن العشرين من حركات تطرف، ما لبثت أن تحولت إلى الدول الغربية، وهذا ما جعلها تصبح ظاهرة إرهاب عالمية، حصرها الغرب في المسلمين خاصة، وبسببها تم احتلال بلدين إسلاميين هما: العراق وأفغانستان، كما استمرت دون حسم مأساة فلسطين.

وبالنسبة للجاليات المسلمة التي تعيش في الغرب، فقد أصبحت تعاني من ضغوط نفسية واجتماعية، بالإضافة إلى قوانين عنصرية تحد من نشاطها وحريتها، بل إن بعض الأحزاب السياسية- في أوروبا

ـــــلة «غثاء السيل»

ـــــول أهداف تنموية مشتركة

بالذات- راحت تدعو صراحة إلى طرد المسلمين الموجودين بها.

وكيف يتصدى المسلمون للتحديات التي تواجههم؟

على المسلمين أن ينتبهوا أنهم داخل منظومة كونية لا يعيشون فيها وحدهم، فلابد من التأقلم مع متغيراتها وتطوراتها، ولن يتأتّى ذلك إلا بالفهم الصحيح والمنضبط، بل والمتكامل لتعاليم الدين، التي لا تغفل الجانب المادي من الحياة المتمثل في السعي الدؤوب نحو النهضة، كما لا نتهاون في ضرورة إيجاد آليات للتعامل مع الموقف الغربي المعادي للإسلام، وكيفية التعامل مع الحضارة الحديثة؛ حتى نتمكن من إعلاء رايتنا بعد انتكاسها، بسبب ما ورثناه لأنفسنا من فهم ضيِّق لحدود الشرع، أودت بنا إلى ما نحن فيه.

وعلينا الاندماج الذكي بكل ما تحمله الكلمة من معنى ومغزى مع النظام الكوني العالمي وتشابكاته وتعقيداته، بما يتواءم مع تغيراته، حتى لا نقف مكتوفي الأيدي أمام حاجتنا للغذاء والدواء، ولابد للجميع أن ينتبهوا إلى أن القوة لا تأتي إلا من خلال الوحدة، والاستقلال لا يأتي إلا بالاكتفاء الذاتي.

بوصفك من رموز الفلسفة الإسلامية.. إلى أي مدى ترى أهمية هذه الفلسفة في فهمنا لتطورات الواقع مع الإبقاء على ثوابت الشرع؟

الفلسفة الإسلامية لا يمكن أن تتناقض مطلقًا مع ثوابت الشرع والعقيدة، بل هي داعمة لها، وتجعل الإنسان مفكرًا متأملًا في خلق الله وحكمته وملكوته، والله تعالى قد أمرنا بالتفكر والتعقل في مواضع كثيرة من النص القرآني، بل إن الفلسفة الإسلامية هي المعبر الواسع الممتد للربط بين العقل والوحي.. العقل المتدبر، والإيمان بالروح والأخلاق والقيم المعنوية، فقد وهبنا الله هذا وتلك، ولا يمكن أن تتعارض أو تتناقض نعمتان أمدنا الله بهما، حتى ولو لم تكن تسميتها منتسبة للإسلام، فهي تدعونا بشتى الطرق أن نؤمن بوجود خالق مدبِّر للأمر، تجب طاعته وعبادته والإيمان برسله وملائكته وكتبه، ولو أنها فعلت غير ذلك لقلنا إنها حرام، ولا تتماشى مع صحيح العقيدة التي أمرنا الله بالإيمان بها.

إضاءة

د.حامد طاهر حسنين فؤاد.

ولد عام ١٩٤٣ في حي الخليفة بالقاهرة.. والتحق بالمعهد الأزهري بالقاهرة، وحصل منه على الثانوية عام ١٩٦٣، ثم حصل على ليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية بمرتبة الشرف من كلية دار العلوم- جامعة القاهرة ١٩٦٧، وماجستير الفلسفة من الكلية نفسها ١٩٧٣، ودكتوراه الدولة في الفلسفة بمرتبة الشرف الأولى من جامعة السوربون١٩٨١.

تدرج في وظائف التدريس بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة بدءًا من معيد وانتهاء بأستاذ، وقد تولى رئاسة قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم منذ عام ١٩٩١، وتولى عمادة الكلية بين عامي ١٩٩٥-١٩٩٩م.

من دواوينه الشعرية: ديوان حامد طاهر١٩٨٥- قصائد عصرية ١٩٨٩- ديوان النباحي (ديوان متخيل من الشعر العربي القديم) ١٩٩١- عاشق القاهرة ١٩٩٢.

وله العديد من المؤلفات في الفلسفة الإسلامية مثل: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي.

تساؤل أجاب عنه أساتذة الإعلام..

الصحافة الإسلامية.. هل هي دون المستوى؟!

شريف أبوالوفا
القاهرة – دار الإعلام العربية

تلعب الصحافة الإسلامية دورًا مهمّا باعتبارها أحد المنابر المؤثرة في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومع تعدد الأسماء في عالم الصحافة الإسلامية بين جرائد ومجلات أسبوعية أو شهرية وقليل منها يومي، فإنها تعتبر «رمانة الميزان» التي تعيد إلى الفرد صلته بربه في مواجهة كثير من الممارسات الصحفية التي تهدم ولا تبني.. وعلى الرغم من أهمية دور الصحافة الإسلامية فإن كثيرين يأخذون عليها بعض السلبيات وأوجه القصور. فهل هي حقًّا دون المستوى؟

«الوعي الإسلامي» طرحت السؤال على عدد من أساتذة الإعلام وجاءتكم بالإجابة بالتفصيل.

«بالفعل هي دون المستوى بالمفهوم المهني».. بهذه الكلمات بدأ عميد كلية الإعلام جامعة الأزهر د.عبدالصبور فاضل، وأرجع ذلك إلى أسباب واعتبارات متعددة، منها ضعف الإمكانات التكنولوجية والمادية، لاسيّما أن الجهات التي تصدر عنها الصحف والمجلات الإسلامية لم تصبح بعد في شكل مؤسسات اقتصادية، وأيضًا لحداثة تجربتها نسبيًّا، فحتى الآن لا تكاد توجد مؤسسة في مجال الصحافة الإسلامية بشكل دوري يومي، ويغلب عليها الإصدار الأسبوعي أو الشهري وربما الفصلي، أيضًا من أسباب القصور في الصحافة الإسلامية عدم توفر الهياكل البشرية الخاصة بها، إنما تعتمد على إنتاج صحفيين من مجالات متعددة.

ويرى د.فاضل أن هناك مؤسسات يجب أن يكون لها دور فاعل وداعم لهذه النوعية من الصحافة، ويأتي في مقدمتها المنظمات الدولية الإسلامية، مثل الأزهر الشريف الذي يصدر صحيفة أسبوعية ومجلة شهرية، وكذا رابطة العالم الإسلامي، ومن المهم أيضًا أن تتبنى الشركات والمؤسسات المختلفة دعم المنابر الصحفية الإسلامية؛ لإعطائها قوة دفع تساعدها في الوصول إلى المستوى المنشود مقارنة بالصحافة الاجتماعية والسياسية.

ضغوط

أما مدرس الإعلام والصحافة بجامعة الأزهر، د.محمد بسيوني جبريل فيقول: نحن نظلم الصحافة الإسلامية حين ننظر إليها خارج السياق، فهي في نهاية المطاف أبنية شرعية للواقع، فإذا افترضنا

الدعم المادي والكوادر الصحفية والإخراج الفني.. أبرز نقاط الضعف

أنها وعاء للفكر الإسلامي فإن نضج الفكر نفسه سيؤدي حتمًا إلى نضج الصحافة، فهي تعبير عن واقع الفكر الإسلامي في هذه المجتمعات، وليس خفيًّا أن الفكر الإسلامي- خاصة في مجتمعاتنا العربية- يتعرّض للتهميش؛ نتيجة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية أدت إلى أن ينحصر الإسلام في الشعائر والعبادات، ويبتعد عن الحياة بمفهومها الواسع، وجاءت عملية تجزيء العقل الإسلامي لتضع إشكالية أخرى أمام الصحافة الإسلامية، فالذي يدرس الدين لا صله له بعلوم الحياة السياسية والاقتصادية، والذي يدرس النظريات السياسية والاقتصادية بضاعته في الدين مزجاة.. كل هذه الاعتبارات أدّت إلى أن يتحول الدين إلى طقوس، ويتحول إسهامه في الحياة السياسية والاقتصادية إلى شعارات براقة لا تحمل مغزًى ولا مضمونًا.

ويحدد بسيوني عددًا من الضغوط تعاني منها الصحافة الإسلامية، تكمن في تهميشها وعدم وصولها إلى المستوى المنوط بها، إضافة إلى الضغوط السياسية، وكذا ضغوط أخرى تتعلق بالتمويل، وظاهرة رفض الإعلان بحجة أنه لا يتناسب مع توجه الصحيفة وموضوعاتها وسياستها التحريرية، وبجانب هذا وذاك تأتي مشكلة غياب المهنية عند أغلب

القائمين على الصحف الإسلامية، فلم يتم إعدادهم مهنيًا بالطريقة العلمية الجيدة، فالذي له صلة بالعلوم الدينية لم يدرس الأصول المهنية للصحافة، وفي المقابل من درس الصحافة كمهنة يفتقد المعرفة الدينية القوية، فهذه إشكالية كبيرة تواجه الصحافة الإسلامية كمهنة، والحل يكمن في إعداد دورات تدريبية وإنشاء كليات متخصصة في الإعلام الإسلامي، وحسنًا فعلت جامعة الأزهر أخيرًا بإطلاق أول كلية متخصصة في الإعلام الإسلامي هذا العام.

تميز وجاذبية

أما أستاذ الإعلام والصحافة بجامعة القاهرة د.أحمد إبراهيم، فيؤكد أن الصحافة الإسلامية لها مهمة واضحة لكنها غائبة، وهي أن تكشف للمسلمين عن المفهوم السليم للإسلام في كل قضايا المجتمع، وأن تقدم للناس وجهة نظر الإسلام المتميز في مختلف هذه القضايا، وأن تقوم برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصحيح الصحيح بالأخذ بالوسطية والسير على منهج ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، وبعيدًا عن التعصب والتطرف والجمود والمذهبية، وينبغي أن تؤمن هذه النوعية من الصحافة بالوحدة الإسلامية وأن تدعو لها.

ويضيف أن طريقة التناول في معظم المطبوعات الإسلامية ينقصها عنصر مهم وهو تبسيط المعاني والمفاهيم الإسلامية، وربطها بالواقع الحالي؛ حتى يجد الشباب فيها الحل السديد لمشكلاتهم.. وعليها أيضًا أن تنتهج البساطة في التناول بما يتناسب مع تفكير وثقافة المسلم العادي، أيضًا ينبغي على هذه الصحافة أن تحرص على التنوع في موضوعاتها، وعرضها بطريقة مشوقة لتجذب القارئ، وعدم تكرار موضوعات بعينها مما يهدد بانصراف القرّاء عنها.

وسائل عصرية

ويرى مدير الإعلام بمجمع البحوث الإسلامية حمزة عبدالحميد باشا أن الصحافة الإسلامية عانت سابقًا من قصور شديد في كيفية تناولها للقضايا الأولى بالرعاية التي تهم أمر المسلمين، فلم تكن توجد مواد تحريرية متعمقة تناقش الأفكار المستوردة.. بل كان التناول يقتصر على أساليب خطابية جوفاء، بينما ينبغي عليها أن تناقش معتنقي هذه الأفكار بطريقة الحجة وليس الاتهام واستسهال تكفير أصحابها، وهو ما بدأ يظهر في بعض الصحف والمجلات الإسلامية التي تبنت حديثًا الوسائل العصرية، كتدشين مواقع إلكترونية لها لتكون حلقة وصل بين القارئ والمطبوعة، وهو الأمر الذي جعل لها دورًا مؤثرًا، ومن المتوقع تزايده خلال الفترة المقبلة.. مؤكدًا أن على الإعلام الإسلامي بصفة عامة- كي يصل إلى المستوى المنشود- أن يتبنى موضوعات حول مشكلات وطموحات المسلم اليومية، وما طرأ على حياته نتيجة المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية السياسية.

غياب الرؤية

بدوره، يوضح أستاذ الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة د.سامي الكومي أن الصحف الإسلامية ينقصها الوسطية، ويغيب عنها الرؤية المحددة لرسالتها، وينحسر دورها في نشر العبادات والعقائد، ولا بأس في هذا لكن من الضروري أن تعي أن لها دورًا أكبر في تحسين صورة الإسلام والمسلمين لدى الآخر، وذلك بترجمة ما تنشره من مواد صحفية وعرضها على وسائل إعلام الدول غير الإسلامية، لإظهار سماحة وقوة الإسلام في عمله وعقيدته واقتصاده وتجارته. ويغيب عن الصحافة الإسلامية نشر التقدم الإسلامي في مجال الاقتصاد والسياسة والتجارة، إذ تقصر دورها في إطار محدد.

الوثبات العاتية في الإعلام المعربد

حسين شعبان وهدان - كاتب صحفي

هي صرخة منذرة في كل أذن تسمع من أمتنا، وصيحة تحذير لأولي الأحلام والنهى، ونداء بالوعيد لكل مستغرب خؤون لأمته ولدينه أن يتقي الله ويعود إلى رشده وصوابه، ورجاء من كل من يملك أدنى طريقة لإيقاف هذا المد الجارف أن يتحرك إلى الأمام ولو خطوة، وأن يسكت هذه الفئام الضالة من قوافل الإعلام العاملة ليل نهار، تلك التي تَفُت في أعضاد الأخلاق والقيم، وتزيح الستار عما تبقى من مكنونات طاهرة عدها الإسلام سترًا وعدها اللئام حقًا مستباحًا.

لقد زادت البلوى وعمت المصيبة وأصابت بخيلها ورجلها وغبارها كل قريب وبعيد، وخرجت عن أطواق المعقول بشكل غير مسبوق، وتزايد الخطر أضعافًا مضاعفة، حتى إنه ليشكل داءً عضالاً قد يصل إلى مستوى الوباء المعجز، وكأنه ليس لنا أن نوقفه أو يكون له معنا خط رجعة إلى القيم الكريمة ومعالي الأمور ولو بعد حين.

إن الأجيال المعاصرة من هذه الأمة يراد لها من لقطاء الفكر وعبيد الغرب أن تنشأ أخلاقيًا على العري والإباحية والأفكار المسمومة عن الإسلام وثوابته ورموزه، وظاهر جدًا أن الميوعة الرخيصة تسري رويدًا رويدًا في نفوس الفتيان، وأن التمرد والسمادة تصيب عفاف البنات وطهارتهن في مقاتل مميتة. لا يخفاكم

الأمـر- أهـل الأخـلاق والأدب- أن الجرح غائر، وأن المصيبة أشهر من أن تذكر، لكن الذي أدهشني هو أن الكثير ممن هم مسؤولون بشكل رسمي أو أدبي ساكتون كأنهم لا يدرون ما الخبر، أو كأن الأمر لا يعنيهم! وأن صوت الإصلاح سواه خافت، وكل ما سمع من الأصوات العاقلة المسلمة في هذا الميدان لايكفي لمجابهة هذا السيل العرمرم الجرار الذي يمسخ نفوس الناشئة ويحيي في نفوس المتلقين (الكبار) سفاسف الأمور.

والظن- والحـال ناطقة- أن هذه الذيول العميلة التابعة لم تسمع يومًا عن خلق اسمه الحياء، ويظهر أنها أيضًا لم تصادف- بعد- من يوقفها على آثارها المدمرة، والتي هي أشد تدميرًا من القاذفات الصهيونية التي ألقيت على سماء غزة منذ حين، والعالم يتفرج من بعيد! أو أشد مما فعله التتار والصليبيون وغيرهم من أهـل الإهـلاك والإمعـان في تدمير الأمم.

بداية بلا حياء

لقد بدأت المشكلة أول خيوط التعقيد منذ أزمان، يوم أن تطلع الشرق كله- ونحن معه- على محاكاة كل وارد من بلاد العجائب الغربية كأنه وحي طاهر ونص مقدس لا يجوز الاجتهاد فيه، وخصوصًا مع التدهور والتبعية والتخلف الذي ظهرت سماته أحقابًا متتالية، بسبب سوء فهم أحكام الدين وسقوط كثير من عواصمنا الإسلامية في أيدي من لا يحسنون ملاطمة الفتن وصد البلاء، فضلًا عن استدعائه وطلبه والتمرغ في حمأة قسوته.

لقد أرسلت البعثات العلمية أوائل القرن الثامن عشر الميلادي لتحصيل العلم، فإذا بالمبعوثين ومشايخهم مبهورين بأنماط الحياة الغربية في باريس ولندن وبرلين وغيرها.. وبدلًا من أن يكون العلم هو طلبتهم الغالية فقط، فقد جمعوا الحشف وسوء الكيل، وعادوا لأمتهم بأوصاف الحياة الغربية المخالفة بالطبع لنظم الإسلام الاجتماعية، وتلقف الذين يريدون الخروج من قمقم المألوف هذه الأفكار، وألبسوها ألف ثوب عبر مائتين من السنين مضت، وكل ذلك على حساب القيم الرصينة والأخلاق الفاضلة، أي على حساب الإسلام.

ورويدًا رويدًا كان الحياء يسقط منسوبه في النفوس شيئًا فشيئًا حتى استغل الإعلام بطفراته السريعة كل فرصة لتسريب أفكار الغزاة الثقافيين من إخوة الأوطان والدين، والذين لم يحرصوا يومًا على مصلحة الأوطان ولا رعاية مقدسات وثوابت الإسلام، وها هو المؤرخ الفني «كمال النجمي» يضع حدًا فاصلًا بين زمنين، زمن كان فيه التلميح أسلوبًا للتعبير، وآخر كان بداية التصريح مع ذيوع المعاني التي تبثها ألسنة المطربين والمطربات تلك التي دفعت البنت العربية المسلمة إلى تخطي حواجز معنوية سارت على طهرها قرونًا.

كلام بذيء بادي البذاءة ينشر على الإذاعات الرسمية وغير الرسمية، وقد كان النواة الأولى في انتشار المعاني التي زاد فيها منسوب الهبوط بشكل يستثير نظر الأعمى وسمع الأصم! في هذه الحقبة الزمنية التي نحياها، ولسنا ندري ما هي النقلة القادمة.

أما الآن فبالطبع لا يمكننا الاستشهاد بما يبثه إعـلام الأغـنـيـات التي زاد سقمها القيمي، وقد تزايدت الإذاعات المرئية والمسموعة النشطة التي تنتظم في هذا الطراز وتربح كل يوم أعدادًا لا بأس بها من الشباب والفتيات، وتزايدت معها قنوات الأفـلام والمسلسلات العاملة بكل اللغات والمبثوثة من أرض عربية مسلمة وبأموال أناس مسلمين!.

ليس من الإسلام

ونبت على سطح الإعلام نبت غير كريم بلا هدف ولا مضمون، وجلس كثير منهم- وهم جهلة وإمَّعات- في منابر التوجيه المباشر منطلقين من المجلة والجريدة والفيلم والمسلسلات وحفلات الغناء الصاخبة التي تطول زمانها حتى مطلع صباح المذرين.. وسمع النـاس عن هـذه الترهات والحماقات التي تتدخل في عمق المسائل الدينية بجراءة مستنكرة، كهذه المسمومة في فكرها بالحماقة وفي بدنها من كثرة الناظرين إليه، وقد أدلت بحرمة النقاب، وذلك منذ سنوات وقالت «إنه ليس من الإسلام»، وهذه المخبولة الأخرى وهي مخرجة مشهورة، تلك التي تخطت جميع الحواجز والسدود الأخلاقية لما صرحت بأنه يجب استصدار تراخيص للبغاء، حيث إنه مهنة لها أربابها من الطالبين والمطلوبات!

واليوم.. إلى أين هم ذاهبون؟ وكيف يتحركون؟ وماذ يريدون؟ وهل يتخيل العقلاء حال هذه الأمة بعد عشر سنوات من القيادة الإعلامية لهذه الطغمة الفاجرة التي تصطبغ بكل لون من الإلحاد إلى السطحية والتفاهة والسمادة، ومحاولة نسف الدين في نفوس المتلقين بكل وسيلة من السخرية والاستهزاء بالمتدينين، ورسم الصور الشوهاء المعقدة لهم، وحشر هذه النقائص النفسية مع سواها، واستغلال كل منفذ مطل على

البيوت والمقاهي، حيث يقف المتابعون من خلالها على أوصاف أهل التدين بأنهم «متشددون ومغفلون ومتعالمون وضيقوا الأفق» على حين التماس المعاذير القريبة والبعيدة لمن يخوضون في بحار الخزي منذ أزمان، فالزانية لها عذر الفقر والحرمان، والمرتشي محتاج، ماذا يفعل؟! ولا ينتهي التماس المعاذير للقاتل وتاجر المخدرات وشاهد الزور وقاطع الرحم وآكل الربا، بل ويعدونهم ضحايا؟

وماذ يروم أهل الفن في طريقة الغناء التي ما أبقت في الضمائر المضمرة معنى إلا ونادت به من قريب وبعيد؟! وما أبقت- كذلك- من أجساد الغواني مخبأ إلا وكشفته؟ وتركت الزوج البائس المغبون فكريًا واجتماعيًا، والناقم على أقداره في شريكة عمره يتزلزل في جحيم الساخطين على الأقدار، وتركت الشاب الأعزب يتلوى في دركات الغريزة إن لم يكن يأوى إلى إيمان رشيد.

لقد بدأ الشيطان هجومه المبيد لكل معنى نبيل منذ أزمان على القطاع الإعلامي العالمي، وانزلق الإعلام العربي كالعادة في السنوات الأخيرة إلى هوة التقليد، والمصيبة أنه سائر في هبوطه المشهود بسرعة جنونية لن تبقي ولن تذر من الأخلاق شيئًا إذا لم يجد من يوقفه بمصدات الأخلاق، وذلك أمر صعب إن لم يكن مستحيلًا بحساب البشر إلا أن الأمل في الله ليس له حدود رغم أن بوارق الإصلاح الأخلاقي الحقيقي المنشود لا تلوح له علامات في الأفق القريب ولا البعيد.

إنا جد خائفين على أولادنا وأجيالنا القادمة من هذا الطوفان المدمر أن يحرفهم، فالهوة تزداد كل يوم اتساعًا، ومن السلامة تحصين هذه الأجيال بلقاح الأخلاق.

والله الذي لا رب غيره ليس أمامنا سبيل سواه، ألا وهو سبيل الأخلاق العاصمة بإذن الله تعالى من الضياع، فإذا كان القائد الملهم المظفر «صلاح الدين الأيوبي» قد انتهج مع الصليبيين القدامى سبيل الأخلاق وتعليمها للعامة قبل أن يصدح ويصدع بكلمة «الله أكبر» فواجب الوقت هو التحصين بالأخلاق، إنها الوحيدة التي تحمي، وهي التي أبقت هذه الأمة المسلمة بين الأمم رغم ما بها من جراح باقية على الدهور والمؤامرات الحية التي يحيكها الماكرون من كل عدو متحير متجن صباح مساء.

إن العقيدة تحمي من الكفر، والشرائع تجبر من الضلال والبلبلة والتحير، والسلوك الإسلامي أجر وتميز، ولكن الأخلاق هي العمق لهذا كله، فالصلاة على عظم قدرها أساسها في قلب المصلي أخلاق وإلا فلا صلاح له: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، والصيام أساسه ليس الجوع والعطش، وإنما حسن الخلق، وكذلك الزكاة طهرة للمانح من التعالي وللقابض من الحسد ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، والحج كله أخلاق وتقوى قلوب ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧).

فلننتبه في مجال التربية إلى أثر الأخلاق الدافع لهذا البلاء المتتابع من جيوش العهر والفساد، ولنلقن أجيالنا الناشئة مع حفظ القرآن والسنة وبقية علوم المدارس والمعاهد والجامعات أقساطًا وافرة من الخلق الحسن، ولنتابعهم في ذلك ونعمق معناها في نفوسهم، حتى تتفاعل العقيدة المركوزة في القلب مع هذه الأمصال الواقية، فيخرج ذلك رفضًا لسوق النخاسة الجديدة، والذي يتبارى فيه دهاقنة الإعلام العربي والعالمي وجنودهم الهائمين في لجج الهلاك.

وقفة المؤسسات التربوية

أين دور أساتذة التربية وحماة المجتمع من أئمة المساجد والدعاة والصحافيين المحترمين، بل ورعاة الكنائس إن جاز أن نوجه لهم هذا النداء، أين دور هؤلاء الصفوة؟

إن صوتهم في مجال إيقاف سيل الإعلام الجارف ليس خافتًا، بل هو مكتوم، وسبب ذلك منهم غير معلوم.. صحيح أن هناك قنوات إسلامية عاملة ونشطة ولها تأثير في المجتمعات الإسلامية ولله الحمد.

ولكنني أعود فأكرر، إن الشيطان لن يربح المعركة كلها في جولة واحدة بل في جولات، وقد انتصر في كثير منها، وليكن السؤال الحائر في عقول حاملي هم هذه الأمة: ما هو انتصاره القادم في المجال الإعلامي؟

سؤال يختصر همومًا لا تبرح بترك الفكر حتى تتلظى بها النفوس المؤمنة من جديد.

والكثير من أهل الحجا ومديري مراكز التوجيه في سبات عميق، ولابد أن يوقظهم الموت ليس غيره، ومعهم السواد الأعظم من خلق الله في ذهول وتشاغل، والزمان لا يهادن ولا ينتظر أحدًا، فالنقلة القادمة للإعلام الداعر أنه يردي المجتمع من الهداية إلى الغواية، ومن الفضيلة إلى الرذيلة ونحن شهود وسكوت.. والله مطلع على عباده.

التنمية المستدامة

هواري عبدالقادر/ ماجستير إدارة الأعمال
جامعة سطيف الجزائر

قد يجرنا الحديث عن التنمية المستدامة الحقيقية إلى محاولة البحث عن تنمية الفرد المستدامة، وهي جعله مسايرًا للأهداف الكلية للأمة من خلال ما يعرف بالتنمية البشرية، هذا المصطلح الذي ملأت كتاباته رفوف المكتبات، وكل كاتب يعطي مفهومه الخاص، ويضفي على التنمية البشرية أبعادًا وتعريفات قد تختلف في مجملها، لكنها تصب في قالب واحد، وهو التشغيل الكامل للفرد، بحيث أن لكل واحد منَّا مواهب وقدرات متعددة لا يستغل منها إلا جزءًا يسيرًا قد لا يصل في أحسن الأحوال إلى العشر، وهو ما جعل منا أمة متأخرة عن ركب التقدم والحضارة.

إن الإنسان بطبيعته يميل إلى الخمول والكسل، ولا يدرك أن القدرات التي حباه الله بها تستطيع أن تجعل منه أكثر مما يتصوره هو في خياله، فهناك قدرات يعلمها وأخرى يجهلها، لكن باستعمال ما يعلمه يستطيع الوصول إلى ما يجهله، فالإرادة مثلاً مصطلح يكثر تداوله، ولكن يصعب استعماله في مكانه الصحيح، فهي تشمل ثلاثة عناصر مهمة، تتمثل في الرغبة الملحة في القيام بالشيء، والقدرة على ذلك، وكذلك التحرك الفعلي نحو الهدف، فالرغبة والقدرة لا غنى عن واحدة منهما للكلام عن الإرادة، ففي واقعنا مثلًا نرغب في أن نتقدم، ولدينا القدرة على ذلك، لكننا لا نسلك الطريق المناسب، وكأبسط مثال على ذلك، الأسد حينما يحاول اصطياد فريسته، فلابد أن يرغب في ذلك، وأن يكون قادرًا غير عاجز، ثم ينطلق لتجسيد هدفه.

لقد صنعت الإرادة حياة الشعوب والأفراد على مدى التاريخ، فنجد الفراعنة قد بنوا الأهرامات في الماضي، واليوم وصل الإنسان إلى الفضاء، وجعل النجوم مواطئ قدميه، وهو ما لم يكن يخطر على قلب بشر أن يتحقق، فمعظم الحضارات التي عرفها الإنسان صنعها أشخاص ذوو إرادة قوية، والإرادة القوية معناها، قوة تماسك عناصرها الثلاثة من رغبة وقدرة وتحرك نحو الأمام، فكلما كانت هذه العناصر متماسكة كلما كانت الإرادة أقوى، وعلى العكس فإذا كانت الرغبة كبيرة مثلًا، والقدرة أقل أو التحرك نحو الأمام أبطأ، تكون الإرادة أقل قوة.

عندما نقوم بالتحليل الدقيق لعناصر الإرادة الثلاثة، نجد أن الرغبة تنشأ أصلًا من الإيمان القوي بالعمل المراد فعله، والقناعة التامة بالوصول إلى تحقيق الأهداف، فلا تعتبر الرغبة العابرة من عناصر الإرادة، بل يجب أن تكون ملحة وصادقة وقوية، كما أن القدرة يجب أن تتوافق مع متطلبات العمل، حيث تكون بالدرجة الكافية للوصول إلى الهدف، من جهة أخرى يجب أن تكون الخطوة الأولى مدروسة، وغير متهورة ومحسوبة النتائج.

إن الفهم الصحيح لعناصر الإرادة الثلاثة، يجعلنا نحدد رغباتنا وأهدافنا، وندرس قدراتنا التي توصلنا إليها، ثم نحاول الانطلاق في المسار الصحيح للوصول إلى ما نصبو إليه.

مما سبق، وبالنظر إلى واقعنا نجد أننا أمة ترغب في الوصول إلى أعلى مستويات الرقي والتقدم والازدهار، وتملك القدرات والإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لتحقيق ذلك، لكن ولـلأسف، لم نخطو بعد الخطوة الأولى، وفي بعض الأحيان نخطو خطوات لكنها عشوائية، وليست على المسار الصحيح، لذا لا نزال في بداية الطريق، فلنعد حساباتنا من جديد، ونعيد الانطلاق لنصل إلى الهدف المنشود.

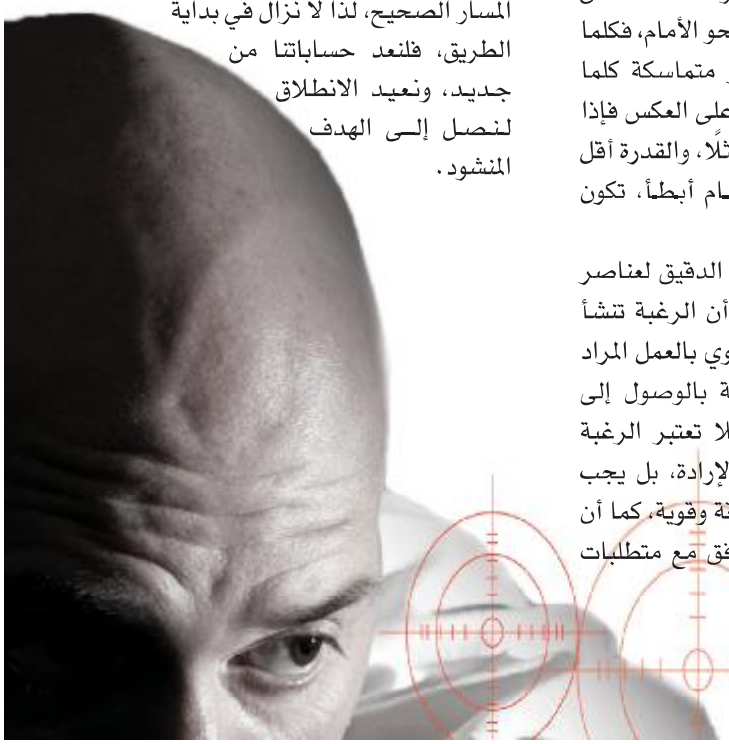

لماذا تتخلف الأمم؟
بين الثقافة والتعليم

محمود كحيلة - مؤلف وناشر مصري

ما الثقافة؟ وما التعليم؟ وما العلاقة الجدلية بينهما؟ وهل هي موجودة على أرض واقعنا المعاصر؟ أم أنها ذهبت؟ وعليها أن تعود؛ لأننا في أمس الحاجة إليها حتى نستكمل مشروعنا القومي، لأجل النهوض بهذه الأمة التي إذا كان نصف أبنائها يريدون لها التقدم والنهضة والرقي فإن النصف الأخر يعملون بقصد أو بغير قصد على ما يحول دون ذلك..

ولذلك سنبحث في أفضل السبل للنهوض بثقافة هذه الأمة العظيمة، من خلال التعليم، وذلك برصد المعوقات التي كانت- ولا تزال- تحول دون دمجه بالثقافة؛ تحقيقًا لمخرجات أجود وأفضل.

لا علم بلا ثقافة، ولا ثقافة بغير علم، لأنهما جناحان لطائر واحد، ووجهان لعملة واحدة.. إذ لا قيمة لأحدهما دون الآخر، ويوم نقدر على جمعهما مجددًا سنعلن أننا أصبحنا على الطريق، وعندما نستطيع أن نجمع شمل العلم بالثقافة سنوقن وقتها أننا على الطريق الذي نحن بمعزل عنه، ما لم نؤمن بأنه لا انفصال بين التعليم والثقافة.

لذلك يجب التواصل التام بين ما يتلقاه المتعلم، وما يحتاج إليه من معرفة بالحياة، فهو يتعلم الحساب لكي يشتري حاجاته وحاجات أسرته بالقدر الذي يناسب دخله وإمكانياته، ودون أن يستغل أحد جهله بالحساب. وهو يتعلم القراءة كي يعرف الفرق بين الصيدلي والبقال، وبين طبيب الأسنان والمحامي، وهكذا، يدرس التاريخ فيتعلم من تجارب أسلافه، ويدرس الجغرافيا ليتعرف على مناخ وتضاريس بلاده والفرق بينها وبين غيرها.. إلخ.

معوقات المزج بين التعليم والثقافة

لاشك أن ما أصاب مؤسسة التعليم من خلل انعكس مباشرة على كافة

أنشطة الحياة وجوانبها، بما فيها الثقافة، فالمتأمل فينا سيصل إلى جوانب مؤلمة صرنا إليها.. وسأبدأ بمثال من اللحظة الآنية حيث بعض أبناء العرب يخربون أوطانهم بأيديهم، بتصرف لا يعبر عن وعي أو ثقافة؛ لأن المواطن الراقي الشريف المتحضر المحب لوطنه لا يُقدم على ما يؤذي وطنه، والسلوكات القويمة لابد لها من خلفية تعليمية راقية. ولذلك نقول: إن ما نعانيه اليوم من عبث وانفلات وغوغاء وعشوائيات إنما هي حرب على الأملاك العامة، وتعطيل لمصالح الناس، وهو سلوك لا يعقل أن يتأتى أبدًا من متعلم مثقف يعرف أن ما يخرب من منشآت الوطن هو اعتداء على أملاك عامة، له فيها حق ونصيب، وإعادة إعمارها سيتم من ماله وعلى نفقته، إنها حقائق راسخة ينطق بها الواقع، ويجب أن يؤمن بها كل مواطن ويتعلمها؛ لأن التعليم ليس الدروس والحصص اليومية التي يتعاطاها تلاميذ المدارس.. وإنما هو سلوك مثالي قويم تسهم في الحصول عليه الثقافة التعليمية التي يجب أن تطبق على الفرد منذ الطفولة، حيث يغرس في وجدانه بذور هذا السلوك الذي سينمو معه ويلازمه في مستقبل حياته، وهذه البذور عليها أن تخاطب حواس الطفل وتسيطر سيطرة كاملة على موارده الثقافية والعلمية والتربوية؛ لتنتهي إلى خبرات متراكمة لدى كل فرد بالمجتمع، يورثها بطريقة طبيعية إلى الأجيال التالية.

وتبرر لنا هذه السلسلة في تداول الخبرات الثقافية والتعليمية كيف فقدت شعوبنا تراثها الفكري والعلمي وإرثها الثقافي، لأنها تخلت عنه جيلا بعد جيل، ثم بدأنا في محاكاة الغرب بعد أن أدهشتنا حضارته الهشة، فنشأ- ولا يزال- صراع بين قطرات دماء عريقة تجري في عروقنا، وبين عيون زائغة تحترف التقليد الأعمى.

إذن التعليم هو الأساس الذي يمكن أن ينطلق بأمتنا في كافة مجالات الحياة، ولذلك يجب أن يهدف إلى تطوير مجالات الإنسان العقلية والفكرية عن طريق مزج العلم بالثقافة، وأن يتم تلقين العلوم بطرق غير تقليدية عن طريق ربطها بالحياة، وتيسير المادة التعليمية التي أصبح يعوق تواصلها ثقافيًا معوقات داخلية؛ لأنها تحدث داخل المؤسسة التعليمية، ومعوقات خارجية تتعلق بالمعلمين وأولياء الأمور.. وسوف نرصد هذه المعوقات بمختلف جوانبها:

المعوقات الداخلية للتحول الثقافي

١- عدم اقتناع القيادات التعليمية بأهمية الثقافة، وتركيزهم فقط على تطبيق اللوائح والقوانين المركزية، دون أن يشغلوا أنفسهم بمناقشة جدوى تطبيقها.

٢- تدني القابلية الداخلية لتطوير الثقافة التنظيمية للمؤسسة، وهي مجموعة القيم والاعتقادات وأساليب التفكير والسلوكات التي تميز كل مؤسسة عن الأخرى، ولذلك فتعديلها بإجماع الباحثين مسألة ليست سهلة، وتحتاج إلى جهد كبير وإرادة للتغيير وصبر على النتائج، لأنها عملية ترتبط بالعنصر البشري الذي يكره ما يجهل، ولذلك يخشى أي تعديل أو تغيير ربما يحمل خطرًا على مصالحه.

٣- تعدد وجهات النظر حول المعوقات التي لا يراها المعلمون كما تراها القيادات الإدارية وأولياء الأمور، حيث ترى كل فئة أن الإصلاح هو ما فيه صالحها لا الصالح العام، بينما يتطلب الإصلاح مشاركة الجميع.

٤- عمليات المتابعة والتوجيه التي هي استنساخ مبتذل لعملية الرقابة والتفتيش، تجعل المعلم يهتم فقط بإرضاء الموجه والمتابع (المفتشين الجدد)، وهو أمر غالبًا ما يتم على نفقة العملية التعليمية - المطلب الرئيسي للمؤسسة - ويترتب على ذلك أيضًا استخدام آليات قياس لمستوى الطالب، تركز على الأداء وليس المهارة والإنجاز، مما جعل التلاميذ يستخدمون الحفظ والاستظهار في تعاطي دروسهم، دون الاهتمام بمستوى المعرفة الحقيقية.

٥- عدم الاهتمام بمشاكل المستفيدين من العملية التعليمية، لذلك فإن أزمة المدرسة الحالية لا تتمثل في عدم قدرتها على حل المشكلات، بل لأنها لا ترى هذه المشكلات أساسًا، فقلة اهتمامها بالمستفيدين وتمركزها حول ذاتها يصيبها بالعمى الوظيفي الذي يحجب عنها رؤية المنافع.

٦- عدم قابلية المعلمين لفكرة التغيير نحو دعم المسألة الثقافية بكل ما تتطلبه من جهد إضافي، في حين أنهم يطالبون بتخفيض نصابهم من الدروس لتخفيض ضغوط العمل، لذلك يكون من غير

المقبول مجرد التلميح لهم بأعمال إضافية، لا تتطلب اهتمامًا بالثقافة في الدرس فقط، وإنما تفعيل واستثمار الأنشطة المدرسية.

٧- عدم وجود بيئة مناسبة لدعم وتنمية قدرات ومدارس الطلاب والمعلمين والعاملين في المدرسة، بتفعيل أساليب التفكير الإبداعي والعمل الجماعي لإنجاز أفضل، بدافع من الحلم بمستقبل قومي يحمل الخير للجميع.

استراتيجيات النهوض بالتعليم

كيف ندعو مواطنينا إلى التعليم ولا نجبرهم عليه؟

هناك تجارب عظيمة جرت في أنحاء متفرقة من العالم، منها تجربة طريفة لمخرج برازيلي يدعى «أوجستو بوال» وهو مؤلف ومخرج ومنظر مسرحي، درس المسرح في جامعة «كولومبيا» الأميركية حتى حصل على درجة الدكتوراه في الدراما، وذلك بعد دراسته للهندسة، وقد بدأ «بوال» حياته المسرحية كاتبا عام ١٩٥٧م، واتجه بعد ذلك إلى الإخراج عام ١٩٦١م، موجهًا رسالته الدرامية إلى جمهور بلاده من الفقراء والمقهورين، محتجّا بالتمثيل على أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية عاشتها شعوب أميركا اللاتينية.. فكان يحرض مشاهديه ويدعوهم إلى الاحتجاج والثورة ضد امتصاص الأغنياء لدماء الفقراء.

سنة ١٩٧٣م كلف (أوجستو بوال) من قبل حكومة بلاده بتنظيم عرض مسرحي لمقاومة الأمية، وحث الناس على طلب العلم في إطار برنامج قومي لمحو الأمية، عن طريق المسرح، استخدم بوال أسلوبًا يعتمد على عرض المشكلة على الجمهور ليشارك في البحث عن حل! وكان العرض يستمر حتى يصل إلى لحظة الأزمة، عند نقطة حرجة ينبغي فيها على البطل أن يتخذ قرارًا، وفي هذه اللحظة يوقف التمثيل ليسأل الجمهور عن الحل الأمثل الذي ينبغي على العرض أن يعتمده، وكان المشاهدون يقترحون حلولًا يرتجلها الممثلون على منصة التمثيل استكمالا للعرض، حتى ينهك المشاركون من كثرة المشاهدة والتشخيص، فينتهي العرض..

ثم تطور الأمر فأصبح العرض كله تشخيصًا لمشاكل الجمهور التي بدأت بالسياسة، ثم ظلت تتنوع وتتجدد حتى تعلقت ذات يوم بمشاكل عاطفية ذات أبعاد ثقافية تعليمية، منها مشكلة امرأة كان زوجها يسلبها الأموال مرة بعد مرة، مدعيا بناء منزل جديد لهما في منطقة جديدة، وفي كل مرة يأخذ منها المال كان يعطيها ورقة «معطرة» لتحتفظ بها على أنها إيصال سداد، وأصابها القلق ذات يوم عندما تهرب من إجابة مطلبها المتكرر بمشاهدة منزلهما الجديد، فاستدعت جارتها المتعلمة وطلبت منها أن تقرأ لها الإيصالات المعطرة التي لم تكن إلا خطابات غرامية حال الجهل (الأمية) دون قراءتها لها، ولما طرحت هذه المشكلة على الجمهور، وطلب منه اقتراح الحلول، تنوعت الآراء وتعددت، فكان أهمها رأي تلك المرأة الغاضبة التي طالبت بحوار صريح ومباشر، بعده تعد الزوجة لزوجها العشاء وتستمر حياتهم بشكل طبيعي.. عملت الفرقة على تنفيذ المقترح مرات عدة، ومع ذلك لم يرض السيدة الغاضبة تمثيلهم، فطالبها بوال آخر الأمر أن تؤدي الدور بنفسها، فأمسكت بالممثل وأوسعته ضربا «هكذا الحوار من وجهة نظرها» ثم نهضت فأعدت له الطعام.

خلص «بوال» من ذلك إلى حقيقة مهمة، وهي أن صعود المتفرج إلى خشبة المسرح يجعله يصنع ما يتخيله بطريقته الخاصة، وهي دائما طريقة شخصية وفريدة وغير قابلة للنقل، وهكذا عرف

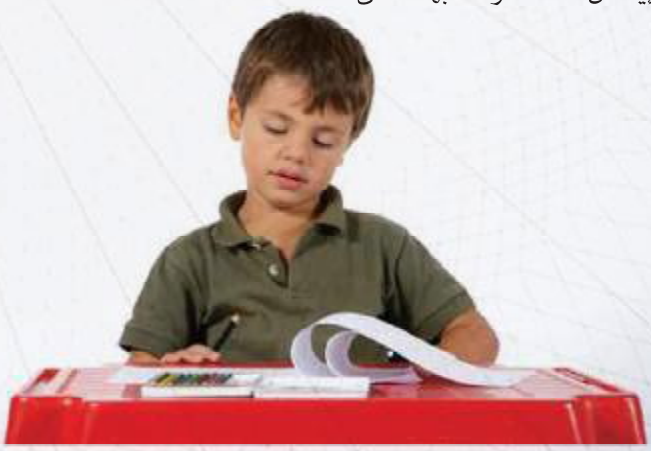

بوال «مسرح المنتدى» حينما يصنع المشاهد مسرحه، فيكون الفاعل الإيجابي صاحب القول والفعل، فيتعلم كيف يحل مشاكله بنفسه.

إزالة المعوقات

وبناءً عليه فإن الخطط المقترحة لإزالة المعوقات في مجال المزج الواجب بين التعليم والثقافة هي:

١- قيادة المؤسسة التعليمية عليها المسؤولية الكبرى في التغيير وإزالة أي شعور سلبي لدى القيادات التحتية، وإقامة علاقات اتصالية جيدة ومباشرة بين من هم في مهام قيادية وبين جميع العاملين، مع متابعة مراحل تطور هذه العلاقات.

٢- وضع مخطط واع وواف للتحول، يعتمد على دراسة علمية وعملية للمعوقات.

٣- إعادة صياغة المناهج الدراسية بما يناسب مرحلة جديدة، يتوفر فيها مساحة مناسبة لمعرفة كيفية عمل الأشياء، بما يصاحب ذلك من دعم مهارات التفكير، مع هجر الأسلوب التقليدي المرهق للمتعلم.

٤- إعداد مناهج معاصرة توفر مساحات مناسبة لإبداع المعلمين والمتعلمين، بحيث تتناول هذه الموضوعات جوانب ثقافية تتوافق مع متطلبات المجتمع، لتكون المناهج بذلك محققة لطلبات المجتمع.

٥- الاهتمام ببناء مدارس تحتوي على المعدلات العالمية المعتمدة بالنسبة لكل مرحلة من المراحل التعليمية، والاهتمام بتصميم مبان مدرسية جيدة التهوية والإضاءة والمساحات والألوان.

٦- تفعيل دور أولياء الأمور ومؤسسات المجتمع وهيئاته، لأن

دعم هذه الكيانات يعكس في الواقع حقائق غاية في الأهمية، منها أن حماس الآباء أو المؤسسات لكيان مدرسي إنما هو انعكاس لإيمان هذه الجهات بالعمل الذي يتم فيها.

٧- السياسات وأنظمة العمل يجب أن تنبع من الداخل، بأن تشعر المؤسسة التعليمية أنها صاحبة قرار ودور في إدارة عملها، ولتكتف القيادات المركزية بتوفير دورات تدريبية لوضع العاملين على الطريق والمراقبة عن بعد، وإلغاء دور الرقباء والمتابعين المعمول به حاليا.

٨- استخدام نظريات وأساليب حديثة في التعلم، توظف أفضل أنواعها التي تعتمد على الخبرة وخلق الرغبة والدافعية لدى المتعلم في البحث عن المعلومات بنفسه من مصادرها المتعددة.

٩- تفعيل دور المكتبات المدرسية وإصلاحها من حيث المبنى، لتكون في مكان جيد ومهم بالمنشأة، وعامرة بالكتب الجيدة المثيرة التي تشبع الرغبات الثقافية للطلاب، مع مراعاة المراحل التعليمية المختلفة، بأن تكون كتب كل مرحلة مدرسية مناسبة لعمر الطلاب.

نخلص من كل ذلك إلى أن التعليم يصنع محيطا مناسبًا لازدهار ونمو الثقافة عندما يتجه إلى غرس القيم العليا في نفوس التلاميذ في المراحل التعليمية المختلفة، بما له من تأثير كبير على مستوى الوعي والاهتمام الثقافي، ولذلك نجد التعليم في كل بلد يعكس الأوضاع التاريخية والفكرية والنفسية والاجتماعية لهذه البلد، وعندما نتأمل ذلك على المستوى التاريخي نرى الدور الأساسي الذي لعبه التعليم في التبشير بالقيم الأخلاقية والأنساق الثقافية المختلفة.. ولذلك يجب الحفاظ على ثقافة المجتمع التاريخية بكل إيجابياتها وسلبياتها؛ لأن من كان بلا ماض فلا حاضر له ولا مستقبل.. والميزة الحقيقية للبشر أنهم يتعلمون من أخطائهم، ولولا ذلك ما قامت الحضارات التي ما كانت سوى انعكاس لتعليم جيد وثقافة عميقة، لأنهما الركنان الأصليان لتنمية المجتمع بما يوفره من قواعد نفسية وعقلية لاستيعاب برامج التنمية بخطواتها المختلفة.

وقد اتجهت بعض دول العالم إلى دمج العمل في التعليم والثقافة؛ لأنه ما من اتصال واجب وممكن بين مجالين من مجالات الحياة قدر اتصال التعليم بالثقافة، لأنهما أصحاب رسالة واحدة وهدف واحد هو تعلم الناس ما ينفعهم ويعود بالنفع على الوطن..

فبالعلم والثقافة يصنع المواطن المثالي الصالح.

القوة الكامنة

بلال المريسي- كاتب يمني

قال الثعلب للأسد بعد أن أوقعه في حفرة ظنَّ أنه سيهلكه فيها: سأفضحك بين الحيوانات بضعفك، فضحك الأسد وقال: مهما فعلت فسأظل أنا أسدًا وستظل أنت ثعلبًا.

حديثنا عن أعقد المشاعر الإنسانية وأكثرها ارتباطًا بالوقت، وهي كالسمعة تبنيها مع كل فرد على حدة، وتنمو كلما زاد عدد الأفراد، وهي أغلى ما يمكن إهداؤه لمن تحب، نعم إنها القوة الكامنة.. نعم إنها الثقة.

فالثقة موضوع ذو حساسية خاصة، وأمتنا الإسلامية والعربية تمر بأزمة ثقة كبيرة لا يكاد يمر يوم دون أن تشاهد بأم عينيك مشهدًا تظهر فيه علامات تلك الأزمة، فالمشتري لا يثق بالبائع، والطالب لا يثق بأستاذه، والشعب لا يثق بحاكمه، حتى وصلت تلك الأزمة إلى داخل البيوت.. فالزوجان في أزمة، والأولاد مع آبائهم في أزمة.

ومن هنا كان لابد من طرح الموضوع بشفافية تامة؛ لنراجع أنفسنا ونسارع في استعادة ثقتنا، ونعود كما كنا في سالف الأزمان، نقُود ولا نُقاد، نحكُم لا ونُحكم، نأمر ولا نُؤمر.. فترى ما هي الثقة؟ وما أهميتها في حياتنا؟ وما ثمارها؟ وما هي الوسائل التي تعزز فينا الثقة؟ وكيف نبني الثقة فيمن حولنا؟ وما أسباب ضعف أو انعدام الثقة فينا؟ هذا ما سنعرفه خلال الأسطر التالية.

تعريف الثقة

الثقة لغة: الثقة مصدر، وقد يوصف به، فيستوي فيه المفرد والمثنى والجمع بنوعيهما، فيقال: هو ثقة، وهي ثقة، وهم ثقة، وهن ثقة. وقد يجمع الذكور والإناث على ثقات.

والثقة تأتي ويراد بها الائتمان والاطمئنان القلبي. يقال: وثِق بفلان يثِق ثِقة، وموثِقا ووثوقا، ووثاقة، أي ائتمنه، فهو واثق به، وهي واثقة. والمفعول موثوق به، وهي موثوق بها، وهم موثوق بهم.

والثقة تأتي ويراد بها: الثبات

والقوة والإحكام والإتقان. فيقال: وُثق الشيءُ يُوثَقُ وثاقة، أي قوي وثبُت وصار محكما. ووُثق فلانٌ، أي أخذ بالوثيقة، أي بالعهد، وأخذ بالثقة.

واصطلاحا: هي اطمئنان قلبي، يكون بين العبد وربه، أو بين المسلم وقدوته، أو بين الناس بعضهم البعض، أو بين الفرد ونفسه، بحيث يكون اطمئنانًا قويًا ثابتًا محكمًا، لا تؤثر فيه عوامل خارجية، أو داخلية، أو نفسية.

وقيل: الثقة عبارة عن شعور بتحمل المسؤولية الملقاة على العاتق والقيام بها حق القيام.

أهمية الثقة

بالإمكان تعويض كل شيءٍ بعد خسارته إلا الثقة، فإذا انتهت ليس لها بدل فاقد!! ومن هنا تكمن أهمية الثقة، فإذا أصيب الإنسان بفقدان الثقة، فإنه ينهار من داخله، فيصير محطم النفس، ضعيف العزم، مثبط العزيمة، محبط الهمة، مشتت الفكر، ضيق الأفق.. وحينئذ فإنه لا يصلح لأي أمر جلل، ولا يقوى على مواجهة أحد، ويؤثر التقوقع في مكانه دون حراك.

والثقة تربي فينا الاحترام والحب للآخرين، فأعظم هدية تُهديها لمن تحب هي ثقتك به، والثقة ترفع عنا التحفظ والتكلف. كما قال ابن المعتز- رحمه الله-: إذا صحت النية وتأكدت الثقة، سقطت مؤونة التحفظ، والثقة تبعد عن الرذائل وسفاسف الأمور؛ لأنه في شغل أكبر من ذلك.

فالثقة هي طريق النجاح، وروح البطولة، ومنبع السعادة، وجذوة الأمل، وطاردة القلق، وقاهرة اليأس، ومنار الطموح، ومتعة الإنجاز، وهي القوة التي لا يستهان بها البتة، وأسهل الطرق للوصول إلى المعالي والسمو والرفعة.

ما الفرق بين الثقة بالنفس والغرور؟

الثقة تتأتى من عوامل عدة، أهمها: تكرار النجاح، والقدرة على تجاوز الصعوبات والمواقف المحرجة، والحكمة في التعامل، وتوطين النفس على تقبل النتائج مهما كانت، وهذا شيء إيجابي.

أما الغرور فهو شعور بالعظمة، وتوهم الكمال، أي أن الفرق بينهما أن الثقة تقدير للإمكانات المتوافرة، أما الغرور فهو فقدان أو إساءة لهذا التقدير. وقد قيل: إن بين الثقة والغرور مقدار شعرة، فكلما ازدادت الثقة- لدرجة أن صاحبها يرى في نفسه القدرة على فعل أي شيء- انقلبت إلى غرور، وأوشكت تلك الشعرة على الانقطاع.

والثقة من العوامل الهامة التي تساعد في استقرار الحياة، ورقي الإنسان، والغرور على الضد من ذلك، ولا يخفى مدى خطورته على الإنسان والمساوئ الناجمة عنه.

أسباب انعدام الثقة

- الانتقاد الحاد واللاذع- الذي يوجه للشخص لا لفعله- يجعل المنتقد في سؤال مع نفسه: هل أنا من فشل أم عملي؟ ومن هنا تحل الهزيمة النفسية وتنعدم الثقة.
- غياب التشجيع والدعم: فتجد بعض الآباء في غياب عن متابعة أبنائه، فقد يحصل ابنه على درجات عالية في مدرسته أو جامعته فيحرم التشجيع والدعم فيصاب بالإحباط، إذ إنه لا يرى لعمله ومجهوده أي ردة فعل ممن حوله.
- تهويل المواقف والأمور أمامك ممن حولك، وإشعارك بأنك لا تستطيع القيام بتلك الأمور.
- إحساسك بأنك إنسان ضعيف لا يمكن أن يقدم شيئًا للآخرين، وهذا الإحساس يهدم فيك روح المبادرة والإبداع.
- الخوف من كل حركة تصدرها، لا سيما إذا كانت مفيدة أو نافعة، مخالفة لما تعود عليه الناس حولك فيواجهونك باللوم والاحتقار.
- إبداء التبريرات والأسباب لكل تصرف خاطئ صادر منك بقصد أو دون قصد.

نتائج عدم الثقة

- الإحباط: ومن أهم أسباب هذا الإحباط عدم الثقة بالنفس وبينهما علاقة وطيدة.
- عدم الإحساس بالأمان: وينتج عنه الخوف والقلق مما ستحمله الأيام القادمة.. ففاقد الثقة في اضطرابات متتابعة، لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال.
- الاعتقاد بأن الآخرين لا يرون منك سوى الضعف والعيوب، وهذا يدفعك إلى الهروب من أي مهمة توكل إليك.
- الانطوائية والتقوقع والعيش في

عزلة ونفور من الناس.
- الفشل المتكرر في الأعمال والمهام.
- الصدمات النفسية المتتابعة.
- الصمت أو الاندفاعية أمام التعرض للإهانة.

الوسائل والخطوات المعينة على تحقيق الثقة

انعدام الثقة ظاهرة خطيرة انتشرت في أيامنا انتشارًا واسعًا، فيجب التركيز على طرق استعادة الثقة، ومن تلك الوسائل:

- الوسيلة الأولى: الصدق، صدق اللجوء إلى ربك وطلب العون منه، والصدق مع نفسك بإلزامها معالي الأمور، والسعي الحثيث في تحقيق أهدافك دون تردد أو تراجع، والصدق مع من حولك بقبول نصحهم وتوجيهاتهم وانتقادهم.
- الوسيلة الثانية: قبولك لذاتك دون أية شروط مسبقة؛ كن أنت كما أنت، وإن لم تثق بنفسك فمن ذا الذي سيثق بك؟ فلكل إنسان ميزة تميزه عن غيره، فضع بصمتك في هذه الحياة، فإنك إن لم تزد فيها فأنت زائد عليها.
- الوسيلة الثالثة: طوِّر نقاط قوتك، وتغلب على نقاط ضعفك، فلا يوجد إنسان ضعيف، بل يوجد إنسان يجهل موطن قوته، فلا يكاد يخلو إنسان من مواهب وقدرات منحه الله إياها وفضله بها عن غيره، ولكن من المؤسف أن البعض قد يأتيه الموت ومازالت تلك المواهب حبيسة في داخله لم يكتشفها بعد.

ومن هنا كانت المواهب والقدرات لكل شخص هي عين قوته، فبادر لاكتشاف مواهبك وقدراتك، واصنع بها مستقبلك، واكتب قصة نجاحك بيدك، وأتح لنفسك فرصة الانتصار.. وفي المقابل لا يخلو إنسان من نقاط ضعف، والحاذق من بادر بالإصلاح وتغلب على ضعفه.

- الوسيلة الرابعة: اقرأ وتثقف؛ فالعلم يصنع المعجزات، وينور الفكر، ويشرح البال، ويجعلك ذا قيمة وشخصية تحظى بالمحبة والاحترام، تحس بأنك أصبحت إنسانًا قويًا بما تحمله من علم، وهذا الشعور بلا شك يعزز فيك الثقة.
- الوسيلة الخامسة: الاحتفاظ بالهدوء عند سماع النقد، فالأشخاص الواثقون بأنفسهم يتقبلون النقد بصدرٍ رحبٍ، ولا يفقدون أعصابهم عند سماعه.
- الوسيلة السادسة: التحلي بالحكمة تجاه كل من أساء إليك، فالاندفاعية دليل بارز على فقدان ثقتك بنفسك.
- الوسيلة السابعة: مطالعة قصص وسير أصحاب الثقة العالية وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم السلام، والصحابة-رضي الله عنهم- والتابعين والعلماء المعاصرين.

كيف تبني الثقة فيمن حولك؟!

من حولك زوجتك.. أبناؤك.. إخوانك.. طلابك.. أنت بحاجة لأن تجعل منهم أفرادًا نافعين لدينهم وأمتهم.. وأن تصنع فيهم التميز والإبداع. وإليك عشر خطوات نحو التميّز في بناء الثقة فيمن حولك:

الأولى: علّقهم بالله، فما أعظم أن يتعلق الإنسان بربه، وأن تكون سبب تعلقه بربه، فها هو الصديق مع صاحبه في الغار يقول: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فجاءه الجواب الشافي: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

الثانية: اشحذ همّتهم، «يا عمر ما رآك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا آخر»! وهكذا صار عمر الأمير الملهم المحدَّث، وفي يوم بدرٍ يشحذ ﷺ الهمم قائلًا: «من يقاتلهم وله الجنة»؟ فقال عمير ابن الحمام: بخ.. بخ إنها لحياة طويلة حتى آكل هذه التمرات، وفي يوم أحد: «ارمِ سعد.. فداك أبي وأمي»!!

الثالثة: عزز جانب النقص فيهم: يصعد مرة الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على شجرة فتتلاعب الريح بساقيه فيضحك بعض الصحابة من دقّتهما، فيقول الإمام المربي ﷺ: «أتضحكون من دقة ساقيه؟ والله إنها عند الله أثقل من جبل أحد»، يريد ﷺ أن يعلمنا كيف نعزز جانب النقص فيمن حولنا، والنقص قد يكون فطريًا جبليًا، عززه بما يكمله، وإن كان هذا التعزيز شعورًا نفسيًا فقد يوفي بالغرض.

الرابعة: احترم جهدهم، يختصم شابان فتيان عند رسول الله ﷺ يوم بدر أيّهم قتل أبا جهل؟ فيطلب ﷺ سيفيهما فيرى عليهما آثار الدماء فيقول: «كلاكما قتله».

إن احترام جهود الآخرين- مهما قلّت أو دقّت- تبعث في قلوبهم الثقة فيما يقدمون عليه، فيصنعون ما لا يكون في الحسبان.

الخامسة: كلّف بالمستطاع، فقد قيل: إذا أردت أن تُطاع فأْمُر بما يُستطاع، فحتى لا يُصاب من حولك بالإحباط أو الفتور، وحتى لا يصيرون أسرى الضجر والملل، والتخبّط والفشل، تعرف على قدراتهم وإمكاناتهم، ثم اختر المناسب في المكان المناسب.. فحذيفة بن اليمان أمين السر، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول، وأبو هريرة المحدّث الحافظ.

السادسة: ثق بهم ليكونوا أوثق بأنفسهم، امنحهم ثقتك وحسن ظنك، وإيّاك أن تعلمهم الشك والريبة وتأويل الأفعال، حتى لا يصابوا بالجبن والخوف، فهذا أسامة بن زيد-رضي الله عنهما- على رأس جيش إلى الروم وفي الجيش كبار الصحابة، ومصعب سفير الإسلام إلى المدينة فينجح بالمهمة ويسلم كبار الأوس والخزرج على يده.

السابعة: صارحهم بما ترى فيهم من العيوب دون تشهير، وامزج مع صراحتك الحب لتكون أنفع، حين صلى الرسول ﷺ صلاة رباعية ركعتين قال له ذو اليدين بكل أدب وتوقير وصراحة: يا نبي الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال ﷺ: «لم أنس ولم تقصر». عندئذ أجاب الصحابة- رضي الله عنهم- بكل صراحة: بل نسيت يا رسول الله، فلم يعنفهم ولم يعتب عليهم ولم يستشعر حرجًا، فأكمل الصلاة وسجد للسهو.

وها هو الفاروق عمر حين قام رجل يأمره بتقوى الله فاعترض بعض الحاضرين، فقال عمر: دعوه فليقلها، لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نقبلها.

الثامنة: امنحهم فرصة التعبير عن شعورهم وأفكارهم بكل أريحية، يدخل شاب على رسولنا الكريم ﷺ وهو يقول: يا رسول الله إئذن لي في الزنا؟! فيدنيه منه ﷺ وهو يقول في شفقة وحب: «أترضاه لأمك؟ لأختك؟ وذلك الشاب يقول: لا لا. وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم وأخواتهم»، فيقوم الشاب من عنده ﷺ وأبغض شيء إلى قلبه الزنا.

التاسعة: لا تسخر منهم.. يشرب رجل الخمر فيؤتى به إلى النبي ﷺ فيجلده، فيقول أحدهم: ما أقبحه ما أكثر ما يؤتى به. فيقول ﷺ: «ما أعلم إلا أنه يحب الله ورسوله، لا تعينوا الشيطان على أخيكم»، ما أروع تلك الكلمات وما أشد وقعها في نفس ذلك الرجل، فلهي أشد من السياط.. فإياك والسخرية ممن حولك حين يخطئون، أو يحاولون الإبداع، فإنك تغتال طموحهم، وتقتل فيهم الإبداع وحب المبادرة وفرحة الإنجاز ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ..﴾.

العاشرة: علّمهم كيف يبدعون، كيف ينجزون، كيف يتخلصون من مشاكلهم، وعليك بالتوجيه والنصح، والمساعدة والعون، وكن فيمن حولك رحيمًا كما كان ﷺ وصحابته الأبرار، فهذا القعقاع بن عمرو التميمي يبدع في مواجهة الفيلة التي جلبها الفرس في القادسية، ويبتكر وسيلة للقضاء عليها فيأمر من معه بتصويب الرماح في أعينها حتى حقق المسلمون نصرهم المؤزر يومئذ.

خاتمة

وبالجملة فالثقة كلمة قليلة الحروف واسعة المعاني، وهي ليست صفة تولد مع الإنسان، لكنها تكتسب يومًا بعد يوم، وتحتاج إلى الوقت والصبر معًا، فأساس الثقة هو احترامك لذاتك.. فبقدر هذا الاحترام تزيد الثقة، فواثق الخطوة يمشي ملكا، فسر واثق الخطا، ثابت الجنان، موقد العزيمة، قوي الإرادة نحو تحقيق أهدافك، فالمقعد شاغر!! ولا أشك أنك أهل لملئه، فالسباق السباق، وكن على ثقة بربك وبدينك، وموعود الله لأمتك.. فالنصر حليفها بإذن الله.

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٣م

{ليشهدوا منافع لهم}..
قراءة في رؤية عصرية

عثمان إسماعيل
كاتب مصري

آن الأوان أن يتفهم المسلمون المفهوم العصري لفريضة الحج، والمقصود من ورائها وأدائها، بما يتلاءم ويتناسب وظروف حياتهم العصيبة شديدة التأزم التي يمرون بها، الأمر الذي جعل من الضروري أن نترجم تلك الفضيلة- من مناسك وشعائر وأحكام- إلى تطبيق فعلي على مستوى الفرد والشعوب، لأن هذا الجمع الإسلامي السنوي المهيب كفيل بأن يستغله المسلمون لمناقشة أمور دينهم ودنياهم.. مناقشة أساسها الحوار النافع، وتقبل الحوار المثمر، خاصة بعد عودة هؤلاء الحجيج إلى ديارهم، وقد تمنوا غفران الذنوب، وشهدوا منافع لهم، وتحملوا ما تحملوا..

أتوا من كل بقاع الأرض، ومن كل فج عميق، شعثًا غبرًا، وقد طلقوا الدنيا بشهواتها ومتاعها، لا هدف لهم إلا رضا الله- عز وجل- وغفران الذنوب، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحج: ٢٨)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» (رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه).

ورغم أن فريضة الحج- في المقام الأول- صلح مع الله، وصلح مع النفس، فإن أسرارها وما وراءها من منافع يفوقان المصطلح اللفظي الذي يمارسه الحاج، بما يعيشه من تيه وفخر وتفاخر بأنه حج ولبى وزار قبر رسول الله ﷺ، أو أن يتباهى بأنه حج أكثر من مرة.

لقد آن الأوان بأن تدرك جموع المسلمين أن هذا المفهوم التقليدي لابد وأن ينحى جانبًا.. وأن يعيش المسلمون في جمعهم هذا وسط استحضار عظمة الله، ومعايشة سنة نبيه الكريم ﷺ ما يعانونه من حياة التأزم والصراع، ومشكلات الشعوب المسلمة..

آن الأوان أن يكون مؤتمر الحج منطلقًا لوجود حلول جوهرية وفعالة وفورية لمآسي الشعوب المسلمة الفقيرة، التي تستغلها قوى الصراع العالمي، وتجعلها ذليلة تحت مظلة الفقر والجوع والاحتياج، خاصة والمسلمون مستهدفون بضراوة وحقد شديد ليكونوا أشد فرقة وتمزيقًا، وهم يتعرضون للذبح والإبادة بصنوف الوسائل الدنيئة، التي تبعدهم عن عالم التقدم والتطور، لتكون الأمة الإسلامية مكبلة بالقيود والأغلال، محشورة في مرحلة الجمود، لا تستطيع الانفلات والتطلع- مثل باقي الأمم- إلى عالم التقدم والتطور.

آن الأوان أن يكون الحج منتدى للحوار والمصارحة، يتدارس فيه المسلمون شؤونهم، ويتبادلون الرأي في مشكلاتهم، ويبحثون ما يعن لهم من أمور الدين والدنيا، وهنا يجب أن

يغتنموا فرصة هذا اللقاء السنوي؛ توحيدًا للكلمة، وتأكيدًا لممارسة جادة لقوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.. لأن فريضة الحج، بما فيها من أحكام وأسرار وإعجاز إلهي، كافية بأن تضع صورة المسلم في إطار ما ينبغي عليه أن يكون، وأن تطور من مقصد تلك الرحلة لهؤلاء الحجيج، الذين بدأوا رحلتهم بغية الحج وقصد بيت الله الحرام، تلذذًا بفرحة قبول التوبة، ونقاء الضمير، وصفاء الروح الإنسانية.

إن تلك الجموع من الحجاج، وهذا المؤتمر الإسلامي، لابد أن يناله تطور المفهوم والقصد، بمعنى أن هذا المؤتمر ينبغي أن تتمخض عنه لجان تمثل كل دولة على حدة، لا فرق بين لغة أو لون أو جنس.. الكل سواء تحت لواء «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

آن الأوان أن تناقش تلك الشعوب أحوالها وأمورها الحياتية، من منطلق ما أمر الله تعالى به، وما نهى عنه، وما أوجزه رسول الله ﷺ في حديثه الشريف «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسنتي».

مؤتمر الحج السنوي فرصة لتشخيص مشكلات المسلمين وعلاجها

ومن هذه المبادئ والأمور الملحة التي يجب مناقشتها:

- مناقشة الوضع الراهن للدول الإسلامية على ساحة الحياة الدولية، وإعادة المكانة المرموقة لها، وسط تكتلات القوى العالمية، والتي تهدف إلى تهميش العالم الإسلامي، والنيل من قدراته بكل الصور الممكنة.. هنا، لابد لدول العالم الإسلامي أن تستخدم ما تمتلك من أسلحة تتباين أنواعها، وما تستطيع من وسائل، للوقوف أمام هذا الأخطبوط الذي يحاول أن يمسك بتلابيب الدول الإسلامية، ويضعها تحت الاحتلال والسيطرة، بكل الأساليب الخبيثة والدنيئة الممكنة.
- الاستعانة بعلماء المسلمين وفقهاء الأمة؛ للحد من سيل الفتاوى والأحكام الدينية في مختلف مناحي الحياة، والوقوف أمام هوية «المفتي» وأثر «الفتوى»، فلابد للفقهاء أن يتّحدوا لتتوحد الأحكام، وذلك بتعيين مجلس فقهاء الأمة، وله مقره وعلماؤه واختصاصه واستقلاليته، خوفًا من تضليل العوام، والتلاعب بعقول البسطاء.
- وضع برامج مساعدات متنوعة للدول التي تخضع لخطر الاحتياج في كافة الأمور الحياتية، سواء معونات مادية أو معنوية، وتبادل الخبرات بين الدول التي تعاني فجوة في أمور يشوبها النقص والاحتياج.
- محاولة الإفادة من التراث الفكري للأمة الإسلامية، وإطلاع الأجيال عليه، وتفهمه وإدراكه، والعمل على الاستعانة به لتكوين الهوية الصحيحة لشباب الإسلام ورجال المسلمين، وإعادة صياغة هوية الأمة كما يصورها لنا هذا التراث العظيم.
- العمل على توحيد كلمة المسلمين، وجمع القوى المتفرقة تحت لواء واحد، والعمل على تحديد الهدف الذي تسعى إليه الكلمة، وهذا الاتحاد من الأسباب التي ترسخ لتلك الأمة من الأصول والدعائم ما يعيد لها عزها وشموخها وهويتها.
- نبذ الخلافات وألوان الشقاق أولًا بأول، بين من أسند إليهم أمر تلك الأمة، وعلى مستويات مسؤولياتهم، وعدم السماح لمثل تلك الأساليب المسمومة بأن تأخذ طرقها، وتتمكن من أهدافها، مع التصدي لها حفاظا على هويتنا، وبقاءً لأمتنا.
- الدعوة إلى تحقيق مبدأ التكاملية بين البلدان الإسلامية في شتى معالم الإنتاج، وتبادل الخبرات المختلفة، أملًا في بزوغ شمس نهضة جديدة، وبغية مستقبل عربي إسلامي زاهر، هدفه الاعتماد على الذات، ومقاومة صنوف الاحتكار العالمي إنتاجًا واستهلاكًا.
- الدعوة إلى مقاومة محاولات تهميش التعليم الديني خاصة، والعلوم العامة عمومًا في العالم الإسلامي، على أن يملكوا مهارة الجمع بين استيعاب تاريخ الأمة- سيرة وسنة

وفقهًا- وأرقى صنوف التقدم العلمي والبحثي في كافة المجالات، ووضع استراتيجية تعليمية تكاد تكون مشتركة بين البلدان الإسلامية، بغية التوحد في الفكر والثقافة وتطلعات الشعوب، ومحاولة خلق رأي عام لا يقهر.

- إيجاد هوية للإعلام الإسلامي هدفًا وآلية وتفعيلًا ومحتوى مساهمًا في بناء الشخصية الإسلامية، ومقاومًا للتحديات المختلفة التي يتعرض لها الإسلام، بأدوات مختلفة وأساليب متباينة، على أن يملك هذا الإعلام وحدة الهدف والطابع، وأن تكون استراتيجيته محددة، تعتمد على خطط زمنية لها طموحها المقصود.

وما ذكرناه من منافع مختلفة على سبيل المثال لا الحصر، وعلى المسلمين أن يتعايشوا، وأن يستفيدوا من تلك المنافع مع السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾.

على أن هذه المنافع لا تقتصر على التجارة أو الربح المادي فقط، كما فهمنا من تفاسير كثيرة للآية الكريمة، بل تمتد تلك المنافع في صميمها إلى معالجة تلك الأمراض التي تؤلم جسد العالم الإسلامي سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، على أن تكون الحلول ابتغاء مرضاة الله، بعيدة عن الأهواء الشخصية والمصالح الذاتية.

لقد تعود المتحدثون عن منافع الحج أن يقصروا الحديث على الشعائر والمناسك والتوبة وغفران الذنوب، دون أن يتطرقوا إلى تصوير هذا التجاوب الفكري، وما يمكن أن يؤدي إليه من التئام الشمل، وتوحيد الصف، في عصر كثرت فيه السهام المسمومة المصوبة تجاه أمتنا.

ولنذكر في هذا الصدد ما كتبه الأستاذ محمد فريد وجدي في كتابه «من معالم الإسلام»: لو أردنا أن نستقصي ما يمكن أن يثمره الحج للمسلمين كافة، من وحدة المنافع الأدبية والمادية، لضاق علينا المجال، فإن لم يكن فيها إلا تعارف الشعوب الإسلامية، وإلمام بعضها بحاجات بعض لكفاها ذلك عاملًا قويًا في دفعها إلى تبادل الوسائل، والتعاون على سعة المفاقر، ولو جبلت جميعا على هذا النحو من التكافل لوصلت إلى مستوى رفيع بين شؤون العالم.

ولكن هذه الثمرات الاجتماعية الجليلة لا يمكن أن تكون إلا إذا تطورت فكرة الحج لدى المسلمين حتى تبلغ المفهوم من مراد الله تعالى، فإن المشاهد لدى أكثر المؤمنين الآن أنهم لا يلحظون فيه إلا الناحية الروحية وحدها، وكان لتجريده لهذه الناحية أثر ظاهر في حصره في طبقة من المسلمين لا تتعداها إلا نادرًا.

إن مؤتمر الحج السنوي لهو فرصة حقيقية للتعرف على أحوال المسلمين في جميع فجاج الأرض، ومحاولة واقعية لتشخيص ما يعترضهم من مشكلات، وما يؤلمهم من أمراض اجتماعية، ووضع أساليب العلاج لها بغية الحفاظ على هوية تلك الأمة وتطورها.

وعلى حجاج بيت الله الحرام أن يدركوا قيمة هذا الجمع العظيم، في تلك البقعة الطاهرة، صاحبة أول بيت وضع للناس؛ لتكون المحبة والمودة قائمة بين الشعوب، على مختلف ألسنتها وألوانها وأجناسها وعاداتها، لكن يجمعهم شيء واحد عظيم هو «الإسلام».. وكفى به نعمة.

إهداء إلى حـــ

أيها الحاج: هـــ

د.ماهر عباس جلال
باحث أكاديمي

أيها الحاج الذي خرجت من بيتك قاصدًا بيت الله الحرام، لابد لك من وقفة..

أيها الحاج الذي تجردت من متاع الدنيا وزخرفها، ولبست ملابس الإحرام والتقوى، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي تطهرت من ذنوبك، وتبرأت من عيوبك مع غسل الإحرام، ولبيت نداء الحق بصوت الإيمان والصدق، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي طفت بالبيت العتيق، وتمسحت بأركانه معلنًا تقصيرك، وشاكيًا كثرة ذنوبك، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي سعيت بين الصفا والمروة، متمثلًا سعيك بين الحياة الموت، وبين الخير والشر، وبين الشقاء والنعيم.. لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي بت بمنى ذاكرًا ربك، تغسل ذنوبك بدموع التوبة والندم، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي وقفت بعرفات تناجي ربك، وتستعظم ذنبك، وتشكو تقصيرك، وتعلن توبتك، وتعاهد على الاستقامة مولاك، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي رميت الشيطان بالجمرات، معلنًا انتصارك على نفسك وشيطانك وهواك، ومؤكدًا طاعتك لربك واستحقاقك الخلافة في الأرض، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي ضحيت بوقتك

حاج بيت الله العائدين..

هل لك بعد وقفة عرفات من وقفة؟

وراحتك ومالك ونفسك في سبيل الله، مؤثرًا ما عند الله على ما عندك، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي تخلصت من خطاياك مع كل شعرة تسقط من رأسك، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي طهرت أمعاءك وجوفك من كل معصية ودنس، مع كل شربة من ماء زمزم، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي وقفت خاشعًا بين يدي النبي ﷺ مسلمًا عليه، ومعتذرًا إليه، ومعاهدًا له على السمع والطاعة، راجيًا شفاعته، لابد لك من وقفة.

أيها الحاج الذي تؤم الفوز والفلاح في حياتك، لابد لك من وقفة.

ولكن.. أية وقفة؟

إنها وقفة مع النفس، ترسم فيها ملامح حياة إيمانية جديدة، وتخطط لطريق الطاعة والهداية، وتعرج على معارج اليقين إلى رضوان الله.. تجتنب ما كان منك من تقصير، وتكثر مما كنت تؤديه من طاعات، وتستدرك ما كان يفوتك من خيرات، تقف فيها أمام مرآة الحقيقة؛ لتعكس لك مظاهر قوتك، وترى فيها مواطن ضعفك، فتبني لنفسك حصونًا إيمانية، تحصنك ضد نزغات الشيطان، وهواجس نفسك، وزيغ الأهواء.. وقفة تحاسب فيها نفسك قبل أن تحاسب، وتحصي فيها ذنوبك قبل أن تحصى عليك، وتزن أعمالك قبل أن توزن عليك.

أيها الحاج: ما أحوجك وأحوجنا إلى هذه الوقفة!! نستبطن فيها ذواتنا، ونحاسب فيها أنفسنا، أليس الفارق بين الحياة والموت وقفة؟! وقفة تفجأ القلب، لينتقل الإنسان على إثرها من الحياة إلى الموت، وأليس الفارق بين النجاح والفشل وقفة؟! وقفة صدق من الإنسان مع نفسه.. يخطط ويجتهد فيكون النجاح، وآخر يهمل ويتكاسل فيكون الفشل.

وأليس الفارق بين الإيمان والكفر وقفة؟! وقفة وقفها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصدق وإخلاص مع نفسه، فخالطت قلبه بشاشة الإيمان، وتحول مجرى حياته؛ ليصير عمر رمز العدالة الإسلامية، وثاني الخلفاء الراشدين.

وأليس الفارق بين النصر والهزيمة وقفة؟! وقفة وقفها المسلمون بقيادة قطز في معركة «عين جالوت» مجددين عهد الطاعة مع الله، مخلصين له النوايا، فكان النصر المؤزر، الذي أنقذ البشرية جمعاء من طوفان التتار.

ثم أليس الفارق بين الحرية والاستبداد وقفة؟! وقفة صدق تقفها الشعوب في وجه استبداد الحكام وظلم الطغاة، فيتبدد ظلام الاستبداد والقهر، وتنقشع سحائب وغمائم الظلم والفساد، لتشرق شمس الحرية، ويضيء نور الإصلاح والعدالة البلاد.

أيها الحاج: لابد لك من وقفة بين يدي الحق في دار الحق، فانظر ماذا أنت قائل له؟ فإذا أردت أن تحسن الإجابة فأحسن العمل.

أيها الحاج: لابد لك من وقفة بين يدي المصطفى ﷺ، فإذا رجوت شفاعته فالزم سنته.

أيها الحاج: لابد لك من وقفة.. فقف مختارًا قبل أن تقف مجبرًا، وقف طوعًا قبل أن تقف كرهًا، وقف رغبًا قبل أن تقف رهبًا.

والآن، أيها الحاج: هل لك في وقفة؟!

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر-أكتوبر ٢٠١٣م

النيابة عن الميت في الحج الواجب

رشيد ناجي الحسن
باحث بوزارة الأوقاف الكويتية

لا خلاف بين جمهور الفقهاء على جواز النيابة عن الميت الموصي بالحج (١)، وإنما حصل الخلاف بينهم فيما إذا مات ولم يوص بأن يحج عنه، فانقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: وهم جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة، قالوا بجواز النيابة عن الميت في الحج الواجب، وإن لم يوص.

والفريق الثاني: وهم المالكية، قالوا بعدم جوازها، إلا إذا أوصى الميت به، فتصح لكن مع الكراهة. قال القرطبي رحمه الله في المفهم: وسبب الخلاف في هذه المسألة: ما قد أشرنا إليه من معارضة الظواهر بعضها بعضا، ومعارضة القياس لتلك الظواهر، واختلافهم في تصحيح حديثي جابر وابن عباس (٢).

وفيما يلي تفصيل المسألة، وأقوال الفقهاء من الفريقين، مع أدلة كل منهما، ومناقشتها: أما الأحناف فقد قال الكاساني الحنفي: من عليه الحجّ إذا مات قبل أدائه فلا يخلو: إمّا أنه مات من غير وصيّة، وإمّا إنه مات عن وصيّة، فإن مات من غير وصيّة أثم بلا خلاف.

أمّا على قول من يقول بالوجوب على الفور فلا يشكل، وأمّا على قول من يقول بالوجوب على التّراخي، فلأنّ الوجوب يضيق عليه في آخر العمر في وقت يحتمل الحجّ، وحرم عليه التّأخير فيجب عليه أن يفعل بنفسه إن كان قادرا، وإن كان عاجزا عن الفعل بنفسه عجزا مقرّرا، ويمكنه الأداء بماله بإنابة غيره مناب نفسه بالوصيّة، فيجب عليه أن يوصي به، فإن لم يوص به حتّى مات أثم بتفويته الفرض عن وقته مع إمكان الأداء في الجملة، فيأثم لكن يسقط عنه في حقّ أحكام الدّنيا عندنا، حتّى لا يلزم الوارث الحجّ عنه من تركته، لأنّه عبادة، والعبادات تسقط بموت من عليه، سواء كانت بدنيّة أو ماليّة في حقّ أحكام الدّنيا عندنا.

ثم قال: وإن مات عن وصيّة لا يسقط الحجّ عنه، ويجب أن يحجّ عنه؛ لأنّ الوصيّة بالحجّ قد صحّت، فتخرج من تركته (٣).

وقال السرخسي رحمه الله: الصّحيح من المذهب فيمن حجّ عن غيره أنّ أصل الحجّ يكون عن المحجوج عنه، وأنّ إنفاق الحاجّ من مال المحجوج عنه كإنفاق المحجوج عنه (٤).

أمّا الشافعية فقد قال النووي في المجموع ما نصه: (مذهبنا المشهور أنه إن مات وعليه حجّ الاسلام، أو قضاء، أو نذر، وجب قضاؤها من تركته، أوصى بها أم لم يوص. قال ابن المنذر:

وبه قال عطاء وابن سيرين، وروي عن أبي هريرة وابن عباس، وهو قول أبي حنيفة وأبي ثور وابن المنذر. وقال النخعي وابن أبى ذئب: لا يحج أحد عن أحد (٥).

وقالوا: من وجب عليه الحج فلم يحج حتى مات ينظر: إن مات قبل أن يتمكن من الأداء سقط فرضه، ولم يجب القضاء.

وإن مات بعد التمكن من الأداء، لم يسقط الفرض، ويجب قضاؤه من تركته، ويجوز للوارث والأجنبي الحج عنه، سواء أوصى به أم لا (٦).

قال الإمام الشافعي رحمه الله في الأم- كتاب الحج: لا أعلم أحدا نسب إلى علم ببلد يعرف أهله بالعلم خالفنا في أن يحج عن المرء إذا مات الحجة الواجبة عنه، إلا بعض من أدركنا بالمدينة وأعلام أهل المدينة والأكابر من ماضي فقهائهم تأمر به مع سنة رسول الله ﷺ، ثم أمر علي بن أبي طالب وابن عباس به وغير واحد من أصحاب النبي ﷺ وابن المسيب وربيعة (٧).

أما الحنابلة فقالوا (٨): من توفي قبل أن يحج الحج الواجب عليه، سواء كان ذلك بعذر أو بغير عذر، وجب أن يخرج من جميع ماله نفقة حجّة وعمرة، ولو لم يوص، لأنه دين مستقر عليه، فيكون من رأس ماله كدين الآدمي، وقد قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله﴾، والأمر يدل على الوجوب، ولأنه حق استقر عليه تدخله النيابة، فلم يسقط بالموت كالدين، والعمرة كالحج في القضاء فإنها واجبة، وقد أمر النبيّ ﷺ أبا رزين فقال: (حج عن أبيك واعتمر) (٩).

قال ابن قدامة: فأما الميت فيجوز عنه بغير إذن، واجبا كان أو تطوعا،لأنّ النبيّ ﷺ أمر بالحج عن الميت، وقد علم أنه لا إذن له، وما جاز فرضه جاز نفله (١٠).

وسواء فيما مرّ في المذاهب حجّ الفريضة وحجّ النّذر. والعمرة في ذلك كالحجّ. (١١).

وأما الفريق الثاني وهم المالكية: فالمشهور عندهم أنّه لا تجوز النّيابة في الحجّ مطلقا، وقيل تصحّ النّيابة في الحجّ لغير المستطيع.

ولذا فقد ذهب مالك على المعتمد في مذهبه إلى أنّ الحجّ لا يقبل النّيابة لا عن الحّي ولا عن المّيت، معذورا أو غير معذور. وقالوا: إنّ الأفضل أن يتطوّع عنه وليّه بغير الحجّ، كأن يهدي أو يتصدّق عنه، أو يدعو له، أو يعتق (١٢).

وقال المالكيّة أيضا: من وجب عليه الحجّ وهو قادر على الحجّ بنفسه وحضره الموت فلا يجب عليه الوصيّة بالإحجاج عنه، ولا يسقط عنه الفرض بأداء الغير عنه، لكن إذا أوصى فتصح مع الكراهة، وتنفذ من ثلث ماله، وإن لم يوص لم يرسل من يحجّ عنه. والكلام في العمرة عندهم كالكلام في الحج التطوع (١٣)، لأنها عبادة بدنية وشأنهما واحد، فما جاز من ذلك في الحج جاز في العمرة، وما منع منع(١٤). وبناء على ما تقدم قال المالكية في حكم حجة المستناب(١٥):

١ – لا تسقط حجة الإسلام عمن حج عنه، سواء كان حيا أو ميتا، وسواء أوصى بها قبل موته أم لم يوص بها.

٢ – لا تكتب حجة تطوع لمن حج عنه، سواء كان حيا أم ميتا وسواء أوصى بها قبل موته أم لم يوص بها.

٣ – تكتب حجة تطوع للمستناب بأية نية أداها المستنيب.

٤ – يكتب لمن حج عنه ثواب مساعدة المستناب على الحج، ويكسب بركة الدعاء.

وها هنا دقيقة مهمة جدا يجب التنبه إليها، وهي أنّ هناك فرقا بين النيابة والاستنابة، قال الشيخ أبوبكر الطرطوشي في تعليقة الخلاف: النيابة وقوع الحج من المحجوج عنه، وسقوط الفرض عنه، وأما الاستنابة فهي جواز الفعل من الغير فقط. يريد بالغير(المستنيب) (١٦).

أدلة الفريقين ومناقشتها

استدل الجمهور على مشروعيّة حجّ الإنسان عن غيره بالسّنّة الثّابتة المشهورة، وبالعقل.

أما من السنة فاستدلوا بما يلي:

الدليل الأول: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إنّ أبي أدركته فريضة الله في الحج شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: حجي عنه. متفق عليه قال ابن العربي: حديث الخثعمية أصل متفق على صحته في الحج، خارج عن القاعدة المستقرة في الشريعة من أنّ ليس للإنسان إلا ما سعى، رفقا من الله في استدراك ما فرط فيه المرء بولده وماله (١٧).

رد المالكية: قال القرافي رحمه الله: وجوابه: أنّ هذا لم يجب عليه الحجّ لما ذكرت من العجز، فنقول بموجبه لأنه ينتفع بالدعاء وبالنفقة. وتشبيهه بالدين من جهة حصول الثواب، والقياس يعضدنا لأنه أفعال بدنية كالصلاة، ولقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ آل عمران ٩٧. ولم يقل: إحجاج البيت، وإذا لم يجب الإحجاج، والأصل عدم دليل يدل على مشروعيته، فيكون فعله عبثا فيكره، ولقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان

إلا ما سعى﴾ النجم ٣٩، وللمعارضة بعمل أهل المدينة (١٨).

وادعى بعض المالكية أنّ هذه القصة مختصة بالخثعمية، كما اختص سالم مولى أبي حذيفة بجواز إرضاع الكبير، حكاه عنه ابن عبدالبر. وتعقب بأنّ الأصل عدم الخصوصية. واحتجّ بعضهم لذلك بما رواه عبدالملك بن حبيب صاحب الواضحة بإسنادين مرسلين، فزاد في الحديث (حج عنه وليس لأحد بعده)، ولا حجة فيه لضعف الإسناد مع إرسالهما، وقد عارضه قوله في حديث الجهنية في باب الحج والنذر عن الميت عند البخاري (اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء). وادعى آخرون منهم أنّ ذلك خاص بالابن يحج عن أبيه، قال في الفتح ولا يخفى أنه جمود (١٩).

وقال القرطبي: رأى مالك أنّ ظاهر حديث الخثعمية مخالف لظاهر القرآن، يعني قوله تعالى: ﴿ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾ فرجح ظاهر القرآن (٢٠).

ولكنه يقال هو عموم مخصوص بأحاديث الباب، ولا تعارض بين عام وخاص.

ورد ابن حزم فقال: هذه السورة التي فيها هذه الآية مكّيّة بلا خلاف، وهذه الأحاديث كانت في حجّة الوداع. فصحّ أنّ الله تعالى بعد أن لم يجعل للإنسان إلاّ ما سعى، تفضّل على عباده وجعل لهم ما سعى فيه غيرهم عنهم بهذه النّصوص الثّابتة، وهم (أي: المالكية) يجيزون الحجّ، عن الميّت إذا أوصى بذلك، والصّدقة عن الحيّ والميّت، والعتق عنهما، أوصيا بذلك أو لم يوصيا، ولا يعترضون في ذلك بهذه الآية!

فإن قالوا: لمّا أوصى بالحجّ كان ممّا سعى.

قلنا لهم: فأوجبوا بذلك أن يصام عنه إذا أوصى بذلك؛ لأنه ممّا سعى. فإن قالوا: عمل الأبدان لا يعمله أحد عن أحد. قلنا: ومن أين قلتم هذا؟ بل كلّ عمل إذا أمر النّبيّ ﷺ به أن يعمله المرء عن غيره، وجب ذلك على رغم أنف المعاند، فإن قالوا: قياسا على الصّلاة قلنا: القياس كلّه باطل، ثمّ لو صحّ لكان هذا عليكم لا لكم؛ لأنكم لا تختلفون في جواز أن يصلّي المرء الّذي يحجّ عن غيره ركعتين عند المقام، عن المحجوج عنه، فقد جوّزتم أن يصلّي النّاس بعضهم عن بعض، فقيسوا على ذلك سائر أعمال الأبدان (٢١).

وأجاب بعض المالكية عن حديث الخثعمية بأن ذلك وقع من السائل على جهة التبرع، وليس في شيء من طرقه تصريح بالوجوب، وبأنها عبادة بدنية، فلا تصح النيابة فيها كالصلاة (٢٢)، ويجاب: بأنّ قياس الحج على الصلاة لا يصح، لأن عبادة الحج مالية بدنية معا، فلا يترجح إلحاقها بالصلاة على إلحاقها بالزكاة.

الدليل الثاني: حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إنّي تصدّقت على أمّي بجارية، وإنّها ماتت، قال، فقال: وجب أجرك وردّها عليك الميراث، قالت: يا رسول الله: إنّه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: صومي عنها، قالت: إنّها لم تحجّ قطّ أفأحجّ عنها؟ قال حجّي عنها. رواه مسلم رقم ١١٤٩

قال النووي رحمه الله: في الحديث دلالة ظاهرة لمذهب الشّافعيّ والجمهور، أنّ النّيابة في الحجّ جائزة عن الميّت (٢٣).

رد المالكية: اعتذر القاضي عياض رحمه الله عن مخالفة مذهبهم لهذه الأحاديث في الصّوم عن الميّت والحجّ عنه، بأنّه مضطرب، قال النووي رحمه الله: وهذا عذر باطل،وليس في الحديث اضطراب، وإنّما فيه اختلاف جمعنا بينه كما سبق، ويكفي في صحّته احتجاج مسلم به في صحيحه. والله أعلم (٢٤).

الدليل الثالث: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ امرأة من جهينة جاءت إلى النّبيّ ﷺ فقالت: إنّ أمّي نذرت أن تحجّ فلم تحجّ حتّى ماتت أفأحجّ عنها ؟ قال ﷺ: نعم حجّي عنها، أرأيت لو كان على أمّك دين أكنت قاضيته ؟.. اقضوا الله، فالله أحقّ بالوفاء) (٢٥).

قال الشوكاني: والحديث يدل على صحة الحج عن الميت من الوارث وغيره، لعدم استفصاله ﷺ للأخ هل هو وارث أولا، وترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال، كما تقرر في الأصول وشبهه بالدين (٢٦). حيث قاس رسول الله ﷺ حقّ الله في حج النذر على حق المخلوق الذي هو الدّين فكأنه يقول: يجب قضاء حج النذر عن الميت، كما يجب قضاء دينه بجامع انشغال ذمّته بالحق في كلّ.

ردّ المالكية: أجابوا بأنّ الحجّ أعمال بدنية، وإن كانت تحتاج إلى مال، والأعمال البدنية تسقط بالموت، فلا وجوب لعمل بعد الموت، والذي يحج عنه متطوع وفاعل خيرا. قالوا: ووجه تشبيهه بالدين انتفاع كلّ منهما بذلك الفعل، فالمدين ينتفع بقضاء الدين عنه، والميت ينتفع بالحج عنه، ولا يلزم من قضاء الدين عن أحد أن القضاء عنه واجب، بل يجوز أن يكون قضاؤه

عنه غير واجب عليه (٢٧).

كما استدلّ الجمهور بالعقل، فقال الكمال بن الهمام:مقتضى القياس أن لا تجري النّيابة في الحجّ، لتضمّنه المشقّتين البدنيّة والماليّة، والأولى لم تقم بالآمر، لكنّه تعالى رخّص في إسقاطه بتحمّل المشقّة الأخرى، أعني إخراج المال عند العجز المستمرّ إلى الموت، رحمة وفضلا، وذلك بأن يدفع نفقة الحجّ إلى من يحجّ عنه، بخلاف حال القدرة فإنّه لم يعذره، لأنّ تركه ليس إلّا لمجرّد إيثار راحة نفسه على أمر ربّه، وهو بهذا يستحقّ العقاب، لا التّخفيف في طريق الإسقاط، وإنّما شرط دوامه (أي العذر) إلى الموت، لأنّ الحجّ فرض العمر (٢٨). وقال ابن قدامة: هذه عبادة تجب بإفسادها الكفّارة، فجاز أن يقوم غير فعله فيها مقام فعله، كالصّوم إذا عجز عنه افتدى بخلاف الصّلاة (٢٩).

ثمّ إنّ النبيّ ﷺ قاس حقّ الله في حج النذر على حق المخلوق الذي هو الدّين فكأنه يقول: يجب قضاء حج النذر عن الميت، كما يجب قضاء دينه بجامع انشغال ذمّته بالحق في كلّ.

أدلة الفريق الثاني: استدل المالكية باستنباطات دون نصوص، فقال القرافي في أنوار البروق: ومن الأفعال قسم متردّد بين هذين القسمين فتختلف العلماء رحمهم اللّه في أيّ الشّائبتين تغلّب عليه كالحجّ فإنّ مصالحه تأديب النّفس بمفارقة الأوطان وتهذيبها بالخروج عن المعتاد من المخيط وغيره، لتذكّر المعاد والاندراج في الأكفان،.... وهذه مصالح لا تحصى ولا تصلح إلّا للمباشر كالصّلاة في حكمها ومصالحها، فمن لاحظ هذا المعنى، وهو مالك رضي الله عنه ومن وافقه قالوا: لا تجوز النّيابة في الحجّ، ومن لاحظ الفرق بين الحجّ والصّلاة ومشابهة النّسك في الماليّة فإنّ الحجّ لا يعرى عن القربة الماليّة غالبا في الإنفاق في الأسفار قال: تجوز النّيابة في الحجّ، والشّائبة الأولى أقوى وأظهر، وهي الّتي تحصل في الحجّ بالذّات، والماليّة إنّما حصلت بطريق العرض كما تحصل فيمن احتاج للرّكوب إلى الجمعات فاكترى لذلك، فإنّ الماليّة عارضة في الجمعات، ولا تصحّ النّيابة فيها إجماعا، فكذلك ينبغي في الحجّ، وهو الأظهر، وبه يظهر رجحان مذهب مالك رحمه اللّه على غيره واللّه سبحانه أعلم (٣٠).

المناقشة والترجيح

مما سبق يتبين لنا رجحان أدلة الجمهور في مشروعية النيابة عن الميت في الحج الواجب، وذلك لأمور:

● منها: أن الجمهور اعتمدوا على أحاديث صحيحة وصريحة في ذلك، بينما لم نجد عند الفريق الثاني وهم المالكية أي نص صحيح أو صريح. وغاية ما استدلوا به إنما هو استنباطات وتعليلات عقلية لا تقوى على مناهضة النصوص الصحيحة.

● ومنها: ضعف قول المالكية بتخصيصهم جواز الحجّ إذا أوصى به، إذ انه لا يوجد في شيء من النّصوص، ولا يحفظ عن أحد من الصّحابة، ولا يوجبه قياس؛ لأنّ الوصيّة لا تجوز إلّا فيما يجوز للإنسان أن يأمر به في حياته بلا خلاف.

● ومنها: التضارب الذي نراه في بعض أقوالهم، قال الشافعي في الأم:ثم عاد (أي فريق المالكية) فقال بما عاب من حج المرء عن غيره حيث لو تركه كان أجوز له، وتركه حيث لا يجوز تركه، فقال: «إذا أوصى الرجل أن يحج عنه حج عنه من ماله»، وأصل مذهبه أن لا يحج أحد عن أحد، كما لا يصلي أحد عن أحد! (٣١). وقال ابن حزم: وقالوا: لمّا كان الحجّ فيه مدخل للمال في جبره بالهدي والإطعام جاز أن يعمله بعض النّاس عن بعض قلنا: ومن أين لكم هذا الحكم؟ ثمّ قد تناقضتم فيه؛ لأنّ الصّيام فيه مدخل للمال في جبره بالعتق والإطعام، ولا فرق، وفي وجوب زكاة الفطر من صومه، فأجيزوا لذلك أن يعمله بعض النّاس عن بعض (٣٢).

● ومنها: أن ما ذهب إليه الجمهور هو قول كثير من الصحابة والتابعين كابن عبّاس، وأبي هريرة، وعليّ، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وابن سيرين، وسعيد بن المسيّب، وعبدالله ابن طاووس: وروي أيضا: عن سفيان الثّوريّ، والأوزاعيّ، وابن أبي ليلى، وإسحاق.

● الملاحظ في الشرع أنّ النيابة في الحج أوسع منها في الصيام، كما أنّ النيابة في الصيام أوسع من الصلاة، بل في الصلاة (لا يصلي أحد عن أحد)، فهي أضيق العبادات في النيابة، يليها الصيام (من مات وعليه صوم صام عنه وليه)، ثم الحج أوسع من الصيام (فدين الله أحق بالوفاء).

● قال الإمام القرطبي وهو مالكي المذهب، وبالإجماع:لو مات ميت وعليه دين لم يجب على وليه قضاؤه من ماله، فإن تطوع بذلك تأدّى الدين عنه. ولا يبعد في كرم الله وفضله إذا حجّ الوليّ عن الميت الضّرورة أن يعفو الله عن الميت بذلك، ويثيبه عليه، أو لا يطالبه بتفريطه(٣٣).

ولقائل أن يقول: قد صحّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (لا يصومنّ أحد عن أحد، ولا يحجّنّ أحد عن

أحد)، فما جوابكم؟ قلنا له: نعم، هذا صحيح عنه، وأنتم مخالفون له في ذلك؛ لأنكم تجيزون الحجّ عن الميّت إذا أوصى بذلك. وقد قال الشافعي رحمه الله: وهو (أي: المعترض) يروي عن ابن عمر ثلاثة وستين حديثا يخالف ابن عمر فيها منها ما يدعه لما جاء عن النبي ﷺ، ومنها ما يدعه لما جاء عن بعض أصحاب النبي ﷺ، ومنها ما يدعه لقول رجل من التابعين، ومنها ما يدعه لرأي نفسه. فكيف جاز لأحد نسب نفسه إلى علم أن يحل قول ابن عمر عنده في هذا المحل ثم يجعله حجة على السنة ولا يجعله حجة على قول نفسه!(٣٤).

الهوامش

١ – المبسوط،السرخسي،ج٤/١٤٧، الاختيار لتعليل المختار، عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي ج٦/٣٢٦، الشرح الصغير بهامش بلغة السالك،ج١/٢٤٧،حاشية الدسوقي، محمد عرفه الدسوقي،ج٢/٢١٨.

٢ – المفهم لما أشكل في صحيح مسلم، القرطبي،١/١١.

٣– بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، ج٢/٢٢١–٢٢٢.

٤ – المبسوط، السرخسي، ج٤/١٤٧.

٥ – المجموع،النووي،ج٧/٨٣.

٦ – المجموع،النووي،ج٧/٧٧، الشرح الكبير للرافعي،٧/٤٤، مغني المحتاج، الخطيب الشربيني، ج١/٤٦٩.

٧ – الأم، محمد بن إدريس الشافعي، ج٢/١١٥.

٨ – المغني، ابن قدامة،ج٣/١٠١ومابعدها، كشاف القناع، البهوتي، ج٢/٣٩٣.

٩ – رواه الإمام أحمد في (مسند المدنيين) حديث أبي رزين العقيلي برقم ١٥٧٥١، والنسائي في (المناسك) باب وجوب العمرة برقم ٢٦٢١.

١٠ – الشرح الكبير، ابن قدامة،٣/١٨٤،العدة شرح العمدة، ابن قدامة،١/١٥٥.

١١ – البدائع ٢/ ٢١٢ و٥/ ٩٦،رد المحتار، ابن عابدين، ٤/ ٢٤٤ وما بعدها، ومغني المحتاج ١/ ٤٦٩ و٤/ ٣٦٤، والمغني ٣/ ٢٢٧ وما بعدها

١٢– مواهب الجليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي٢/ ٥٤٣، حاشية الدسوقي ج٢/ ١١، منح الجليل، محمد عليش،٢/ ٢١٣ – ٢١٤

١٣ – يجوز عند الحنفيّة والحنابلة والمالكيّة مع الكراهة الاستنابة في حجّ تطوّع لم يوص به الميّت، وكذا التّطوّع عنه بلا استنابة، وذهب الشّافعيّة إلى أنّه لا تجوز الاستنابة فيه،أمّا إذا أوصى الميّت بحجّ التّطوّع عنه فيرى الحنفيّة والمالكيّة والحنابلة وفي الأصحّ عند الشّافعيّة جواز الاستنابة، وفي قول عند الشّافعيّة منع الاستنابة فيه، لأنّه إنّما جاز الاستنابة في الفرض للضّرورة، ولا يجوز في النّفل. الفتاوى الهندية١/ ٢٥٨، وكشاف القناع ٢/ ٣٩٧، والخرشي ٢/ ٢٨٩، المجموع ٧/ ١١٤، حاشية ابن عابدين ١/ ٢٣٨، وفتح القدير ٣/ ١٤٤، ومواهب الجليل ٣/ ٣، والمغني ٣/ ٢٤٤.

١٤– مواهب الجليل شرح خليل، ٤/٤.

١٥ – فقه العبادات على المذهب المالكي، كوكب عبيد،٢٣٧.

١٦ – مواهب الجليل شرح خليل، ٤/٤.

١٧ – فتح الباري،٤/٦٩، شرح ابن بطال على البخاري:٤/٥٢٧.

١٨ – الذخيرة، القرافي،ج٣/١٩٣.

١٩ – مرعاة المفاتيح،المباركفوري، ٨/٦٩١.

٢٠ – نيل الاوطار،الشوكاني،٥/١٠.

٢١ – المحلى، ابن حزم،٧/٥٣–٦١.

٢٢– مشكاة المصابيح، التبريزي ، ٨/٦٩٣.

٢٣– شرح صحيح مسلم، النووي،٤/١٤٤.

٢٤ – المرجع السابق،٤/١٤٤.

٢٥ – أخرجه البخاري في كتاب «الحج»، باب «الحج والنذور عن الميت» ١٨٥٢، وقال الصنعاني في شرح البلوغ:١/١٤، وفي الحديث إشكال: فإنّ الحج قد فرض على القول الراجح في السنة التاسعة، فكيف تنذر أن تحج والحج فرض عليها! فيمكن الإجابة عن هذا أن يقال: لعل هذه المرأة حجت في السنة التاسعة، ونذرت أن تحج في السنة العاشرة مع النبي ﷺ، وإلا فلو لم تحج في السنة التاسعة، فالحج فريضة عليها،فيمكن أن يقال: هذا القول يؤيده أن تحج على التراخي، فلعلها نذرت أن تحج في السنة العاشرة، وعينت السنة فماتت قبل أن تحج.

٢٦ – نيل الأوطار،٥/٨.

٢٧ – مشكاة المصابيح،٨/٨٥٠.

٢٨– فتح القدير، ابن الهمام، ٢/ ٣١٠.

٢٩– المغني ٣/ ٢٢٨.

٣٠ – أنوار البروق في أنواع الفروق، القرافي،٤/٢٢٠.

٣١ – الأم، ج٢/١١٥.

٣٢ – المحلى،٧/٥٣–٦١.

٣٣– المفهم،١٠/١٥٠، و(وقوله) كالضرورة هو بفتح الصاد المهملة، وهو الذي لم يحج حجة الاسلام، وقد ثبت في سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال (لا ضرورة في الاسلام) قال العلماء لا يبقى أحد في الاسلام بلا حج ولا يحل لمستطيع تركه.

٣٤– الأم، ج٢/١١٥.

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٣م

حقيقة الارتباط بين الإسلام والعمران الشامل

نبيه فرج الحصري - كاتب مصري

هل كان الدين الإسلامي الذي تأسس بعد نزول القرآن على محمد بن عبدالله ﷺ مرتبطًا بنمط مختلف من الاتجاه للتعمير الشامل، وبناء المدن الجديدة، وما ارتبط بذلك من فنون؟

هل كان الدين الإسلامي مختلفًا بالفعل عما سبقه من شرائع سماوية- كاليهودية والنصرانية- في نظرته وتناول متبعيه لقضية البناء والتعمير والتشييد؟

بالطبع، ارتبط بالشرائع السماوية السابقة على الإسلام نوع من الإنشاء والتعمير، فهل كان هذا الارتباط على نفس القوة والمستوى اللذين تواكبا مع الدين الإسلامي أم لا؟

في واقع الأمر اختلف الوضع كثيرًا لمجموعة أسباب منها:

١- أن اليهودية مثلا كانت سببًا في تأسيس مملكة أورشليم فيما بعد، على يد سليمان عليه السلام الذي سخر الله له الجن ليصنع له ما يشاء، إذ يقول عز وجل في كتابه الكريم: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ (سبأ: ١٣)، إشارة إلى أنواع من الأبنية والمنشآت المعمارية ارتبطت بمملكة أورشليم التي حكمها سليمان عليه السلام.

وفي قصة ملكة سبأ كذلك ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤)، إشارة إلى الصرح الممرد أو المصنوع من الزجاج، والذي كان غاية في الإبداع والجمال، والذي احتواه قصر سليمان عليه السلام.

ولكن اليهودية لم تحكم أكثر من هذا الإطار المكاني والزماني، إذ لم تتوسع عن ذلك، ولم يتح لها أن تحكم على الأرض ذلك الحكم المستقر الذي حظي به الإسلام، وسرعان ما قضي على المملكة على يد نبوخذ نصر فيما أطلق عليه فترة السبي البابلي.

٢- أن المسيحية أيضًا كدين قد شاء الله لها أن تواكب قدرًا كبيرًا من الالتباس والغموض والصراع عبر تاريخها.

فما يصوغه مجمع كنسي لا يقبله مجمع كنسي آخر، وإذا قبله لا يفهمه، وإذا فهمه البعض وفق مفهوم محدد فهمه آخرون بمفهوم مختلف.

٣-إن اليهودية والمسيحية قد نشأتا في مجتمعات هي في حد ذاتها كانت دولا عامرة، كمصر والشام، وتتواجد بها مدن وأبنية وأنظمة معمارية، يختلف ذلك عن الجزيرة العربية التي لم تعرف الاستقرار والتمدن قبل الإسلام، ولذا تولى الإسلام مهمة إحداث هذا الإعمار والإنشاء الكبير، على مستوى واسع في المنطقة.

٤- إن الإسلام قد احتوى على أنظمة وتشريعات قابلة للتطبيق المباشر، قابلة للفهم والاستيعاب، متناغمة مع العقل البشري، خالية من الالتباس والغموض.. مما هيأ للمسلمين الفرصة للانطلاق في مجال الإنشاء والتعمير منذ وقت مبكر، خاصة في ظل الانتصارات المتتالية للمسلمين على أعدائهم، وتمتع المجتمع الإسلامي بالاستقرار الداعم لعملية البناء والتعمير.

٥-لاقى الإسلام قبولا في مناطق جديدة من العالم توصف بأنها «بكر» من ناحية البيئة، ومن ناحية سكانها كذلك.

فقد انضوت تحت لوائه مناطق لم تعرف الدين قبل ذلك من القارة الأفريقية والقارة الأسيوية، ومع حالة التمدن والاتجاه نحو العلم التي يفرضها الإسلام ويشجع عليها، بدأت هذه المجتمعات البكر تتجه نحو الانتظام في البينة المعمارية الإسلامية الجديدة، والمتمثلة في ضرورة تواجد مسجد أو مساجد في المنطقة الواحدة، على حسب مساحتها، بالإضافة إلى بيت أو دار للمال، ودار للحكم، وأخرى للقضاء والفتيا في أمور الدين.

أضف إلى ذلك الكتاتيب أو الأماكن المخصصة لتحفيظ القرآن، وتعليم اللغة العربية، والعلوم الشرعية الإسلامية.

وكل ذلك اصطبغ بلمسة معمارية إسلامية جديدة، مختلفة عما قبلها من اللمحات أو اللمسات المعمارية لغير المسلمين.

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٣م

واقع أطفالنا في العالم العربي اليوم

د.آندي حجازي
أستاذة علم النفس التربوي

الطفولة تعني الفرح والمرح والضحك واللعب والنظرات البريئة، وتعني الأمل والنوايا الطيبة والتسامح والمحبة الحقيقية، والـلاحقد واللاحسد واللاكراهية، وتعني الحيوية والنشاط والحركة والسعادة، واللامسؤولية، والطمأنينة في العيش في كنف الكبار.. لكن أطفالنا في العالم العربي والإسلامي اليوم ما بين شقي وسعيد، سعيد في حياته الدنيا، وتعيس في حياته الدنيوية!

النوع الأول: الطفل السعيد

وهو الطفل الذي يعيش في كنف والديه يجلبان له كل ما يحتاج من طعام وشراب ومسكن ومأكل ووسائل تعليم وترفيه وتكنولوجيا، يعيش في ظل أسرة ترعاه، وتقدم له الحب والحنان، وأحيانا الحزم والشدة، ولكنه في جميع الأحوال تتحقق مطالبه وحاجاته ورغباته، في ظل أسرة متفهمة تدرك حاجات الطفولة، وتقدم جاهدة كل ما يسعد ابنها من حاجات وترفيه وخدمات ورعاية ورفاهية.

هـؤلاء أطفال سعداء في حياتهم؛ فقد لاقوا أبوين متفهمين لحاجتهم، يحملانهم على الجد والإخلاص والعمل والتفاؤل في الحياة، يتابعانهم في دراستهم، وفي أخطائهم وعيوبهم.. ويحاولان تصحيحها وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح، يحاول الأبوان في هذا النموذج أن يكونا أسرة سعيدة حانية متآلفة، فهي أسرة طامحة لأن تنشئ أبناءً منتجين أسوياء، مندمجين مع المجتمع.

ولا أزعم أن تلك الأسر قليلة في عالمنا العربي والإسلامي، بل ولله الحمد هي كثيرة، على الرغم من كثرة الضغوط المادية والاجتماعية التي قد تؤثر على سلوكات أبنائهم، ولكنها تبقى أسرًا طامحة للوصول إلى غايتها في تحقيق السعادة والرفاه، وفرص التعليم والتربية السليمة والحياة الجيدة لأبنائها، وفي محاولة منها ألا تنقلب بها السفينة فتغرق هي وأبناؤها، في ظل عالم تضرب به الأمواج من كل جانب، وكأنها تسبح معاكسة لاتجاه التيار في زمان كثرت فيه المغريات والفتن، فلا يحمي أبناءها من براثن التغيير والفساد إلا الله تعالى، بصدق نواياها وغايتها وأساليبها في التوجيه والإرشاد.

ولا يعني وجود الأب الحاني أو الأم المتفهمة ألا يعنفا أبناءهم عند الخطأ، أو أن يصمتا لهم عن باطل خوفًا من جرح مشاعرهم، أو تجنبًا لإشعارهم بالهم والحزن، فالتربية الصالحة تحتاج إلى المتابعة والتقويم والتوجيه، والتنويع في الأساليب ما بين الرخاء والشدة، فمثلا رسول الله ﷺ أمر بتعليم الأبناء الصلاة من عمر سبع سنوات، مبتدئين بأساليب تعليمية وتوجيهية مناسبة، كاستخدام المحفزات، فأفضل طرق تعليم الأطفال تكون باستخدام المعززات والحوافز المادية والمعنوية بسن مبكرة، وبالحوار والتوجيه عند المراهقة.

توصيات تقليل العنف ضد الأطفال تحتاج إلى متابعة

ثم جعل رسول الله ﷺ آخر وسيلة من وسائل التربية هي الضرب، والتي تكون بعد محاولات كثيرة للإصلاح والتحسين والتعديل في السلوك، ولم يبتدئ بها ﷺ مع الطفل في تعليم الصلاة، وقد وضع ضوابط للضرب.. فلا يكون مبرحًا أو مؤذيًا، وألا يترك أثرًا، ولا يكون إلا عند نفاذ جميع المحاولات في ثلاث سنوات من السابعة حتى العاشرة، فبعد العاشرة- عندما يكون الوالدان قد جربا كل الطرق مع الطفل- فقد يلجأون لذلك.

النوع الثاني: الطفل التعيس

الأطفال الذين يعيشون في كنف والديهم، ويعيشون حياة أسرية طبيعية هم السعداء في حياتهم.. لكن المشكلة تكمن في النوع الثاني من الأطفال، وهم من يمكن تصنيفهم بالأشقياء أو التعساء أو البؤساء في حياتهم، فمن أين تأتي هذه التعاسة والبؤس؟

في الحقيقة تأتي من ظروف تنشئتهم أو حياتهم، وبمعاملة من حولهم لهم، ويصنفون على أنهم تعساء إذا ما وقعوا في واحدة من **التصنيفات** التالية:

أولا: طفل معنف من قبل أسرته.

ثانيًا: طفل لقيط أو مجهول الهوية (طفل الملجأ).
ثالثًا: طفل يتيم.
رابعًا: طفل فقير.
خامسًا: طفل عامل.
سادسًا: طفل مشرد (بلا مأوى).
سابعًا: طفل الحروب.

وما أكثر هؤلاء في عالمنا اليوم! ليس فقط في عالمنا العربي والإسلامي بل في كل أنحاء العالم، ولكن تختلف النسب باختلاف ظروف المجتمعات وباختلاف مستوى التقدم في المجتمعات، وتبعًا لظروف الأمن والاستقرار، وتبعًا لثقافة المجتمع ومعتقداته وطرق التنشئة فيه، ومدى التمسك بالأديان والمعتقدات.. ولنوضح أصناف هؤلاء التعساء من الأطفال.

أولًا: الطفل المعنف

هو الطفل- ذكرًا كان أو أنثى- الذي يعيش مع والديه أو أحدهما ضمن أسرة، لكنها تسيء معاملته، إما بالضرب أو الإهانة أو الإيذاء الجنسي له، أو التجريح اللفظي أو الإهانة النفسية والسخرية منه، أو الإهمال التام له ولحاجته من مأكل وملبس وتعليم وصحة.. وهذا الطفل غالبًا ما يعيش حياة قهر وظلم وفقد كبير للحنان، كالطفل الذي يعيش مع زوج أمه، أو زوجة أبيه، أو والد قاسي القلب، بعيد كل البعد عن أساليب التربية القويمة، وغالبًا ما يتعرض الطفل المعنف للضرب المبرح والإيذاء الجسدي الذي يترك أثرًا، أو الإيذاء الجنسي من أحد أفراد عائلته.

وقد عقدت نشاطات عدة على المستوى الدولي والعربي لإثارة قضية العنف ضد الأطفال، مثل لقاءات منتدى المجتمع المدني العربي للطفولة، ولقاءات لجنة الطفولة العربية، ولجنة وقف العنف ضد الأطفال، ساعية جميعها لهدف واحد، هو البحث عن سبل لتقليل العنف ضد الأطفال بأشكاله الجسدية والنفسية والاجتماعية والجنسية والمدرسية.. خارجة بقرارات متنوعة، ولكنها تحتاج لمتابعة حثيثة لتطبيق مضامينها.

ثانيًا: الطفل اللقيط

وهو الطفل الذي جاء إلى هذه الحياة دون رغبة والديه، وغالبًا يكون ذلك بارتكاب محرم بينهما دون علاقة شرعية، فيكون القرار التخلص منه بأسهل الطرق، وما أكثر هؤلاء في الدول الغربية، وهم أقل في بلادنا العربية والحمد لله، ولكن الطفل ينشأ هنا ضحية خطأ ارتكبه رجل وامرأة، ويبقى على الطفل تحمل نتائج ذلك الخطأ طوال حياته، فيعيش في ملجأ أو في شارع بلا مأوى، وبلا معرفة ابن من يكون، فيا لها من حياة تعيسة بلا والدين، وبلا مأوى، وبلا رأفة من قلب حنان! أو دون أحد ينفق عليه ويرعى شؤونه، ويرى متطلبات حياته!

وتشير الدراسات إلى أن اللقطاء يعانون من الانعزال والسلوك العدواني والعناد، والسلس البولي أحيانا، واضطرابات النطق، وتأخر دراسي يساعد على تفاقم مشاعر الدونية وقلة الثقة بالنفس.

وتشير تقديرات اليونيسيف (منظمة الأمم المتحدة للطفولة) إلى وجود أكثر من ٣٠٠ ألف طفل في الشرق الوسط وإفريقيا في عام ٢٠٠٩ يعيشون في دور الرعاية الداخلية، وقد تكون هذه الأرقام أقل من الواقع بكثير.

ثالثًا: أطفال الشوارع

وتشمل الطفل المشرد، والطفل اليتيم، والطفل الفقير، والطفل العامل..

كل هؤلاء الأطفال البؤساء، وبسبب نقص في تلبية حاجاتهم النفسية والجسدية والمادية، قد يصبحون من أطفال الشوارع- كما يطلق عليهم- يقضون إما كل نهارهم في الشارع بحثًا عن الرزق والمال رغمًا عنهم، ليعودوا إلى بيت أو ملجأ ينامون فيه ويقضون ليلهم به! أو أنهم يقضون

ليلهم ونهارهم في الشارع مع أسرة أو بلا أسرة، بمفردهم أو مع جماعات من أمثالهم من الأطفال المشردين، ويا له من مستقبل ينتظرهم! بلا تعليم، بلا رعاية صحية، بلا حقوق، بلا مرب أو راع لهم ولحقوقهم!

والآن، ومع تعدد أنواع الأسلحة في العالم، فإن المعارك والحروب تزيد من أعداد هؤلاء الأطفال، فماذا ستخلف الحروب غير طفولة مشردة ودمار وتفكك للأسر؟! فالكثير من الأطفال، ممن فقد أسرته أو والده في تلك المعارك، يصبح مأواه الشارع، يبحث عن رزق يعيل به أسرته وإخوته، أو على الأقل نفسه.. ولنفكر فيما سيتعرض له الطفل في الشارع من الأخلاق السيئة، والكلام البذيء، والاستغلال، والكذب، والخداع، وإضاعة الوقت، والتحرش الجنسي، وتعلم فنون الجريمة كالسرقة والتدخين والمخدرات.. والتعرض للأخطار والأمراض والأوبئة والإهانة، والأسوأ هو المستقبل الضائع، فلا أمل في حياة أفضل!

ومن أسباب تفاقم ظاهرة «أطفال الشوارع» في عالمنا العربي والإسلامي اليوم:

الفقر، والبطالة، والحروب، وتفكك الأسرة بالطلاق، أو بوفاة أحد الوالدين، أو تعدد الزوجات، وضعف التوجيه والتربية والرقابة الأسرية، والخلافات بين الزوجين، وانتشار العنف ضد النساء أمام الأبناء، وسوء معاملة الأطفال وردود الفعل العنيفة من الوالدين الذي يصل إلى حد التعذيب الخطر، مع ضعف الوازع الديني للوالدين..

وتقدر منظمة العمل الدولية عام ٢٠١١ أن هناك نحو ٢١٥ مليون طفل دون سن ١٨ عامًا في جميع أنحاء العالم يعملون، ويعمل كثير منهم بدوام كامل.

وفي إفريقيا يعمل واحد من كل ٤ أطفال تتراوح أعمارهم بين ٥ و١٧ عامًا، مقارنة بواحد من كل ٨ أطفال يعملون في آسيا والمحيط الهادي.

ووفقا لتقرير نشر على الجزيرة نت عام ٢٠٠٩ فإن إحصاءات «المجلس العربي للطفولة والتنمية» تذكر أن عدد أطفال الشوارع في العالم العربي يتراوح بين سبعة وعشرة ملايين طفل، أي أننا أمام ملايين القنابل الموقوتة الناتجة عن مشاكل الفقر والبطالة، التي تؤدي مباشرة للتفكك الأسري، ومن ثم وجود أطفال يخشاهم المجتمع، وتغفل عنهم الحكومات.. يهيمون في الشوارع ليتم استخدامهم في الدعارة، وبيع الأعضاء، وترويج المخدرات، والتسول، فظاهرة أطفال الشوارع ظاهرة عالمية.

وتؤكد دراسة، قام بها أستاذ الاجتماع في مصر د.محمد فهمي، أن سوء المعاملة لهؤلاء الأطفال وراء هروبهم من البيت، حيث بلغت نسبتهم ٦١٪ من نسبة الأطفال المشردين، وأن ٦٧٪ من الأطفال طردوا من المدرسة من الصف الرابع أو نهاية المرحلة الابتدائية، وأن أغلب أطفال الشوارع جاءوا من بيوت فقيرة وصلت إلى ٦٤٪ من أطفال الشوارع.

رابعًا: أطفال الحروب

وهم من فئة الأطفال التعساء الذين يقعون- بسبب الحروب أو الاحتلال في بلادهم- ضمن فئة القتلى والجرحى والمعتقلين والمصابين بجروح أو إعاقات دائمة، أو المهجرين من بلادهم المشردين عنها.

فالحروب والمعارك غالبًا ما تخلف وراءها أطفالا قتلى وجرحى ومعتقلين وذوي إصابات وإعاقات جسدية ونفسية.. فيكونون هم الضحية الأولى، أو يصبحون أطفالا أيتامًا، أو مشردين فقدوا أسرتهم أو أحد والديهم، ولم يعد لهم بيت أو مسكن يلجأون إليه، وقد يصبحون مستقبلاً أطفال شوارع.

فكم هي طفولة تعيسة أن تنام وتستيقظ على أصوات المدافع والطائرات تجوب سماء بلادك! تقذف يمنة ويسرى بلا رحمة أو هوادة! وكم هي طفولة بائسة أن تجلس فوق أكوام منزلك وقد فقدت والديك أو أحدهما أو أسرتك بأكملها! أو وجدت نفسك خارج وطنك في خيمة مع والديك أو بدونهم! فكم سيكون حجم المرارة لدى هؤلاء؟ وكم ستستمر تلك الصور في مخيلة هؤلاء الأطفال؟ وإلى أي عمر ستؤثر مشاهد الحرب والدمار في مجرى حياتهم؟ وكم يحتاج هؤلاء الأطفال إلى برامج لإعادة التأهيل النفسي؟ وكم يحتاج هؤلاء الأبرياء منا إلى الحب والتفهم والدعم المادي والمعنوي والجسدي؟ وكم يحتاجون لكل أنواع الرعاية والدعم والإنفاق؟ ولكن السؤال: هل يجدون شيئًا من هذا في عالمنا اليوم؟!

وتذكر اليونيسيف في تقريرها حول حماية الطفولة: أن ٢٠ مليون طفل تقريبا في العالم مشردون حاليًا من جراء الصراعات المسلحة، أو انتهاكات حقوق الإنسان، وثلثاهم مشردون داخليّا ضمن حدود بلادهم، وأن هؤلاء الأطفال يضطرون إلى الفرار من ديارهم، وكثيرًا ما يقطعون مسافات كبيرة هربًا من نيران العدو، فيصبحون الأكثر تعرضًا للعنف والمرض وسوء التغذية والموت.

وتشير إحصاءات اليونيسيف أن حروب العالم بالقرن الماضي قتلت مليون طفل ويتمت مثلهم، وأصابت ٤,٥ مليون بالإعاقة، وشردت ١٢ مليون طفل، وعمرضت ١٠ ملايين طفل للاكتئاب والصدمات النفسية، وأن الجزء الأكبر من هذه الأرقام يقع في بلدان العرب والمسلمين.

إن أخطر آثار الحروب على الأطفال ليس ما يظهر منهم وقت الحرب، بل ما يظهر لاحقًا في جيل كامل ممن نجوا من الحرب، وقد حملوا معهم مشكلات نفسية لا حصر لها. ويركز علماء النفس والتربية على تلك الآثار السلبية للحروب على الأطفال، كالصدمة، والتي يصاحبها خوف مزمن (فوبيا) من الأحداث والأشخاص والأشياء التي تزامن وجودها مع الحرب، كصفارات الإنذار، وصوت الطائرات، الجنود.. فيقابلها الطفل بالبكاء أو العنف أو الغضب أو الاكتئاب الشديد.. وتزداد آثار الصدمة عند مشاهدة الطفل لحالات وفاة مروعة، أو جثث مشوهة لأقارب له، فإنها يمكن أن تؤثر على قدراته العقلية، وتتسبب بمشكلات عصبية ونفسية، مثل الحركات اللاإرادية، وقلة الشهية للطعام، والانعزال، والتشاؤم واليأس، وسرعة ضربات القلب أحيانا..

مقترحات على طريق تخفيف معاناة الأطفال التعساء

نستطيع أن نبني عالما أفضل للأجيال القادمة، إذا استجمعنا العزم على ذلك، بما يلي:

- النظر بعين الرأفة والرحمة للأطفال ولمعنى الطفولة، والاقتداء بسيد البشر رسول الله ﷺ في كيفية معاملته للأطفال، ورأفته وشفقته بهم، وسلامه عليهم والسماح لهم باللعب، كما كان يسمح لزوجته عائشة- رضي الله عنها- باللعب حينما كانت صغيرة تحب اللعب مع رفيقاتها بالدمى.
- الالتزام باتفاقيات حقوق الأطفال، ونشرها بكل الطرق، وتوعية المجتمع بها، وتعليمها في المدارس؛ من أجل أن يعرف الأطفال حقوقهم.
- أن تعمل الحكومات على الاستفادة

على الحكومات الاستفادة القصوى من وسائل الإعلام للتوعية بمعنى الطفولة

من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة في نشر التوعية بمعنى الطفولة، وبقضايا الأطفال وحقوقهم كالتعليم والصحة والمأوى.. ونشر ثقافة اللاعنف ضد الأطفال، والتخفيف من استغلالهم كعمالة وكمجندين في المعارك، أو للسرقات وبيع المخدرات والدخان، أو الاتجار بهم وبأعضائهم.. وتوضيح العقوبات التي ستقع على مرتكبي ذلك.

- تطبيق العقوبات بحق المخالفين من الأفراد أو الجماعات التي تعرض الأطفال للعنف أو القتل أو المخاطر، أو السلوكات اللاأخلاقية، ومعاقبة الآباء الذين يزجون بأبنائهم في الشارع للعمل، أو بسبب العنف الصادر منهم والإيذاء بأنواعه.
- محاربة الفقر في الدول النامية من قبل الحكومات ورجال الأعمال، حيث إن الفقر هو سبب رئيسي في قضية تشغيل الأطفال والزج بهم في الشوارع، واستغلالهم بطرق لا إنسانية.
- نشر جمعيات الدفاع عن حقوق الأطفال ومراكز تلقي شكاوى الأطفال في كل مدينة عربية وإسلامية وبكل قرية؛ من أجل أن يلجأ إليها الأطفال في حال تعرضهم للعنف الأسري أو المجتمعي، وأن يكون لها دور فاعل في التصدي لمرتكبي المخالفات.
- الاهتمام أكثر بتعليم الأطفال، وخاصة في الدول النامية، من خلال إنشاء عدد كاف من المدارس، وإلزام الأطفال في جميع أعمارهم بالدراسة فيها، مع دعم الدول الغنية والمنظمات الدولية للدول الفقيرة في إنشاء المدارس.
- قيام الحكومات بدورها فيما يتعلق بظاهرة أطفال الشوارع، بتجميع هؤلاء الأطفال في دور رعاية ومدارس خاصة لتعليمهم، والإنفاق عليهم، ورعايتهم والاهتمام بشؤونهم، أو تعليمهم مهنًا صناعية بدلا من أن يقضوا جل طفولتهم في الشارع.
- معاقبة أصحاب العمل الذين يشغلون الأطفال في أعمال تعرضهم للاستغلال البدني والنفسي والجنسي، أو تعرضهم لإرهاق شديد أكثر من طاقتهم، أو لساعات عمل طويلة أو متأخرة، أو العمل في بيئة غير صحية أو غير آمنة، كمرتفعات، أو باستخدام أدوات حادة، أو أعمال غير مشروعة كبيع المخدرات والدخان.. وإصدار قوانين بحق من يخالف ذلك.
- إشراك الأطباء والأخصائيين النفسيين في عمل برامج للعلاج النفسي لأطفال الشوارع، وأطفال الحروب، والأطفال المعنفين، وكل من أطلقنا عليهم الأطفال التعساء، ومحاولة إعادة تأهيلهم ودمجهم في المجتمع.
- زيادة الجهود في وسائل الإعلام للحد من انتشار الطلاق والتفكك والعنف الأسري، وأثر كل ذلك على الطفل أو من حوله، وتوعية الوالدين بمخاطر الطلاق على الأطفال.
- عقد المزيد من المؤتمرات الدولية العربية والإسلامية التي تتعلق بقضايا الأطفال التعساء البؤساء؛ من أجل مناقشة تلك القضايا والحلول؛ وتبادل الخبرات بشأن أساليب مواجهة هذه المشكلات، وتشكيل لجان لتنفيذ القرارات والتوصيات.

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر-أكتوبر ٢٠١٣م

مسؤولية المجرم النائم

د. رضا عبدالحكيم رضوان
باحث أكاديمي

ثمة إعجاز تشريعي في حديث رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق» (١)

وقد فطن سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام زمن الرسالة، إلى فرضية ارتكاب النائم جرائم، ونص صلوات الله وسلامه عليه، على انعدام مسؤوليته الجنائية عن أفعاله «حتى يستيقظ»، لانتفاء الإرادة والاختيار بفعل حالة النوم التي يكون عليها الجاني.

لم يكن أحد على عهد رسولنا ﷺ يتصور فرضية جناية النائم، ورغم ذلك تناولها العلماء، وقاسوا جريمة النائم (على فرض حدوث ذلك) على جريمة المجنون، التزاما منهم بتحكيم كل ما صدر عن النبي ﷺ، لذا صاغ الفقهاء نظرية «انعدام مسؤولية النائم» في ضوء الحديث النبوي الشريف. ولم يكن لهذه الحالة تجارب واقعية فجر الرسالة.

كان على البشرية أن تنتظر أربعة عشر قرنا من الزمان، حتى يتكشف أمامها معجزة النص التشريعي، عندما تدخل شراح القانون الجنائي لبحث مسؤولية أشخاص ارتكبوا جرائم وهم نائمون، وذلك على سند من بحوث علمية نشرتها كبرى الدوريات المتخصصة مثل مجلة العلوم الأميركية Scientific American، وبحث آخر نشرته مجلة علم الأعصاب: الدماغ journal brain.

النوم

لكن ما هو النوم؟ تقول لنا المعاجم: (نام) فلان نوما: اضطجع أو نعس. (المنام): النوم وموضع النوم. (النوم): فترة راحة للبدن والعقل، تغيب خلالها الإرادة والوعي جزئيا أو كليا، وتتوقف فيها جزئيا الوظائف البدنية (٢)، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبأ: ٩)، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (الروم: ٢٣) وقوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (القلم: ١٩). وفي النوم تقع الأحلام، قال بعزته: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢). والعزيز سبحانه منزه عن النوم، قال تبارك: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

والنوم فطرة يخص الخالق بها خلقه كي تستقيم بيولوجية المخلوق ويؤدي وظائفه كما سوّاها الخالق، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٧)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩). وقوله: ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ﴾ (الأنبياء: ٤٧) وقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (الأعلى: ١-٣). وقوله تبارك: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس: ٧).

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبأ: ٩)، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٤٧). في اللغة: سبت سبتا: نام. (السبات): الراحة والنومة الخفيفة، كنوم المريض، والشيخ المسن. والسبات في الطب: حالة يفقد فيها المريض وعيه فقدانا تاما، ولا يفيق منها بأقوى المنبهات، وهو خلاف الإغماء (٣). قوله «نشورًا» أي: بعثهم وأحياهم (٤). والمقصود: اليقظة والسعي في أرض الله نهارًا، بعكس الليل المخصص للنوم الذي تستقر به الصحة وتستكين به النفس، وتتزن- كنتيجة لذلك- الحالة الذهنية والمزاجية والعصبية.

التنويم المغناطيسي

والنوم خلقه الله لضبط إيقاعات الساعة البيولوجية لمخلوقاته، ويأتي بصفة تراتبية وسيرورة طبيعية، لا دخل لغير الله في إيقاعه. بعكس «التنويم المغناطيسي»، عند علماء النفس والأعصاب والدماغ، فهو حالة تأثرية، يظهر فيها النوم على الوسيط تأثرًا بإيحاء النوم وتوجيهه إياه إلى الفكرة المقصودة، ويكون الوسيط في أثنائها خالي الذهن من هذه الفكرة (٥).

ومن آثار التنويم المغناطيسي، أن يذهب المرء في سبات عميق متجردًا من كل إرادة وحرية، وفي الطب ثبت في كثير من الأحوال فعالية التنويم المغناطيسي في إزالة الشعور بالألم، ومن ثم أجرى الأطباء علاجاتهم على الشخص تحت تأثير التنويم المغناطيسي، كعلاج الصداع النصفي والأرق والربو والمخاوف المرضية، ويغني المريض عن استعمال المسكنات وفي مقاومة الإصابة بالعدوى وفي توسيع الأوعية الدموية، وبحسب بعض النظريات يعمل التنويم المغناطيسي على تبديل الإدراك، بحيث لا يستجيب العقل للألم أو الغثيان، ولعل أغربها إجراء جراحات على بدن الإنسان المنوم مغناطيسيا، ودون أن يشعر بالألم، ويتحقق الشفاء من عند الله.

وخلال العقود المنصرمة احتكمت بعض التحقيقات الجنائية في بعض الدول إلى نتائج التنويم المغناطيسي، في شأن إثبات التهمة ضد المتهم أو الحصول على اعترافه، أو التيقن من أقوال الشهود أو المجني عليه في بعض

فلاسفة القانون الحديث اكتشفوا أن «خطل النوم» قد يؤدي إلى جرائم لا يمكن محاسبة مرتكبيها

الحالات.. بيد أن هذه الأساليب لم تلق قبولا قضائيا، ولم تعترف المحاكم بحجية الأدلة المستمدة من التنويم المغناطيسي، مما دعا نظم التحقيقات الجنائية إلى هجر هذه الوسيلة، خاصة بعد أن تدخلت النظم القانونية لتحرم استخدام التنويم المغناطيسي في التحقيقات الجنائية، وتقرر عقوبة جنائية ضد من يباشرها باعتبار أن ذلك اعتداء على الحقوق الشخصية.

السير في أثناء النوم

الاصل في النائم، مرقده في فراشه.. بيد أنه ظهرت متلازمة لبعض الأشخاص يسيرون وهم نائمون سماها الطب الحديث Somnambulisme وترجمتها الاصطلاحية «السير نومي»، وكما تقول التقارير التخصصية: «هي حالة مرضية تصنف عند البعض ضمن أشكال الهستيريا، وعند البعض الآخر ضمن أشكال الصرع، يسير فيها المريض ويتجول وهو نائم، بسبب بقاء نشاط القوى الحركية، وتعطل الشعور أثناء النوم، وتتصف بالنسيان بعد اليقظة». وهي أكثر اضطرابات النوم إثارة للدهشة، كونها سلوكا غير طبيعي، يبدو السائر في حالة من اليقظة الجزئية الشبيهة بحالة التنويم، ويكون تنسيق حركاته مكتملا، ويكون قادرا على المشي وفتح الباب، رغم أن حركاته بطيئة وغير دقيقة، ويمكن أحيانا أن يجيب على الأسئلة باقتضاب، إلا أنه يبقى في حالة لامبالاة بما يحيط به، عدا ذلك لا يحتفظ عموما بأية ذكرى عن مشاويره الليلية، وغالبًا ما تحدث عوارض «السير نومي» خلال الجزء الأول من الليل، حين يغط الشخص في نوم بطيء عميق. ويشبه السائرون النيام الأطفال الرضع على صعيد حالات اليقظة المتكررة خلال النوم العميق ذي الموجات البطيئة (على مخطط كهربائية الدماغ).

ارتكاب جريمة أثناء النوم

نظر القضاء الأميركي أول واقعة إجرامية من هذا النوع في عام ١٨٤٦م، حين اتهم أحد الأشخاص بقتل فتاة ليل بقطع رأسها بموس حلاقة. وقد احتج دفاع المتهم أمام قضاء الحكم بأن الجاني ارتكب فعله وهو في حالة «سير نومي»، وبالتالي طالب بتبرئته لانعدام إدراكه.

في تورنتو بكندا مثل شخص أمام القضاء في عام ١٩٨٧م اتهم بقيادة سيارته لمسافة ١٤ ميلا ثم قتل حماته، وزعم أن كل ذلك قد جرى لاشعوريا في أثناء نومه، وبناء على ذلك حصلت تبرئته.

نشرت مجلة الأعصاب: الدماغ journal brain في عام ٢٠١٠م بحثا سردت فيه ٢١ حالة بُرئ المتهمون في ثلث عددها تقريبا. وقد سجلت حالات عنف غير قاتل وسلوك جنسي غير مشروع ارتكبها أشخاص وهم نائمون. وفي استطلاع هاتفي أجري في

الولايات المتحدة في تسعينيات القرن المنصرم، حيث يعاني ٤٠ مليون أميركي اضطرابات النوم، تبين أن شخصين من كل مائة شخص قاما بإيذاء أنفسهما أو غيرهما في أثناء النوم.

إن السلوك غير المشروع الذي يرتكب أثناء النوم، كان محط اهتمام وتحليل بعض علماء التخصص الذين بادروا إلى إنشاء وتأسيس مكتب تحريات جنائية، يتولاه مجموعة تدعى «رابطة طب النوم الجنائي الشرعي» Sleep forensics Associates. وهذا المكتب معترف به في الولايات المتحدة ويستعان بخبراته أمام القضاء عند اللزوم، ومن حق الدفاع في حالات معينة الاستعانة بالآراء الاستشارية وتقارير الرابطة.. باشرت هذه الرابطة من خلال مكتبها فحص أكثر من ٢٥٠ حالة، والتي اصطلح على تسميتها بـ«خطل النوم» (وهو مصطلح تنضوي تحته السلوكات غير المرغوب فيها أثناء النوم)، وتبدو أهمية عمل خبراء الرابطة في أنهم يستطيعون فحص مدى اضطرابات النوم لدى الجاني، وتأكيد أو نفي مسؤوليته عن أفعاله بحسب تشخيص حالته إيجابا أو سلبا، ولهم في ذلك أدواتهم العلمية التخصصية من خلال الاستعانة بنظرية تسمى نظرية النوم الموضعي Local sleep theory. حيث تقول هذه النظرية، إنه: «يمكن لأجزاء من الدماغ أن تكون نائمة، في حين تظل أجزاء أخرى منه منتبهة «فعلى فرض صحة هذه النظرية فإنه يمكن تفسير السلوك غير المشروع لأولئك المصابين باضطرابات خطل النوم يذكر أن نظرية النوم الموضعي هذه قد اعتمدها المجتمع العلمي في عام ١٩٩٣م في ضوء تقارير الباحثين المرموقين بجامعة واشنطن في سبوكن، لقد أحدثت هذه النظرية ثورة في علم النوم، فالمستقر عليه أصلا عند العلماء، أن المرء إما أن يكون نائما أو مستيقظا، لا وسط بينهما، فالعلماء يقسمون حالة اللاوعي إلى دورات نوم ذات حركات عينية سريعة، وأخرى ذات حركات غير سريعة، ويقسمون الأخيرة إلى ثلاث مراحل جزئية، لتكون دورات النوم مقسمة إلى خمسة، وأن النوم واليقظة هما حالتان متمايزتان تفصل بينهما حدود معروفة تماما. وبالتالي طبقا للنظرية الجديدة كما يؤكد الباحثون: «إذا كانت فرضية النوم الجزئي هذه صحيحة، أمكن لبعض أجزاء الدماغ أن تكون نائمة في الوقت الذي نبدو فيه مستيقظين فعلا، والعكس صحيح».. نتيجة هذا، يمكن للنظرية أن تفسر سبب إمكان ارتكاب بعض الأشخاص في حالات معينة جرائم خطيرة في أثناء النوم، قد تصل إلى القتل.

ولقد تم الاحتجاج عمليا بهذه النظرية أمام محكمة مينيسوتا بالولايات المتحدة عام ٢٠٠٦م في شأن فحص حالة متهم مصاب بخطل النوم، حيث تمسك دفاع المتهم والذي كان مسندًا إليه قيامه بقتل زوجته بأنه تنعدم مسؤوليته الجنائية، لارتكاب فعله في حالة لاشعورية، وأنه غير مدرك لتصرفاته، مما يتعين على القضاء الاستجابة وتبرئة الجاني، استنادا إلى إصابته بخطل النوم.

المسؤولية الجنائية في الشريعة

من الثابت المحقق أن الآيات القرآنية قد سجلت كل أصول نظرية المسؤولية الجنائية قبل أن ينادي بها فلاسفة القرن الثامن عشر في أوروبا باثني عشر قرنا، إذ يقوم التشريع الجنائي الإسلامي على تقسيم ثلاثي لكل من الجرائم والعقوبات، روعيت فيه- بالنظر إلى الحقوق التي تنشأ عن أفعال الإنسان وتصرفاته- التفرقة من ناحية بين حقوق الله وحقوق العبد (أي الفرد)، والتفرقة من ناحية أخرى بين هذه الحقوق كلها وبين حقوق المجتمع، فمن الجرائم ما تنشأ عنه حقوق في العقاب خالصة لله أو يغلب فيها حق الله تعالى، وهذه هي جرائم الحدود. ومنها على العكس جرائم يقتصر ضررها المباشر على أفراد الناس، حيث تصيبهم الجريمة في أشخاصهم (أي في حياتهم) أو أبدانهم، ومن ثم فإن العقاب عليها يتعلق بحق العباد سواء بصفة مطلقة أو بنسبة غالبة، تبعًا لما إذا كان الضرر فرديا خالصا أو تغلب عليه هذه الصفة، وهذه هي جرائم القصاص والدية. ومن الجرائم أخيرا ما لا صلة له في الأصل بحقوق الله أو حقوق الأفراد، وإنما هي جرائم فيها انتهاك للقيم الاجتماعية المتعارف عليها، أو اعتداء على أنظمة المجتمع المتغيرة في المكان والزمان، وهذه هي جرائم «التعزير».

وقد نص رسول الله ﷺ كما جاء بصدر الدراسة على عدم المسؤولية الجنائية للنائم، قبل أن يؤسس فلاسفة القانون نظريتهم

الجنائية، وقبل أن يسبر علماء طب النوم أساس انعدام مسؤولية المصابين بخطل النوم، ويختبروا أدوات العلوم المطورة المعاصرة في بحث الإرادة والاختيار معيار تقييم مسؤولية الشخص عن فعله.

والمسؤولية هي اصطلاح يعني إلزام الإنسان بتحمل نتائج فعله، وأقواله المحرمة التي تصدر عنه، إذا كان مختارًا، ومدركًا لمعانيها ونتائجها، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، أي عن أعمالهم مؤاخذون بها(٦).

والعلم الحديث كما أثبتت الدراسة فسر ارتكاب النائم جرائم، وأن الجاني النائم- كما قرر علماء خطل النوم- غير مدرك لتصرفاته، مما يتعين استبعاد مسؤوليته عن فعله غير المشروع، ذلك الفعل الذي مارسه النائم حيث يجد تبريره في فرضية النوم الجزئي، تلك التي صاغها العلماء استنادا إلى نظرية النوم الموضعي، التي لا تستبعد إمكان ارتكاب الشخص جريمة وهو في حالة «سير نومي»، ليصبح من المؤكد توافر الإعجاز العلمي والتشريعي في نص الحديث النبوي الشريف.

يبقى أن نتعرف على نصوص الفقه الاسلامي في شأن تقييم المسؤولية الجنائية عن السلوك غير المشروع الذي يرتكبه النائم..

جاء في الشرح الكبير: لا خلاف بين أهل العلم في أنه لا قصاص على صبي ولا مجنون، وكذلك كل زائل العقل بسبب يتعذر فيه كالنائم والمغمى عليه ونحوهما(٧).

والذي توصل إليه علماء طب النوم الجنائي أن المصاب بخطل النوم قد يخرجه اضطرابه ومرضه عن حد العقل والإدراك، فهو في هذه الحالة بمنزلة «غير العاقل»، وحكمه كما نص ابن قدامة حكم المجنون. وللفقهاء قول في هذا، كما يلي: ذهب جمهور العلماء إلى جواز صحة سماع الدعوى على المجنون إذا كان مع المدعي بينة، قال بهذا المالكية(٨) والشافعية(٩) والحنابلة(١٠).

اتفق الفقهاء على أن المجنون لا يقتص منه إذا ارتكب جناية حال جنونه، سواء كان على النفس أو ما دونها(١١).

إذا ارتكب المجنون جريمة من جرائم الحدود، فإنه لا يقام عليه الحد، وذلك باتفاق العلماء(١٢).

استدل العلماء على هذا من الحديث: «عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فناداه فقال يا رسول الله إني زنيت، فأعرض عنه، فتنحى تلقاء وجهه. فقال له: يا رسول الله إني زنيت فأعرض عنه، حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه رسول الله ﷺ فقال: «أبِك جنون؟» قال: لا. قال: «فهل أحصنت؟» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «اذهبوا به فارجموه»(١٣).

وهكذا، قياسا على المجنون الذي ذهب عنه العقل والإدراك، لا يسأل الشخص عن سلوكه غير المشروع (حدا أو قصاصا أو تعزيرا)، إذا كان هذا السلوك قد ارتكب حال نوم الجاني، وصدق رب العالمين يقول في نبيه ﷺ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦).

الهوامش

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، ٤/٥٥٨، رقم ٤٣٩٨. والإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٠٠- ١٠١، والنسائي بهذا اللفظ في كتاب الطلاق/ باب من لا يقع طلاقه من الأزواج ٦/ ١٥٦، وابن ماجه في سننه في كتاب طلاق المعتوه والصغير والنائم، ١/٦٥٨، برقم ٢٠٤١. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في المستدرك ٢/ ٥٩.

(٢) معجم وجيز ٦٤٠، ٦٤١.

(٣) معجم وجيز ٣٠٠.

(٤) معجم وجيز ٦١٥.

(٥) معجم وجيز ٦٤٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٣١١- ٣١٢ وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٣١٩.

(٧) ابن قدامة المقدسي ٥/١٦٥.

(٨) التاج والإكليل، ٦/ ٤٤، وتبصرة الحكام لابن فرحون ١/٨٧.

(٩) المهذب للشيرازي، ٢/ ٣٠٤، ونهاية المحتاج للرملي، ٨/ ٢٥٧، ومغني المحتاج للشربيني، ٤/ ٤٠٧.

(١٠) الكافي لابن قدامة، ٤/ ٤٦٧، والمبدع لابن مفلح، ١٠/ ٩٠، وشرح منتهى الإرادات للبهوتي، ٣/ ٤٩٧.

(١١) المبسوط للسرخسي، ٢٦/ ٨٦، بدائع الصنائع للكاساني، ٧/ ٢٣٤، ومواهب الجليل للحطاب، ٦/ ٢٣٢، والمدونة للإمام مالك، ٤/ ٣٩٩، والمهذب للشيرازي، ٢/ ١٧٢، روضة الطالبين للنووي، ٩/ ١٤٩، مغني المحتاج للشربيني، ٤/ ١٥، والمغني لابن قدامة، ٧/ ٦٦٤، والشرح الكبير لابن قدامة المقدسي، ٥/ ١٦٥.

(١٢) بدائع الصنائع للكاساني، ٧/ ٦٧، والمبسوط للسرخسي، ٩/ ٣٩، بداية المجتهد لابن رشد، ٢/ ٦٢٧، ٦٤٦، والكافي لابن عبدالبر، ٢/ ١٠٦٨، ومواهب الجليل للحطاب، ٦/ ٢٣٢، والأم للإمام الشافعي، ٦/ ٥، والمهذب للشيرازي، ٢/ ٢٦٧، وروضة الطالبين للنووي، ٩/ ١٠٦، ١٤١، والمغني لابن قدامة، ٨/ ١٤٨، ١٩٤، ٢٥٨. والفروع لابن مفلح، ٦/ ٨٣، والإنصاف للمرداوي ١٠/ ١٥٠.

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق، والمكره والسكران والمجنون، ٥/٢٠٢٠، رقم الحديث ٤٩٦٩- ٤٩٧٠، وأخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ٣/ ١٣١٨، رقم الحديث ١٦٩١، واللفظ له.

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٣م

تغيير المنكر..
قراءة في المنهجية والمآلات

د. محمد سعيد باه
أستاذ جامعي- السنغال

من الملاحظات التي يحسن أن نسجلها للولوج عبرها إلى الموضوع، أن تغيير المنكر شكل في العقود الأخيرة منزلقًا شديدًا جر ويلات على قطاع عريض من الأمة، وأربك الصحوة الإسلامية، وأثر كثيرًا على خطط ورؤى قيادات العمل الإسلامي الإصلاحي، وذلك حين تصدى للأمر من لا أهلية له.

وقد وضع كثير من المفكرين، الذين تناولوا بعض العلل التي فشت في صفوف الشباب المسلم، هذا الجنوح تحت عنوان عام هو «التطرف»، وما يرادفه من معان، ويتعاضد معه من مصطلحات.. الأمر الذي إذا حللناه وجدنا أن جذور الإشكال تعود إلى السعي من أجل النهوض بمهمة البلاغ العام في بيئات شديدة التعقيد، ودون أن نكون قد استكملنا التهيئة الضرورية لما يلزم من أسس ومرتكزات وضوابط وإعداد عام.

القضية الأساسية التي نواجهها هنا هي أن بعض من تصدر للتعاطي مع الشأن العام، من المنظور الإسلامي

وفي إطار الرؤية الإصلاحية، قد جمحت به العواطف نتيجة التعبئة الخاطئة نحو اختزالات كثيرة لقضايا كبيرة ربما كانت من أمهات المسائل.. من أهمها اختزال البلاغ الإسلامي في تغيير المنكر مع إسقاط كثير من الاعتبارات الجوهرية، بما في ذلك البناء والإصلاح والأمر بالمعروف، وطرح البدائل الإيجابية، والتربية على قيم الخير(١).

في تصفح سريع لكتاب الله- عز وجل- بغية قياس حجم عناية واتجاهات توظيف القرآن الكريم لمبدأ «الإصلاح»، لم نعثر على استخدام القرآن الكريم للفظ «تغيير المنكر» الذي تكرر وروده في السنة النبوية، وفي مقابل ذلك أكثر كتاب الله من إيراد مصطلح «النهي عن المنكر»، مع تنويع في الصيغة التي تراوحت بين المضارع الذي يفيد معنى التأكيد والاستمرارية، وبين الأمر وبين الصفة المزكية، وهو ما دعانا إلى التنبه للفرق الدقيق بين «النهي» و«التغيير»، وهو المعنى الأساس الذي غالبًا ما يغيب عند تناول هذا الموضوع الشائك.

وبلملمة أطراف ما تناثر في كتاب الله من آي تتناول كليات وبعض تفاصيل ونماذج تجلي فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تراءى لنا أن هذه القضية ليست مجرد نشاط فردي يتعاطاه من أراد دون الانطلاق من تلك الرؤية الشاملة التي وضعها الإسلام، والمعنى الثاني يتعلق بأن «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» مكون أساسي، بل ومشروع متكامل، من مطالب إقامة الدولة على ركائز الإسلام، باعتباره من لوازم أي تجمع بشري مهما علت درجة صلاحه أو غلبت قيم الخير في سلوكات أفراده.

تغيير المنكر عمل مطرد لا يتوقف على ظرف بعينه

هذا الذي يتضح بجلاء حين نقرأ قوله تعالى بإمعان، حيث جاء في معرض تزكية خاصة تنوه بالمطالب العليا التي يجب أن يتجه إليها اهتمام من تختارهم العناية الربانية لحمل أمانة إقامة الدين بالمعنى الحضاري:

﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج: ٤١).

ومن حيث الوظيفة، فإن تغيير المنكر عمل مطرد لا يتوقف على ظرف بعينه، وبهذا فهو يصاحب نمو المجتمع وما يحدث فيه من تحولات تتطلب المعالجة، قصد تثقيف تلك الاعوجاجات التي إذا تركت تنمو أفضت إلى وقوع اختلالات خطيرة، قد تعرقل سير المجتمع بصورة صحيحة، وهذا ما نلمحه حين ندرس الطريق التي اختطها الإسلام لمساعدة المجتمع المسلم الناشئ من أجل تخليصه من العلل التي كان يعاني منها، باعتباره وريثًا لجماعة قد أدمنت الانحراف.. من شرب للخمور، وانتشار للرذائل، وانفلات أخلاقي، حيث تدرج في ذلك وسار على تؤدة إلى أن استقاموا على هدى الله، فانتصبوا لإنفاذ أمره في أمر بمعروف ونهي عن منكر.

ويتعاضد هذا مع مفهوم آخر يحرص الإسلام على غرسه بعمق في وعي من يعمل لتمكينه، ألا وهو إلزامية إيجاد بيئة صالحة تسمح بغرس معنى جميل أو اقتلاع جرثومة مهددة، ويظهر هذا في العمل النفسي والفكري الضخم الذي قام به رسول الله ﷺ للإصلاح العقدي في صفوف أهل مكة، ومن كانوا يفدون إليها، دون محاولة المساس بتلك المناكر من الناحية المادية، ونجد هذا في المنهجية التي سار عليها ﷺ لكسر هيبة وسطوة الأصنام على تلك البيئة (زعزعة الثقة المستوطنة)، ثم مضت سنون طويلة قبل الانتقال إلى الخطة التنفيذية التي تمت بسلاسة ويسر؛ لأن النفوس كانت قد انقادت، وجليت الأفكار بعد أن أزيل عنها غبش كثيف كان يحجب الرؤية الصحيحة.

وتتجلى لنا قيمة هذا النهج في الخطوات المتدرجة التي حددها الرسول ﷺ بعد ذلك في إزالة المنكر (تغيير):

«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم).

وبقراءة غير متعسفة، على غرار ما يقوم به اليوم كثير ممن نصبوا أنفسهم ولاة لتطبيق مبدأ «تغيير المنكر»، لاستجلاء بعض المعاني الكامنة في هذا النص المحوري، تلوح لنا معان في غاية الأهمية، متى أهملت أدى ذلك إلى ارتكاب كثير من المخالفات التي تفضي لا محالة إلى تأجيج الموقف أو توسعة دائرة المنكر بدلًا من تضييقها، ومحاصرة المفاسد ومطاردة مروجيها:

المعنى الأول، الرؤية هنا «من رأى منكم منكرًا» تتضمن معنى تكوين يقين يقرب من القطع بثبوت المنكر بمعناه الدقيق الذي لا يحتمل التأويل البعيد، أو يقبل التخريج المنتحل، بمعنى دراسة الظرف وفحص الوقائع.

المعنى الثاني، يتمثل في مطلب الإصلاح (فليغيره)، بحيث يكون من الجنوح حصر التغيير في اتجاه واحد وهو الحسم، وما يصاحب ذلك من تغليب للنهج العنيف في الأقوال والأفعال، واللجوء إلى الخيارات الصعبة، والأنكى من ذلك الانتقال إلى ممارسة السلطة، مع إلغاء الخيار الإيجابي الذي يدعونا إليه القرآن: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، (الأعراف: ١٩٩).

المعنى الثالث، أهمية ملاحظة شرط الاستطاعة (فإن لم يستطع) وما يختزنه من محاولات وتجارب، والتدرج واتخاذ الوسائل ووضع الخطط والبدائل، والتأجيل عند الضرورة والتعويل على عامل الزمن(٢).

ويمكن أن نبني على هذا الاستقراء تساؤلات عدة: أنسعى إلى مقاومة المنكر في الأفكار والقلوب وفي السلوكيات، ليحل محلها «التذكر والخشية» بما يمنع من الارتداد بعد الإقلاع؟ كما نلمس ذلك في الإرشاد الرباني لموسى وأخيه هارون- صلى الله عليهما وسلم- وهما يتجهان إلى أشد جبار عرفه التاريخ البشري، وقيل لهما:

﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه: ٤٣- ٤٤).

أهذا ما نتوق إليه أم أن مبتغانا أن يقال بأننا أنكرنا وكفى؟

يقدم القرآن الكريم عددًا من النماذج في مجال النهي عن المنكر، ومن أكثرها جلاء ما جاء في قصة الرجل المؤمن من آل فرعون:

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبًا فعليه كذبه وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ (غافر: ٢٨).

مراعاة الإرتباط بين التأهيل العلمي والتثقيف الإجتماعي والتكوين التربوي

في هذا النموذج التطبيقي جملة من المفاهيم يحسن التوقف عند بعضها، منها هذا الأسلوب العقلاني العالي الذي وظفه الرجل المؤمن في محاولته لملامسة بعض الكوامن النفسية التي قد تساعده في تحريك الفطرة السليمة التي قد تغفو أو تخدر؛ حتى تستيقظ المنكر، فمتى استطعنا إيقاظها بهذه اللمسات الحانية ﴿أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبًا..﴾، كان ذلك إيذانًا بتغيير كلي للمسار، وربما لميلاد جديد كما حدث مع سحرة فرعون.

تتجلى أهمية هذه المقاربة على ضوء رفض البعض اعتماد «منهجية النصح» في باب تغيير المنكر، بحيث تتحول العملية إلى تطبيق مفهوم الحسبة بقدر كبير من صرامة القضاة، وقد يصل الأمر إلى إعمال مبضع الجراح في حالة من القساوة تقرب من القذف بالطوب، باسم تغيير المنكر، على حد تعبير الشيخ محمد قطب، ضاربين عرض الحائط بذلك المنهج الرائع الذي اختطه خطيب الأنبياء شعيب- عليه السلام-:

﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (هود: ٣٣).

أما إذا درسنا إشكالية تغيير المنكر، من الناحية المنهجية التي يعتمدها القرآن الكريم في مجال إعادة بناء الفرد، وصولًا إلى تكوين مجتمع يغلب فيه الخير ويقل فيه الشر، وهو ما يمكن أن نعبر عنه من المنظور التربوي بـ«منهجية تعديل السلوك»، فمن المرجح أن يلفت نظرنا تقديم القرآن الكريم ذكر «الأمر بالمعروف» على «النهي عن المنكر»، الذي نتحدث عنه في سياق تغيير المنكر رغم الاختلاف الواضح بين الوظيفتين، وهو أمر له دلالة قوية يجب أن تراعى، باعتبار أن تقديم الذكر يفيد التقديم في باب الأولوية، وهو ما استخرجه العلماء من التوجيه النبوي الذي يتم الانطلاق منه في كثير من تطبيقات الشعائر التعبدية «ابدأوا بما بدأ الله به»(٣) .

ومن النواحي التي يجب علينا التركيز عليها كثيرًا، فيما يتعلق بإعادة بناء مفهوم تغيير المنكر وبنائه على منهجية منضبطة ومتكاملة، قضية التأهيل العلمي والتثقيف الاجتماعي والتكوين التربوي، على أن نراعي الارتباط الوثيق بين هذه العناصر الثلاثة وما يمكن أن ينجم عن إهمال ذلك من ازورار، وبالتالي وجود قصور في أداء من يتصدون لمهمة تغيير المنكر، والطرائق التي عليهم اتباعها كيلا يفضي تغييرهم للمنكر إلى وقوع مناكر أشد وأنكى بسبب مجانبة المنهج السديد الذي ألزمه الشارع الحكيم لمن يمارسون هذه الوظيفة ذات الأبعاد المتعددة، كما يمكن أن نستشفه من هذا النقد الصارم الذي وجهه القرآن إلى بني إسرائيل مسندًا المهمة إلى طائفة بعينها: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن

قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ (المائدة: ٦٣).

نلاحظ هنا إسناد القرآن الكريم مهمة منع هؤلاء القوم عن الاستمرار في ممارسة ما كانوا عليه من اقتراف المنكر من الأقوال ﴿قولهم الإثم﴾ والمرذول من الأفعال ﴿وأكلهم السحت﴾ إلى طائفتين خاصتين تنبثقان من صفوف المجتمع الذي كان يعاني من داء فشو المناكر وهم الربانيون والأحبار، وبالرجوع إلى بعض مصادر التفسير نجد أن هاتين الطائفتين تمثلان، في حال قيامهما بدورهما المحوري في السهر على بقاء المجتمع سائرًا على درب الاستقامة نظيفًا من الأدواء الاجتماعية الفتاكة، الجهة المخولة لممارسة هذه الوظيفة الحساسة، ومن ذلك:

«الربانيون هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم، والأحبار هم العلماء فقط»(٤).

ومن المنزلقات الكثيرة التي تسجل اليوم في مجال تغيير المنكر، غياب- أو تعمد تغييب- البعد المقصدي لدى الكثيرين، وبالتالي تكون النتيجة المنطقية أن يحدث انحراف مفاهيمي خطير، حين يقوم هؤلاء بنقل مفهوم تغيير المنكر من وسيلة لغايات عليا على القائمين بالأمر الوصول إليها إلى مطلب بحد ذاته، وهو ما يؤدي إلى أن يفقد مبدأ تغيير المنكر طبيعته الأساسية، خاصة فيما يتعلق بأبعاده الوظيفية ذات الطابع الاجتماعي.

إن الإسلام يسعى من خلال تكريس مبدأ «النهي عن المنكر» ليس إلى مجرد نزع فتيل الفساد بعد الاشتعال «تغيير المنكر» وإنما يتجاوز هذا المستوى، حين يضيف معنيين عميقين- عندما استخدم «النهي»- إلى الحيلولة دون وقوع المنكر (الوقاية) بشتى الوسائل، والقضاء على مسبباته واقتلاع جذوره، ثم لا تتوقف العملية الإصلاحية إلا عندما تحل محله بديلًا إيجابيًا؛ منعًا لقيام الفراغ الذي يمتد فيه المنكر عادة.

وخير ما ندعم به هذه الفكرة، حديث السفينة الذي يرسم به النبي ﷺ منهجية ووظيفة ومآلات ممارسة «النهي عن المنكر» في أي مجتمع، عندما شبه الأمة بركاب سفينة ثم لخص دور من سماهم القرآن الكريم بـ: ﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر﴾ بقوله: «فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا. وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»(٥).

مما سبق، يتبين أنه علينا أن نعيد دراسة فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء ما نعانيه اليوم من تعقيدات، وما تجره بعض الممارسات غير المنضبطة على مشروع النهوض بالأمة من كبوتها الحضارية، وآخر الحلقات في هذا الباب ما تناقلته وسائل الإعلام من هدم للمقابر في شمال مالي في تمبكتو وغيرها.. الأمر الذي أثار زوبعة إعلامية عالمية كادت تنسي المأساة التي يعيش في دوامتها هذا الشعب المسلم المنكوب، وقد سبقهم الطالبان في أفغانستان والشباب في الصومال، بحجة إزالة المنكر باليد لتوفر شرط الاستطاعة، مع ما يكتنف ذلك من تساؤلات ملحة.

هذا النوع من المفاهيم هو الذي واجهه ابن عباس في الرجل الذي طلب منه المشورة في ممارسة وظيفة النهي عن المنكر، ولاحظ أنه لم يتأهل بعد لهذه المهمة الشائكة، فكان أن وجهه إلى ما هو أجدى له وقال له في نهاية الاستجواب العلمي الصارم: «فابدأ بنفسك» (٦).

ثم نؤكد بأن الأزمة الحادة التي نعاني منها فيما يخص «تغيير المنكر»، ذات بعد تربوي بالدرجة الأولى، هذا ما نستخلصه من الوصايا الذهبية التي ساقها لقمان- عليه السلام- لابنه، وميزها بأنها من «عزم الأمور»، ونجده يدرج بين الحث على أداء الشعائر المفروضة والصبر على لأواء طريق الحق: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (لقمان: ١٧).

في ثنايا هذا التوجيه الأبوي الحنون الذي ينقله لنا كتاب الله، نلحظ البعد التربوي الذي علينا أن نبلوره لتعميق مفهوم بناء المجتمع الصالح في وعي الناشئة المسلمة، وهو ما يحول دون بروز نزعة الجنوح (التطرف، الغلو..)، ويحول دون نزوع الشباب إلى التعدي على دور الدولة وغيرها من المرجعيات والمؤسسات التي تملك الشرعية.

الهوامش

١- سبق أن عالجنا هذه الجزئية في مقال بعنوان : «التطرف ودوره في إرباك مشاريع الصحوة».

٢- نستأنس في هذا المقام بالخيار الذي ذهب إليه النبي ﷺ في صرف النظر عن مشروع إعادة بناء الكعبة على أساس قواعد إبراهيم، فعلل ذلك بقوله لأم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-: «لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام ..».

٣- ورد ذلك في عدد من السور من: آل عمران الآيتان: ١٠٤- ١١٠، التوبة الآية: ١١٢، سورة الحج، الآية: ٤١، لقمان الآية:١٧.

٤- الإمام ابن كثير في التفسير.

٥- انظر مقالنا الذي نشرته مجلة الوحدة السنغالية بعنوان: تأملات في حديث السفينة على ضوء واقع متأزم.

٦- جاء رجل إلى ابن عباس فقاله: «إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو، قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل. قال: وماهي؟ فذكر له الآيات: ٤٤ من البقرة، الآيتين ٢-٣ من الصف، ٨٨ من هود، وفي كل مرة يسأله: أحكمت هذه؟ فيقول الرجل: لا!

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر-أكتوبر ٢٠١٣م

الإعجاز البياني للقرآن الكريم

د. جمال الدين الفاروقي
كيرالا -الهند

يعتبر القرآن من أبرز روافد العلوم والمعارف والثقافة منذ نزوله، لا تنتهي عجائبه ولا تنفد كنوزه، وهو يشحذ الفكر الإنساني ويدعمه ويحصنه بالإيمان والتقوى، وإن من السنة الإلهية أن جعل الله القرآن باقيًا إلى يوم القيامة، لكي يتمكن الإنسان الأخير على وجه الأرض من الاطلاع على ذخائره العلمية فيهتدي إلى سواء السبيل.. والله ضمن هذا البقاء الخالد، بينما لا نجد الضمان الإلهي لسائر الكتب السماوية، وإنما وَكل حفظها إلى الأحبار والرهبان في تلك الأيام، فحذفوا منها وأضافوا إليها وحرفوها كما سولت لهم أنفسهم، والضمان الإلهي الذي فاز به القرآن الكريم يستثمر للباحثين والدارسين دراساتهم في الكتاب المنزل.. وقد نزل القرآن على العرب وهم زعماء الأدب وأمراء البيان، إلا أنهم ما استطاعوا أن يأتوا بمثله ولو آية واحدة، والتحديات القرآنية بهذا الصدد تظل قائمة باقية، والمعجزة في كلام الله تتمثل في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه.. والمقالة تسلط الضوء على الجوانب البيانية التي تكتنفها الآيات الكريمة في صياغتها المتقنة وصناعتها المحكمة، والتي تنطق بإعجازها الإلهي.

والقرآن هو الكتاب المنزل على النبي محمد ﷺ لهداية الناس جميعًا، عربهم وعجمهم وأبيضهم وأسودهم وحاضرهم وباديهم، وكان من سنة الله تعالى أن يبقى هذا الكتاب مادامت السموات والأرض حتى يستطيع آخر إنسان يعيش على وجه الأرض التعرف بدين الله، والاهتداء إلى الصحيح الصالح الذي فيه سعادته في الدنيا والآخرة، والنبي ﷺ عاش ٢٣ سنة نموذجًا حيًا لتعاليم القرآن، ونجح في تربية أصحابه وتهذيبهم حتى صاروا أحسن أمة في تلك القرون، وقد قدموا للعالم رصيدًا فكريًا في العلوم والثقافة والحضارة، استمدوه من ضمن آيات القرآن وأحكامه.

ومن مزايا الكتاب المنزل أنه يحتوي على عناصر كثيرة للدلالة على إعجازه الذي يطمئن إليه المؤمنون ويزيدهم إيمانًا، ويتأثر به المتشككون ويقنعهم بعظمته وقدسيته، وهذا بفضل الإعجاز الذي يتمثل في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه، وعلى هذا الأساس توجه المسلمون الأول بدراساتهم وبحوثهم نحو القرآن، ومن ثم ظهرت أنواع مختلفة من التفاسير، ومنها التفسير بالمأثور الذي أولى الاهتمام بما ورد من النصوص المعتمدة، فيتم التفسير على ضوئها. والنوع الثاني هو التفسير بالرأي الذي هو عبارة عن تفسير الآيات مستخدمًا الأدلة العقلية بجانب الأدلة النقلية.. ونوع آخر في هذا المجال هو التفسير الصوفي الذي يأتي تجسيدًا للطرائف واللطائف القرآنية التي يتوقف فهمها على المعنى الباطني للآيات، كما يزعم أصحابها، ويُعرف أيضًا بالتفسير الإشاري.

وفي العصر الحديث ظهرت بين المفسرين نزعة علمية في تفسير الآيات على ضوء ما يتم اكتشافه، كما تأثر عدد منهم بالاتجاهات الاجتماعية والأفكار الإصلاحية، بجانب الدراسات التي تصبو إلى إبراز التصور الفني للكتاب المنزل.

التفسير البياني

أما التفسير البياني الذي نحن بصدده الآن، فهو يتوقف على إبراز الجمال البياني الذي يتمثل في نظم الآيات، وإدراك وجوه التناسق بين الألفاظ والكلمات، وقد انجذب إلى جماله البياني حتى المنكرون في عهد البعثة المحمدية.. يدل عليه ما عبر عنه الوليد بن المغيرة حين سمع النبي ﷺ يتلو القرآن فإذا به يقول: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر» (١)، وقصة إسلام عمر رضي الله عنه تبقى هي الأخرى دلالة على الجمال البياني للقرآن، والصحابي الشهير مصعب بن عمير الذي أسلم على يديه الكثير من الأنصار بالمدينة قبل أن يتوافد إليها المسلمون مع نبيهم، وهو يقول عن مدى تأثرهم ببيانه الفاتن: «فُتحت الأمصار بالسيوف، وفُتحت المدينة بالقرآن» (٢). والنثر القرآني المسجع وعرضه البارع لا يضاهيه كتاب ولا تأليف، وهو بذلك مازال- ولا يزال- مظهرًا للإعجاز الإلهي الذي وجم أمامه العرب القدماء، وهم زعماء الأدب وأمراء البيان، وقد حاول بعضهم أن يأتوا بمثله، إلا أنهم ما بلغوا معشار عشره من حيث الفصاحة والبلاغة، وإلى هذه الحقيقة يشير العلامة سيد قطب بقوله: «كيف استحوذ القرآن على العرب، وكيف اجتمعوا على الإقرار بسحره»؟ (٣)، ثم هو بنفسه يجيب عن هذا السؤال قائلا: إن السحر القرآني الذي ينبثق من صميم النسق القرآني هو الذي جعله يستحوذ على العرب.

والتحدي الإلهي المتمثل في الآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: ٣٨) يبقى تحديا على حاله بدون إجابة إلى الآن وإلى الأبد.. وانطباعات المفكر

الأوروبي الشهير غوته (Goethe) تبلور مدى تأثير الكتاب المنزل حتى في قلوب المنكرين والجاحدين، وهو يقول: «حين يتصدى واحد لدراسة القرآن فإنه ينفر منه في أول أمره، إلا أنه لا يلبث أن يتأثر به، ثم نرى هذا الكتابَ يحيِّره أيما تحيّر، وفي نهاية المطاف يغلب عليه».

ومن جهة أخرى فإن التفسير البياني يتوقف إلى حد كبير على الثروة اللفظية للغة العربية التي قد بلغت أوجها من الرقي والازدهار وقت نزول القرآن، وذلك بعد تداولها جيلا عن جيل، واللغة العربية التي جاء بها القرآن لا تخضع تمامًا للترجمة إلى أي لغة في العالم، إذ لا يوجد بين اللغات المحلية والعالمية ما يحمل معناه مستلهمًا لروحه ومستوعبًا لعظمته، وجميع الترجمات القرآنية الموجودة في مختلف اللغات لدينا تنم عن هذا القصور البشري.. والله غالب على أمره.

وقد تصدى كثير من المفسرين منذ القدم للوقوف على جوانبه البيانية، وفي طليعتهم أبوعبيدة (٢١٠) صاحب كتاب «مجاز القرآن»، وقد أشار إلى مجال عمل هذا التفسير قائلًا: هو الحس اللغوي الفني والإدراك النقدي لطبيعة المعنى، والإحاطة بتاريخ العرب علومًا وشعرًا، والتوسع في مفهوم النحو.. والإمام الجاحظ (٢٢٥) الذي كتب «نظم القرآن»، شخصية بارزة بهذا الخصوص، وكتاب «تأويل مشكل القرآن» لصاحبه ابن قتيبة عمل قيم كذلك، وجاء أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨) بعمله الجليل «النكت في إعجاز القرآن»، وكتاب «دلائل الإعجاز» للعالم الكبير عبدالقادر الجرجاني مشهور في التفسير البياني، وقد قطع الإمام الزمخشري (٥٣٨) شوطًا كبيرًا في هذا المضمار بعمله القيم «الكشاف»، وكذلك ابن عطية الأندلسي بعمله «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، والعلامة أبوحيان (٧٤٥) الذي ألف «البحر المحيط»، والإمام النسفي (١٣١٠) صاحب «مدارك التأويل»، والعلامة البيضاوي صاحب «تفسير البيضاوي».. كلهم أعلام بارزون في هذا المجال.

خطوات التفسير البياني

ومن المتأخرين في هذا المجال: د.عائشة عبدالرحمن الملقبة باسم «بنت الشاطئ»، وعملها: «التفسير البياني للقرآن الكريم»، وكذلك أستاذها الشيخ أمين الخولي، والمفسر الهندي المشهور العلامة حميد الدين الفراهي صاحب تفسير «نظام القرآن»، والأستاذ أمين أحسن الإصلاحي صاحب كتاب «تدبر قرآن» (أردية)، ومنهم د.محمد رجب البيومي صاحب «خطوات التفسير البياني»، ويرافقه في مسيرته د.حفني محمد شرف صاحب كتاب «إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق»، والشيخ محمد متولي الشعراوي له كتاب «من نبض الرحمن في معجزة القرآن».

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة ما أشارت إليه د.عائشة عبدالرحمن في موضوعية التفسير البياني وأهمية النهوض به من قبل الباحثين والعلماء، وهي تقول: «لكل لغة روائع من آدابها، تعتبرها النماذج العالية لذوقها الأصيل، والمثل الرفيعة لفنها القولي، وقد عبرت الأجيال منا تتجه إلى نصوص مختارة من شعر العربية ونثرها، ونحن أصحاب الدرس الأدبي شُغلت الجمهرة منا بالمعلقات والنقائض والمفضليات، ومشهور الخمريات والحماسيات والمراثي والمدائح والغزليات ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات، شغلنا بهذا ومثله عن القرآن الكريم، الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة» (٤).

ويشير العلامة حميد الدين الفراهي بهذا الصدد إلى ضرورة وجود عمود رئيسي لكل سورة يبنى عليه معاني كل آياتها، وهو الركيزة الأساسية للاطلاع على الترابط المعنوي، وهو يقول: «العمود هو الشيء الجامع الذي به رباط السورة بأسرها، وهو أهم الأمور بيانًا» (٥). وكان يقول بضرورة بناء هيكل البلاغة العربية على أساس ما ورد من روائع البيان في الآيات القرآنية، وكان له أسلوب خاص في تفسير القرآن، وكان يتدبر في القرآن متحررًا من الروايات التفسيرية والإسرائيليات، ويؤكد على ربط الآيات ونظم القرآن بوجه خاص، وكان يعتقد بأنه لا يمكن أن يكون كلام الله خاليًا عن النظم والترتيب، ويعتمد في تحقيق المفردات وتأويل الآيات على القرآن نفسه، وبعد ذلك على الأدب العربي، وخاصة الأدب الجاهلي.

والتفسير البياني إذن عبارة عن اتجاه خاص يهدف إلى فهم إعجاز القرآن وإيضاح نواحيه البلاغية بعيدًا عن شطط التأويل والأقاويل، كما يستهدف تذوق أسرار البيان بالنظر الدقيق لمدلولات ألفاظ القرآن، وعلى أساس التدبر الشامل للنظم القرآني الذي تلمح من خلاله المعجزة البيانية الخالدة، وينبغي إدراك وجوه التناسق والتشابه بين كلمات القرآن

وألفاظه، ومدى توازنها وترتيبها، ومدى مناسبتها لما سبقها وما لحقها من الآيات. والمفسرون من هذا القبيل تعرضوا بدراساتهم لمختلف جوانب البيان والإبداع التي تضمنها القرآن، ومنهم من وقف على إعجازه البياني من حيث علم النحو والدلالة، ومنهم من نظر إليه من حيث علم الأصوات، وآخرون فسروه من حيث روعته الإبداعية، وقد أشبع القرآن رغبات هؤلاء وأولئك.

بعض ملامح التفسير البياني

وتتمثل هذه الرائعة في تركيب كلمات آياتها ووضعها في مكانها اللائق، والكلمات هي اللبنات الأساسية في بناء اللغة، وهي تمنح المؤلف القوة والجمال، ومجرد الخيال لا يغني عن المبدع كما لا تنفعه أفكاره ورؤاه إذا كان ضعيفًا في اختيار الكلمات ذات الرنين، بل أكثر من ذلك تحتل قدرة التعبير الطلق الصدارة في تقييم الأعمال الإبداعية، والاختيار الإلهي لكلمات القرآن ينبغي أن نستعرضه من هذا المنطلق، وهو لم يكن مجرد كتاب أدبي، بل هو أدب كله، لا يبلغ أدب الأدباء مبلغه من الحسن والجودة والجمال والتأثير، ولو بدلنا كلمة مكان كلمة لاختل النظام القرآني وتدهور نغمه، وعلى سبيل المثال: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ. فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر: ٤٩-٥١)، وكلمة قسورة في الآية جاءت لمعنى الأسد، ولو وضعنا الثانية مكان الأولى علما بأنها أقرب إلى الأفهام، فإن التوازن بين الآيات يفسد، وتفقد الآية روعتها وجمالها، كما أن تركيب هذه الكلمات يعرض أهوال الحمر التي تحاول التخلص من قبضة الأسود.. وكل كلمة تلمع في السياق القرآني كما تلمع النجوم، هذا بفضل مناسبتها ووضعها في مكانها اللائق. وكذلك التناسق والترتيب بين الكلمات: (السمع والأبصار والأفئدة) ورد ذكرها في سياق النعم الإلهية التي يتنعم بها كل إنسان، والآية الواردة فيها هذه الكلمات تبقى أوسع مجالاً للجمال البياني من حيث اللغة والعلوم، والله ذكر السمع في كل هذه الآيات في أولها، علما بأن حاسة السمع هي التي تعمل أولاً في الطفل الجنين، ولا يعمل العقل والفكر إلا بعد فترة من ميلاده، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الجنين يستطيع أن يحس الأصوات الخارجية، كما أنها وردت مفردة، وفي ذلك أيضًا سر من أسرار الخلق الإلهي، إذ إن الإنسان لا يستطيع أن يسمع أكثر من صوت واحد في الوقت الواحد، بينما يستطيع أن يرى أشياء كثيرة بلمح البصر، والفؤاد هو الآخر يحتوي على مختلف العواطف والمشاعر.

كلمات تنطق بمعانيها

وكذلك حتمية المعنى لبعض الكلمات القرآنية التي قد لا يوجد مثيلها في اللغة، مثل كلمة المطر والغيث، الأولى وردت في القرآن للدلالة على العذاب والأذى، أما إذا كان يريد به السقيا فإنه الغيث في البيان القرآني. والجوع والسغابة كلتاهما لمعنى واحد، إلا أن الأولى جاءت في القرآن للإشارة إلى العذاب.. ومن هذا القبيل كلمة اللب والعقل، وكلتاهما متقاربتان ومترادفتان في اللغة، إلا أن الأولى في السياق القرآني تدل على العقل الصافي المصدق لآيات الله والمنيب إليه في جوف الليل وبياض النهار، بينما مجرد العقل يشوبه كفر وتشكك وإنكار، وليس كل عقل لبًا، بينما يكون كل لبّ عقلا. وكذلك كلمات: جحد وأنكر، الأول (جحود) هو إنكار الظاهر، والثاني إنكار ما ظهر منه وما بطن.

التوازن العددي

وفي صدد ذكر بعض الكلمات يوجد تمام الانسجام بينها من حيث الواقع والوظيفة، وقد اكتشف الباحثون وجوه التوازن العددي بين الكلمات القرآنية الخاصة، للدلالة على الواقع الذي تجسده أو لإيضاح وجوه التساوي بين كلمة وأخرى، ومن هذا القبيل كلمات: الشهر واليوم، جاءت الأولى اثنتي عشرة مرة والثانية ثلاثمائة وخمسًا وستين مرة، مطابقًا للنظام الكوني لتحديد السنة. وكذلك كلمة الحياة ومقابلها الموت، كل واحد منهما ورد ١٤٥ مرة للدلالة على ضرورة الاهتمام بالموت وما بعده، كما يهتم الإنسان بأمور حياته. وكذلك كلمة الزكاة والبركة كلتاهما وردت ٣٢ مرة، وسر ذكر الزكاة مصحوبة بالبركة واضح، إذ لا توجد البركة حين تنعدم الزكاة. والتفسير البياني الذي يكشف النواحي البلاغية والنكت الإبداعية لآيات القرآن كفيل بتوكيد قدسية القرآن وعظمته، وأنه لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير- الجزء الرابع- ص ٤٣٠.
٢- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر- ص ٨٦٩.
٣- التصوير الفني في القرآن الكريم- سيد قطب- ص ١٧.
٤- التفسير البياني للقرآن- د. عائشة عبدالرحمن- ١/١٣.
٥- رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن- الدائرة الحميدية- ص ٩١.

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٣م

اللغة والإنسان

عبدالقادر رالة - كاتب جزائري

«إن الشجرة التي تنبت في الكهف لا تعطي ثمارًا»(١). وكذلك هي اللغة العربية مثل هذه الشجرة.. اللغة العربية لغة الإنسان العربي الذي انتهت حضارته المتألقة ومجده الأول منذ سقوط بغداد سنة ١٢٥٨، ثم غرناطة سنة ١٤٩٢، ومنذ ذلك الحين والإنسان العربي يعيش عصور الانحطاط، ومشاركته في الحضارة الإنسانية تكاد تكون صفرًا في جميع ميادين الإبداع العلمي والفكري والفني والسياسي، ولا يزال يراوح مكانه بين أسئلة الماضي والمستقبل، والأصالة والمعاصرة، والانفتاح والانغلاق، وعلوم النقل وعلوم العقل!

واللغة العربية لا تستطيع أن تتطور بنفسها وتعطي ثمارًا، وإن كان لها القدرة العجيبة في المحافظة على نفسها والاستمرارية، لأن اللغة تتطور بإبداع عقول أبنائها ونشاطهم الفكري والعقلي الذي يجب ألا يتوقف أبدًا.

«ومما لا ريب فيه أن اللغة العربية الفصحى ما كانت لتصل إلى الرقي الذي وصلت إليه في عصورها الذهبية، لو لم تكن الأمة العربية يومذاك ناهضة تتمتع بمركز مرموق في العالم، وتنجب أجيالاً بعد أجيال من الأدباء والفنانين والعلماء، يجولون في كل ميدان من ميادين الفكر والحضارة، باذلين كل جهد، عاملين ما في وسعهم لتزويد الإنسانية بمنتجات أدمغتهم الجبارة وقرائحهم الخيرة.

واللغة والإنسان توأمان لا ينفصلان، وحين يقوى أحدهما لابد أن يشتد ساعد الآخر، والعكس صحيح، ولا عبرة بما يقال من أننا نقبل على

منتجات الأمم الراقية بلغات تلك الأمم، وأنه لا حاجة بنا إلى العمل على القراءة والكتابة بلغتنا العربية في مختلف حقول الفكر وشتى ميادين العلم، فمما لا جدال فيه أن الإنسان يتمكن من الفهم والتعبير بلغته الأم أضعاف ما يقدر عليه في لغة غريبة غير لغته»(٢).

الانفتاح على اللغات العالمية والحضارات الأخرى واجب أخلاقي وقومي ووطني، لكن بشرط ألا تقتلعنا رياح الحضارات الأخرى من جذورنا «واللغة هي أهم هذه الجذور التي تمتد في أعماق تاريخ أمتنا، وهي الشجرة التي تحمل أغلى ثمار فكرها، والزهرة التي يفوح عبيرها شعرًا ونثرًا فوق كل شبر من أرض الوطن العربي»(٣).

«فبالرغم من أن الصينيين واليابانيين يجيدون اللغة الأميركية (الإنجليزية) إجادة تامة، فإن إجادة لغة الأميركيين لم تجعل الصينيين واليابانيين يعتنقون الثقافة الأميركية.. لقد تعلموا لغة الأميركيين ليتعرفوا على العلوم والتكنولوجيا الأميركية، وبعد أن فهموا هذه العلوم جيدًا طوروها، وأضافوا إليها، وقاموا باختراعاتهم واكتشافاتهم التي فاقت التكنولوجيا الأميركية، ولكن الأمر الملافت للنظر الذي يجب أن نقف أمامه طويلا للاسترشاد به هو أن الصينيين واليابانيين لم ينبهروا بالثقافة الأميركية، ولم يتخذوها نهجا لحياتهم، ولم يتركوها تؤثر في حياتهم الاجتماعية، ولا في عاداتهم وتقاليدهم، بل جعلوا بينهم وبين الثقافة الأميركية سدا منيعًا ليحافظوا على خصوصيتهم الثقافية»(٤).

بل إن الأوروبيين في العصور الوسطى كانوا أشد انبهارًا بالثقافة الإسلامية واللغة العربية، وكانوا معجبين أشد الإعجاب بالعادات العربية، لكنهم لم يتخذوا من الثقافة الإسلامية نهجا لحياتهم، وإنما اقتبسوا منها ما كانوا يرون أنهم في أمسّ الحاجة إليه للنهوض والتقدم، وزادوا على تلك الاقتباسات، وبذلك دخلوا عصر الأنوار ثم عصر الثورة الصناعية لكن بلغاتهم الوطنية!

وإن نحن قارنا مثلًا الإنسان الياباني بالعربي «فإنهما دخلا المدرسة الغربية في الوقت نفسه تقريبا حوالي سنة ١٨٦٠، ولكن الحقيقة التاريخية التي لا جدال فيها أن النتيجة اختلفت تمامًا، إذ نجد بعد مرور قرن معجزة اليابان في ميدان الفن والصناعة والاقتصاد، ومن طرف آخر في المجتمع الإسلامي، نجد دون ريب مجهودًا لا ينكر فيما نسميه «النهضة»، ولكنه مجهود تشله الأفكار الميتة»(٥)، ونجد النتيجة نفسها إذا نحن قارناه بالإنسان الصيني الذي شرع في صنع معجزته بعد انتهاج سياسة الانفتاح والإصلاح سنة ١٩٧٨.

والإنسان العربي صاحب حضارة عريقة تمتد جذورها إلى شباب الماضي، وهذه الحضارة رغم المحن والاستعمار والتكالب الدولي والانحطاط الداخلي مازالت تقاوم، وإسهام الإنسان العربي في الترقي العالمي حقيقة ثابتة يشهد بها المؤرخون والمفكرون الكبار، وبلاده من أغنى البلاد بالثروة البشرية والطبيعية والروحية، لكن كما يقول مالك بن نبي «لا يقاس غنى المجتمع العربي بكمية ما يملك من «أشياء» بل بمقدار ما فيه من أفكار»(٦).

«العقل المجرد متوافر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه يكاد يكون معدوما»(٧).

الإنسان العربي له قابلية للنهوض والإقلاع الحضاري، لكن تنقصه الشجاعة والثقة في الذات، حتى الإنسان العربي في العصر الجاهلي كان يخاف بطش الفرس، ويرهب قوة الروم، وكانت تدهشه الحضارة التي وصل اليها الساسانيون في الشرق، والروم في الغرب، مقارنة بحياته الرتيبة في الصحراء المجدبة، لكنه ما تخلى يومًا عن لغته الحميمة، وما رماها بالعقم أو الجمود، وإنما كان يعتز بها أيما اعتزاز، ويبدع بها أشعاره، ويخلد بها أيامه، ويتواصل بها مع عشيرته وقومه.

«فنحن لا نستطيع أن نصنع التاريخ بتقليد خطأ الآخرين في سائر الدروب التي طرقوها، بل يجب أن نفتح دروبا جديدة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بأفكار أصيلة تستجيب سائر المشكلات على الصعيد الأخلاقي، أو على صعيد الأفكار الفعالة لتجابه مشكلات التطور في مجتمع يعيد بناء نفسه»(٨).

الهوامش

(١) جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، دار المعرفة، الجزائر، ط ٢٠٠٣، ص ٨٧.
(٢) عفيف دمشقية، لغتنا، دار الفتى العربي، بيروت ط ١٩٨٥، ص ٦٩.
(٣) المرجع نفسه، ص ٧٠.
(٤) فوزية العشماوي، الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية، مجلة العربي، مايو ٢٠٠٣، الكويت، ص٢١.
(٥) مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، ط ١٩٨٦، ص ١٣٤.
(٦) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر، دمشق، ط ٢٠٠٦، ص٣٧.
(٧) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط ٢٠٠٥، ص ٨٦.
(٨) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط ٢٠٠٥، ص ١٦٢.

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٣م

الجميع شركاء في حمايتها
اللغة العربية في خطر..

عبدالله أيت الأعشير
باحث دراسات لغوية - المغرب

يعد سؤال المسألة اللغوية في الوطن العربي من أكثر الأسئلة المحرجة التي تصرخ في وجوهنا صباحا ومساءً: عسى أن تتفتق عقولنا عن خطة بزلاء تضع الهناء موضع النقب، كي تعيد للعربية الفصحى وهجها وجاذبيتها في ظل هذا التيار العولمي الذي ركب السَّخْبر لتفتيت صخر اللغات، التي لم يستطع أهلها حيازة محتوى رقمي يضمن لها الذود عن حياضها لمواجهة مخططات التنميط، التي تزين- في السر وفي العلن- ركوب موجات اللغات المتفوقة تقنيا لامتلاك المعرفة. فماذا نحن فاعلون لمواجهة هذا الطوفان الذي ملأ السماوات العربية واكتسح أراضيها؛ والذي عجزت كل الوسائل التي بملكنا عن تدبير مناعتنا القيمية والهوياتية العربية والإسلامية؟ وهل أدركت ألبابنا أعماق التغييرات الثقافية التي أحدثتها العولمة لدى الشباب العربي، من خلال وسائلها التكنولوجية التي تجذب، وتغوي، وتغري، وتقتحم، وتراقب، وترصد، لتطارد الإنسان العربي المسلم حيثما كان؟ وكيف السبيل إلى بناء مشروع لغوي عربي يجعل الفصحى والفصيحة لغة الحياة الماتعة الشائقة المتكيفة، التي لا يذهب عنها إلى غيرها من اللغات كيفما كانت الأعذار والمسوغات؟

أسئلة كثيرة تجد جوابها البليغ في كثير من الصيحات التي بدأت تسمع في كثير من الأقطار العربية، رغبة في معرفة من نحن، وما هي مقومات الإنسية العربية التي تصلح أن تكون خميرة للعجين العربي الذي يطمح- بدافع ثورات الربيع العربي- أن يوجد إنسانًا عربيا مترهيا فعالًا معتزا بعروبته، مؤمنًا بمؤهلاته الذاتية والجماعية للاندماج في مجتمع المعرفة بأقل الخسائر الممكنة، التي لا تمس جوهر الإنسية العربية؟

وقبل أن يتسع الخرق على الراقع لابد من إبصار الناس بالطرائق الناهجة التي تمكن العربية الفصحى، من تجديد الولاء الخالص لها، لأجل استعادة سحرها الحلال، وعشقها الصافي الذي سعت العولمة أن تضرب بسور بيننا، وبين حب لغتنا وما تدل عليه كلماتها. في إطار هذه الخطط والصيحات الإنذارية الإنقاذية التي تقيلنا من كبوتنا: ارتفعت دعوات بعض الغيورين مثل: الشيخة (موزا بنت ناصر) في قطر، والشيخ (محمد بن راشد آل مكتوم) في دبي، ومركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، ومؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة خلال نهاية مارس (آذار) وبداية أبريل (نيسان) ٢٠١٣م، وغيرها من المبادرات التي يمثل المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية واسطة عقدها، والذي نظم في إمارة (دبي) برعاية من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم بتاريخ ٧ - ١٠ مايو ٢٠١٣م/ ٢٧ - ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ. والحق أن المؤتمر الذي جعل شعار: «اللغة العربية في خطر. الجميع شركاء في حمايتها» غُرته الشادخة، قد سعى إلى بلوغ النكيثة في عرض

الكاتب (يمين الصورة) بجوار أحد المحاضرين

القضايا الجوهرية التي تعانيها العربية الفصحى في أثناء كتاباتنا، وفي أثناء تواصلنا الشفهي في منتدياتنا، وفي معتملاتنا، وفي شوارعنا، وفي معاهدنا ومؤسساتنا، وفي وسائلنا الإعلامية المسموعة والمكتوبة والمرئية، وهلم على ذلك جرا وسحبا.

كما اشتمل المؤتمر على خمس جلسات رئيسية، و٦٣ ندوة، ومشروعين، بالإضافة إلى (٣٧٢) اثنين وسبعين وثلاثمئة بحث ودراسة؛ وبحضور زهاء (١٠٠٠) ألف شخصية من (٧٠) سبعين دولة؛ كانت (نيجيريا) هي ضيفة شرف المؤتمر.

وإذا كانت اللغة العربية بحاجة إلى حمايتها من الرطانات التي تسمع هنا وهناك، فإنها بحاجة أيضًا إلى حمايتها من بعض المؤتمرين العرب، الذين نغش ما يتفوهون به من كلام بالأخطاء النحوية والصرفية؛ الأمر الذي يثبت بلا ريب أن الشوط مازال بطيئًا بعيدًا لرؤية وسماع العربية تجري رسْلاً على الأسْلات، كما يجري الماء العذب على الرَّضراض.

وقد قدم كاتب هذه السطور ورقة بحث تروم النهوض باللغة العربية وتصفيتها من الأحراش والشوائب التي تزهد المتعلمين في الإقبال عليها، هذه بعض إلماحاتها:

تعد اللغة العربية الفصحى من الدين؛ فهي العلم المقدم والدرس المقدس، والبغية التي يجب على العرب أن يجعلوه سأوهم وسدَمهم من خلال اتباع السبيل الناهجة الآتية:

أولًا: على مستوى طرق التدريس

- تدريس الفصحى بالفصحى، لأن الحديث بالعامية في أثناء الفصول الدراسية يهون من قدر الفصحى، ويغري المتعلمين بخلط الفصحى بالعامية؛ وفوق كل ذلك فإن تعلم الفصحى يعد من الدين كما تشير السنة النبوية إلى ذلك.
- إطالة الاستماع للنصوص العربية المبينة (القرآن الكريم، والشعر العربي المبين، والنثر الفني الجيد...) لأن السماع يعد أب الملكات اللغوية الذي يفضي بالمستمعين إلى نحو الفطرة، أو النحو الضمني.
- دعوة الشداة إلى محاكاة تلك الأساليب المسموعة حتى تنطبع في أذهانهم، فتجري بها ألسنتهم طوعًا.
- حسن استغلال الوسائل التكنولوجية لتنمية مهارة القراءة.
- إحياء متوارد العبارات الشائقة، وتصيدها من كتب الأدب الرفيع، لتكون مادة ينشأ عليها الشداة؛ حتى إذا تكلم أو كتب فاض لسانه بما انطبع في مخيلته من الأساليب الشائقة الماتعة.
- الحرص في أثناء تدريس القواعد النحوية والصرفية والعروضية والبلاغية على استغلال النصوص البليغة.

ثانيًا على مستوى المدرس

- يجب أن يكون مدرس اللغة العربية قهرمانًا عارفًا ضليعًا من العربية الفصحى. لذا يجب إحكام خطة بزلاء في أثناء تكوين وإعادة تكوين المدرسين.
- اصطفاء مدرس العربية اعتمادًا على معيار إعلان الولاء والحب للعربية وما تدل عليها كلماتها، رجاء أن ينقل ذلك الحب إلى المتعلمين، من خلال الحرص على الأداء السليم لأصوات الكلمة العربية وإيقاع ألفاظها وتناغم جملها.

ثالثًا: على مستوى وسائل الإعلام

- البعد التواصلي للعربية الفصحى الذي يوفر بيئة سماعية لا تسودها إلا الفصحى، سواء في البرامج الحوارية أو في المسلسلات أو في الأخبار أو في الإشهار...
- البعد الثقافي الهُوياتي الذي يشعر الناس بأن الفصحى موحَّدة وموحِّدة، وأنها هي الأساس الذي تقوم عليه الأمة.
- البعد المعرفي العلمي والتقني، الذي يمد للعربية أسباب اقتحام خدر اللغات المتفوقة لتزاحمها في اصطناع المعارف التي تزيد من جاذبية الفصحى وتغري الشداة للإقبال على تعلمها.

هذه ملامح من موضوع النهوض بالعربية الفصحى، نبهت فيها إلى مقدمات فرص التحصين اللغوي المنشودة. ولقد توضح أن قضية اللغة العربية الفصحى في الوطن العربي، تمثل معركة المصير التي يجب أخذها بعزيمة المُجرِّسين النحارير، لتبديد كثير من الأوهام التي تُزوَّر للعربية من دون احتراس، قبل أن تتكسر الإرادات، وتفتر العزائم في حب العربية وفي الدفاع عنها.

التوصيات الصادرة عن البيان الختامي للمؤتمر

- يدعو المؤتمر المؤسسات الحكومية والأهلية والمنظمات والهيئات المعنية باللغة العربية للتعاون والتضامن لأجل التمكين للغة العربية في جميع المواقع الحيوية.
- الموافقة على عقد المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية تحت شعار: «الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي».
- الموافقة على مشروع المؤسسة العربية للتعريب والترجمة.
- الموافقة على مشروع قانون اللغة العربية الذي ينظم وضع اللغة الوطنية والمحكية والأجنبية، ووضع سياسة لغوية وطنية تعمل على تعزيز اللغة العربية السليمة وحمايتها من الإقصاء، وتمكينها من إثبات وجودها في مواقعها الطبيعية بقوة القانون، لأجل المحافظة على الهوية العربية.

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر-أكتوبر ٢٠١٣م

تاريخ الإعراب

للأحاديث النبوية الشريفة

د. فخرالدين قباوة
باحث أكاديمي

كان من فضل الله-عز وجل- على العربية والعرب أن فتح القرآن الكريم أبوابًا للعلوم والمعارف ملأت تاريخنا بالنشاط والإنتاج والعمل الطيب المبارك. ومن ذلك ما نشأ في ميادين الإعراب لآياته المباركات، واستمرت أزاهيره وثماره على توالي القرون، فكان لها مكتبة عامرة بالعطاء، تمثل قمة في حقول العلوم اللغوية، لا مثيل لها في تاريخ الإنسان.

أعاريب القرآن الكريم

وقد شاعت بوادر هذا العلم الشريف في العقود الأولى من سني الهجرة، إذ تعرض كثير من الصحابة والتابعين لإعراب بعض العناصر اللفظية، وتحديد وظائفها ومعانيها وعلاقاتها بما حولها، مع بيان شيء من الأدلة الوافية. فالصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ كان له عدّة مقولات محفوظة، منها ما ذكره في التعليق على قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (الحديد:١٩) من أن «الشهداء» معطوف على «الصديقون»، والكلام متصل. يعني أن ذلك من عطف المفردات، أما حبر الأمة عبدالله بن عباس ﷺ فقد كثرت عنه مقولات الإعراب، حتى ليتعذر على الباحث استيعابها. فهو عندما كان يفسر قول الله- عز وجل:﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (ص: ٨٤)، سأله أحد المسلمين: «لِمَ رُفِعَ الأوّلُ ونُصِبَ الثاني»؟ فقال: أي: هو الحق، وأقول الحق.

ولقد كان لأبي الأسود الدؤلي جهود تعليمية في موضوعات مختلفة من النحو، حتى إن عمر بن الخطاب ﷺ طلب من والي البصرة أبي موسى الأشعري ﷺ أن يقوم أبوالأسود هذا بتعليم الأعاجم والموالي فيها ما يوجه ألسنتهم إلى فصاحة العربية، وهذا يعني أنه مارس تلك المهمة زمنًا، ثم تصدر لتعليم العربية وتحليل النصوص القرآنية، لغة ودلالة وإعرابًا، وحقق ذلك فيما عممه من تنقيط الإعراب، كما هو مشهور، حيث ضبط مفردات القرآن الكريم في الإعراب والصرف، بما ييسر لفظها المتقن، ويبين الصيغ والعلاقات والوظائف النحوية.

وهذا «حمر بن عبدالرحمن النحوي القارئ سمع أبا الأسود، وعنه طلب إعراب القرآن أربعين سنة» كما يقول السيوطي، ولو كان ذلك الطلب مقصورًا على مجرد النَقط المعروف لَما احتاج عالم نحوي قارئ إلى هذا الزمن لضبطه وتعلمه. فلا شك أنه قد كان مع تلك الإشارات دراسة وتحليل وحوار وبيان، لبعض الوظائف والمعاني والعلاقات، مع ذكر الأدلة المناسبة يومذاك.

ولقد شارك أصحاب ابن عباس وأبي الأسود ومن أخذ عنهم أيضًا في توسعة هذا الميدان، فكان لهم إجراءات إعرابية غفيرة للنصوص الكريمة، وهكذا انتشرت أمثال هذه الإجراءات العملية في صفوف العلماء، حتى أصبح للإعراب مجالس خاصة في كثير من المؤسسات. فابن أبي إسحاق الحضرمي النحوي له في المسجد الجامع بالبصرة حلقة طلاب، إلى جانب حلقة محمد بن سيرين الفقيه المشهور الذي يُبغض النحويين ويذمهم. وكأنه حصل بينهما من الأحداث ما حمل ابن سيرين، على القول: لقد بغض إلينا هؤلاء المسجد.

ثم بلغ ابن أبي إسحاق أن ابن سيرين يعيب عليه ما يلقيه من تفسير الشعر ويقول: «ما علمه بإرادة الشاعر»؟ فقال يرد عليه: «إن الفتوى في الشعر لاتحل حرامًا، ولا تحرم حلالاً. وإنما نفتي فيما استتر من معاني الشعر، وأشكل من غريبه وإعرابه، بفتوى سمعناها من غيرنا، أو اجتهدنا فيها آراءنا، فإن زللنا أو عثرنا فليس الزلل في ذلك كالزلل في عبارة الرؤيا، ولا العثرة فيه كالعثرة في الخروج عما أجمعت عليه الأئمة من سنة الوضوء، وكرهته الجماعة من الاعتداء في الطهور».

ولما بلغ ذلك القول ابن سيرين أقصر عما كان عليه من الإفراط في الوضوء،

وأصبح إذا جاءه الرجل يسأله عن الرؤيا يقول: «هات حتى أظنَّ لك»، وصار ابن أبي إسحاق بعد أن بلغته عبارة ابن سيرين يقول: «أظنّ الشاعر أراد كذا، واللغة توجب كذا». ولا شك أن ذكر الإعراب في هذه الحادثة يعني شيئًا مما نعرف اليوم، وإن كان في صور بسيطة مختزلة وعبارات غير موحدة، ويقتضي أيضًا أنه كان حينئذ في بعض المساجد والمجالس جمهور يتلقى تلك المعلومات بفهم وتدبر.

غير أنه لم تصنف كتب في مثل هذا، وأن ما نسب إلى ابن عباس في كتاب «تنوير المقباس» ليس كله له، وهو مزيج من أقوال المتأخرين بقليل من مقولاته. ثم نشأت مصنفات إعراب القرآن في منتصف القرن الثاني، إذ نرى منها ما أصدره: قطرب وأبوعبيدة وأبوحاتم السجستاني وعبدالملك بن حبيب القرطبي وابن قتيبة والمبرد وثعلب ونفطويه وأبوجعفر النحاس وابن خالويه.

ثم يواجهك ابن جني بـ«المحتَسَب في تبيين وجوه شواذّ القراءات»، وعبدالرحمن بن محمد بن زنجلة بـ«حُجّة القراءات»، والحَوفي أيضًا وكتابه في عشر مجلدات، ومكي بن أبي طالب بكتبه مشكل إعراب القرآن، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، والتبصرة في القراءات السبع، والباقولي بـ«جواهر القرآن»، والعُكبَري بـ«التبيين في إعراب القرآن».. وتعقيبًا على تلك الجهود الكريمة في المصنفات الخاصّة وفي تفاسير القرآن الكريم عامة، يتصدى ابن هشام الأنصاري لمحتوياتها بالنقد والتوجيه والتنسيق، تحت عناوين نحوية منهجية، فيطالعنا منها بسفره القيّم: «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب».

الفرزدق كان يحرض النحاة بنشر أوابد الشعر للمتابعة والاستقصاء

إعراب النصوص الشعرية

هذا في عوالم القرآن العظيم، ومنذ القرن الهجري الأول كان بعض النحاة يتتبع الشعراء لينظر في أقوالهم، ويتعقب صياغتها وظواهر الإعراب فيها، فلما أنشد الفرزدق بيته:

تُريكَ نُجومَ اللَّيلِ، والشَّمسُ حَيَّةٌ
زِحامُ بَناتِ الحارِثِ بنِ عُبادِ

قال أحد تلاميذ أبي الأسود الدؤلي، وهو عنبسة بن معدان: «الزحام مذكر»، يعني أن الفعل «تُري» مسند إلى مؤنث، والفاعل هنا مذكر، وفي التعبير إخلال بالمطابقة، ولكن الفرزدق زجره بقوله: «اغرب»، فشرع يحلل ابن أبي إسحاق المسألة، قائلًا: الزحام له وجهان: «أن يكون مصدرًا مثل الطعان والقِتال، من قولهم: زاحمته زحامًا- فهذا مذكر كما قال عنبسة- أو يكون جمعًا للزحمة، يراد بها الجماعة المزدحمة، فهذا مؤنّث لأن الزحام هو المزاحمة، كما أن الطعان هو المطاعنة، وقول عنبسة أقوى وأعرف في الكلام».

والوجه الثاني، كما ترى، فيه تحليل صرفي يسوغ قبول التعبير، ويجعل المصدر بمعنى اسم الذات مبالغة في الوصف، مع إشارة إلى وجه آخر بتأويل المصدر «الزحام» بمعنى المزاحَمة، كما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع أعرابيًا يقول: «فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقره»، فسأله: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: «أليس بصحيفة»؟ حمله على المعنى تأويلًا. وأيسر من هذا أن يكون المذكر «الزحام» في بيت الفرزدق قد استفاد التأنيث بإضافته إلى المؤنث «بنات» من باب التأنيث الحكمي. وهو كثير في الكلام.

وفي موقف آخر، ترى ابن أبي إسحاق يعترض الفرزدق لما يبدو من اختلاف بين المتعاطفين، في بيته هذا:

وعَضّ زَمانٍ، يا بنَ مَروانَ، لَم يَدَعْ
مِنَ المالِ إلّا مُسحَتًا، أو مُجَلَّفُ

ويقول له منكرًا: «على أي شيء رفعت مجلفًا»؟ فيجيبه الفرزدق: على «ما يسوءك وينوءك». ولهذا نرى ابن أبي إسحاق يتابع المسألة بعد قائلًا «وللرفع وجه». يعني أن الرفع يكون بالحمل على المعنى، والتقدير: «أو بقيَ فيه مجلّفٌ»، فحَذف الفعل لدلالة ما قبله عليه، إذ قوله «لم يدَع من المال إلّا مسحتًا» دلّ على أنه قد بقي، فأضمر ما يدل هذا عليه.

بل لقد كان الفرزدق يحرّض النحاة ويستفزّهم بنشر أوابد العربية، في التعبير المجازي والإلغاز، ويثير فيهم حمية المتابعة والاستقصاء، ولسان حاله يردد: «نحن علينا أن نقول، وأنتم عليكم أن تتأولوا». ولذا تراه كثيرًا ما يصطنع التعنت والاستفزاز لهم، وهم يلهثون وراءه بالنقد والردّ إلى الأساليب القياسية، وغالبًا ما كانوا يتبارون في السبق إلى اكتشاف وجه العربية في تحليل تلك الأوابد، ويمتحن بعضهم بعضًا فيها. بل ربما كان الفرزدق يفاجئ أحدهم بتوظيف الشاذ من التعبير، ثم ينعى عليه قصوره عن إيجاد الرخصة الملائمة له قائلًا بتعجب وتهكم: «ما بال هذا الذي يجر خصييه في المسجد، لا يجعل له بحيلته وجهًا»؟ وبهذا ترى أنه يحمله تبعة التخريج والتأويل.

وقد تولد عن ذلك توجّهُ النحاة إلى النتاج الشعري، يعالجون ظواهره التعبيرية، ليجدوا لمشكلاتها مخرجًا يوضح الوظائف والعلاقات، حتى ظهر بين شراح الأشعار اهتمام بالجانب النحوي، كالذي تراه في شرح المعلقات لابن الأنباري والنحاس والتبريزي، وشرح المفضليات للأنباري والمرزوقي والتبريزي، وشروح الحماسة وديواني أبي تمام والمتنبي، وقد شارك فيها أيضًا ابن جني والمعري والباقولي والعكبري، هذا أبوجعفر النحاس يصرح أنه تتبع ما في المعلقات من النحو باستقصاء، ثم يتناول تلك الجوانب بالتحليل الإعرابي والصرفي مفصلًا.

والمعري كثيرًا ما تثير انتباهه الكلمات والتراكيب في شعر المتنبي، فيذكر وجه الإعراب والصرف فيها، ويورد مذاهب العلماء في ذلك، ثم يقف التبريزي على شروح كتاب «الحماسة» فيرى أن بعض العلماء عني بذكر إعراب مواضع منه، وآخرين ذكروا المعاني دون الإعراب، فيأخذ على نفسه أن يتناول في شرحه تبيين اشتقاق أسماء الشعراء مع المسائل الإعرابية وغيرها من الأخبار والمعاني والنقد والعروض والقوافي. وبذلك يرسم لشراح الأشعار منهجًا تكامليًا يقتدون به في مصنفاتهم.

ثم نرى حفيدًا لأبي البقاء العكبَري، وهو محب الدين عبدالله بن الحسين أيضًا، يقتفي خطوات جده فيتناول «لامية الشنفرى» ومطلعها:

أقيموا، بني أمي، صدور مطيكم
فإني، إلى قوم سواكم، لأميل

يتناولها بالشرح اللغوي الموجز جدًا، مع تحليل نحوي مختصر، لكثير من المفردات إعرابًا وصرفًا وللجمل ولمعاني الأدوات.

الخطوة البكر في التحليل النحوي كانت لأبي البقاء العكبري

ومن جانب آخر نرى العلماء يختارون ما أشكل من النصوص الشعرية، ليفسروه ويحللوا مسائله وألغازه النحوية في الإعراب والصرف، فكانت مؤلفات وافرة تعرض لذلك بالتفصيل أمثال: الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي، وشرح الأبيات المشكلة الإعراب للفارسي، والأحاجي النحوية لكثير من العلماء. وهي تمثل ما هو معروف من: مسائل التمرين.

ولما كانت الشواهد الشعرية في النحو تتضمن ما يتطلب البيان فقد شغل النحاة بها، وراحوا يحللون ما فيها من المسائل الإعرابية والصرفية، هذا «كتاب» سيبويه ترى شروحًا لشواهده قام بها المبرد والزجاج والنحاس وابن السيرافي والأعلم الشنتمري والزمخشري والعكبري، وكتاب «الجمل في النحو» للزجاجي يشرح شواهده قرابة عشرين عالمًا منهم المعري وابن سيده وابن السيد البطليوسي وابن ملكون.

بل إن الشواهد التي أوردها شراح الألفية صارت ميدانًا لتباري النحاة في تناول مسائلها النحوية وتحليل ما فيها من إعراب وصرف خلال الشرح، أو بتعليقات على تلك الشروح، بلغ مجموعها حوالى ٢٥٠ مصنفًا، وقد اختار بدرالدين العيني من ذلك ما جاء في أربعة شروح، هي لابن الناظم والمرادي وابن هشام وابن عقيل، فصنف في بيان معانيها وإعرابها كتابين: المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، وفرائد العقود في مختصر شرح الشواهد.

وقد نالت اهتمام عبدالقادر البغدادي شواهد كتب: مغني اللبيب لابن هشام وشرحي الكافية والشافية، للرضي الاستراباذي، فألف في ذلك: شرح أبيات مغني اللبيب، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، وشرح شواهد شرح الشافية، وفيها أيضًا بسط لتحليل الكثير من المسائل النحوية في ميادين الإعراب والصرف، وبعض معاني الأدوات. وإذا كان فيما ذكرنا هنا تعرض لكثير من مسائل الشواهد، فإن في أيامنا هذه من أعربها كلها، وهو ما قام به الشيخ الحمصي محمد علي طه الدرة في كتابيه: فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب، وفتح رب البرية إعراب شواهد جامع الدروس العربية.

وكان في القرن التاسع قد صنف شهاب الدين أحمد بن الحسين الرملي الشافعي إعرابًا لألفية ابن مالك، وكأن خالد بن عبدالله الأزهري لم يطلع على ذلك الإعراب، ورأى أن شراح الألفية أتعبوا الفكر في فهم معانيها، ولم يُنعموا النظر في إعراب مبانيها إلا مواضع اقتصروا عليها لمسيس حاجتهم إليها، فعزم على إعراب جميع أبياتها مع شرح الغريب وضبط ما أشكل، وسمى ذلك: «تمرين الطلاب في صنعة الإعراب»، وقد استوفى ذلك فعلًا، مع عرض لوجوه مختلفة من الأقوال والمذاهب والاحتمالات، وعلى غرار ذلك ما يمكن أن يرى في صنيع الخطابي المالكي الذي صنف «شرح الألفية» أيضًا.

إعراب الأحاديث المطهرة:

أما الأحاديث الشريفة فقد كانت ميسرًا بيانها بما يفسره النبي ﷺ،

حين يقولها ويسأل الصحابة عما يحتاج إلى تفسير، فتتدرج عباراته المطهرة تلك في الرواية على أنها جزء من النص الحبيب، وهذا وارد في التقييد الشخصي الذي رافق السنة الشريفة في حياة النبوة، وهو متعدد الأشكال في صحائف وأوراق وقراطيس وألواح ومجال (جمع مجلة) ورسائل وتعليمات للموفدين والمكلفين بالأعمال، ولدت عشرات منها بالنقل والمعارضة والتصويب.

وفي منتصف القرن الأول ظهرت نماذج جديدة من هذا التدوين، كانت على شكل جمع لما تفرق من النصوص المشرفة بأسانيدها، جمع في دفاتر بأمر عبدالعزيز والي مصر يشبه جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقد تلا ذلك جمع وتدوين أوفى وأدق بأمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، كما حصل في القرآن الكريم أيضًا على عهد عثمان رضي الله عنه، فكانت دفاتر في نماذج موحدة وزعت على الآفاق ليعمل بما فيها. ومن هذه النماذج الكريمة معارضة بالحفظ الشخصي تألفت مصنفات في القرن الثاني يقال لها: «السنن والمسانيد والمجاميع»، وهي بالعشرات أقدمُها ما جاء عن الربيع بن صبيح، ثم كان جمع الموطأ والصحاح الستة وما بعدها.

ومجمل النصوص في هذه المدونات كان يكتفي بضبط الأسانيد والرواية، وفيها كل ما تحتاج إليه من تفسير. ولذا لم يكن ثمة حاجة إلى معالجة وتوضيح أو إعراب حتى أواخر القرن الثاني، إذ بدأت تظهر كتب «غريب الحديث»، كان أولها للراوية العالم الشاعر أبي عدنان عبدالرحمن بن عبدالأعلى، ثم تلاه ما هو للنضر بن شميل وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وقطرب وأبي زيد الأنصاري.

ولقد كانت تلك مرحلة بدائية بسيطة، نمّاها ووسّع آفاقها أبوعُبيد القاسم بن سلّام الهَرَوي بتفصيل من التفسير وقليل من مسائل الإعراب، ثم شاركه في ذلك عبدالملك بن حبيب المالكي ومحمد بن حبيب وابن قُتيبة وإبراهيم بن إسحاق الحربي بمشروعات أكثر تنوعًا للشرح والبيان، فيما أشكل من النصوص الشريفة، ذللت الصعاب وزودت العلماء والدارسين بما يحتاجون إليه. ولذا جاء «الموطأ» مع الكتب الصحاح الستة خاليًا من الشرح والإعراب، إلا ما انتثر من قليل ذلك في «صحيح البخاري»، وبعض مصنفات السنن، إذ كان همّ أصحابها ضبط الأسانيد والنصوص، ثم بيان الأحكام الشرعية كما ظهر بالتفصيل في: الموطأ.

وقد تابع خطوات الشرح كثير من علماء العربية، فكان لهم مصنفات لتفسير المفردات وشيء من نماذج الإعراب والصرف، بما يساعد على فهم المعاني، حتى رأينا مثل «الغريبين» لأحمد بن محمد الهَرَوي، و«الفائق» «للزمخشري»، و«النهاية» لابن الأثير، حيث استقرت مناهج الشرح بتفسير الغريب من المفردات، وشرح العبارات، مع شذرات من التحليل الصرفي ومعاني الأدوات ونادر من الإعراب.

إلا أن الخطوة البكر في التحليل النحوي للأقوال المباركة كانت على يدي الفقيه النحوي أبي البقاء العكبري، حين رغب إليه جماعة من طلبة الحديث أن يملي مختصرًا في إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث الشريفة، فكان اعتماده على «جامع المسانيد» لابن الجوزي، إذ تناول من ذلك مادة وافرة للمسائل النحوية جعلها تحت عنوان «إعراب الحديث النبوي». وقد عرض فيه كثيرًا من الإعراب بما تحتمله بعض المفردات من الوجوه والروايات، وقليلًا من الصرف ومعاني الأدوات.

ثم كانت خطوة جريئة لإمام النحو والحديث ابن مالك، تجاوزت ما رسمه النحاة من أصول وفروع للصياغات العربية، فجمع من «صحيح البخاري» ما يخرج على تلك القواعد، وأعرب مشكلاته مؤيدًا صحتها بما في التاريخ اللغوي من قراءات وأقوال للعرب في الشعر والنثر، وجعل ذلك تحت عنوان: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح.

وهنا ترى قدرة ابن مالك على التوفيق بين النصوص النبوية المشرّفة وأساليب العرب في التعبير، وإن خالفت القيود النحوية المقررة. ومن ذلك: حذف الفاء في جواب «أما»، وحذف المعطوف، واستعمال «أحد» العام المعنى في الإيجاب، وحتى: بمعنى: حين، واستعمال «قط» في الإثبات، ودخول لام الابتداء على خبر: كان، وجعل «متى» مثل: حين، وحذف نون الرفع بلا مقتض، وحذف المضاف والمجرور العائد على الموصول في غير الشروط المعروفة، ووقوع «هل» موقع الهمزة، و «ها» موقع حرف القسم، وحذف الفعل بعد «لا» الناهية، والعطف على ضمير الجر بلا إعادة الجار، وورود الفعل الماضي بمعنى الأمر، وحذف همزة «أخوة»، وإبدال الهمزة الثانية من «ائتزر» تاء، واستعمال مفعولة بمعنى: مفعلة.

الهدية

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

«يا له من يوم مرهق»
رددها وهو يركز في الطريق الذي يزدحم في مثل هذا الوقت، فلا يذكر أنه واجه ضغط عمل كالذي عاشه اليوم، وكل ما تمناه حينها أن يرتمي على سريره ويغط في نوم عميق، ولكن كيف السبيل إلى ذلك، واليوم يوافق يوم مولد حسام، وقد وعده أن يحتفل هذا العام بيوم مولده في أكبر متنزه في المدينة ولا مجال للعودة عن هذا الوعد؟
«ليته ينسى»
رددها في أعماقه وهو يوقف سيارته، لكن ما إن ترجل عنها، حتى تبخرت أمنيته بسرعة، فقد كان حسام ينتظره على عتبة الباب، وأدرك من لهفته وهو يجري نحوه أنه لم يبارح مكانه منذ عودته من المدرسة في انتظار الاحتفال المميز الذي ظل ينتظره طويلًا.

«هل أعددت لكل شيء؟»
سألته زوجته وهي تضع أمامه طعام الغداء.
«بكل تأكيد سنذهب أولًا لشراء الكعكة، ثم نمر على محل الألعاب لشراء أجمل وأغلى هدية، وبعدها نتجه إلى المتنزه في وسط المدينة حيث تم الترتيب لكل شيء».
صمتت لبرهة قبل أن تستدرج..
«ألا تعتقد أنه من الأفضل الاحتفال في البيت، فكما تعلم الأوضاع مضطربة بشكل مقلق في الآونة الأخيرة»
لامس قلقها قلبه، فهو يدرك هذا الأمر جيدًا، ومنذ اندلاع ثورة الشباب والأمور من سيئ إلى أسوء، حتى بات الشخص يمشي في الشارع وهو ينتظر الموت يأتيه في أي لحظة، ثم ينبري أطراف النزاع ليتهم أحدهم الآخر بكونه القاتل والمخرب.
وقبل أن يجيبها بكلمة واحدة حانت منه التفاتة لحسام لتخرسه نظراته المؤنبة، فلم يجد إلا الابتسامة يطمئن بها زوجته.
لم يكف حسام عن الحديث منذ مغادرة المنزل، فقد كان لديه الكثير ليحكيه لوالده الذي انشغل عنه أخيرًا.
«البارحة وأنا عائد من المدرسة وجدت كلبًا كبيرًا يعترض طريقي، هل تدري كيف تصرفت معه؟!»
«دعني أخمن أظن أنك انسحبت من أمامه حتى لا يعضك؟»
«ما هذا الكلام يا أبي! لقد أصبحت كبيرًا بما فيه الكفاية لأدافع عن نفسي»
«حسنًا عجزت.. أخبرني أنت كيف تصرفت معه؟!»
«استجمعت كل قواي، وأمسكت بعصا غليظة للدفاع عن نفسي إذا قام بمهاجمتي، ولكن بمجرد أن رآها بيدي حتى فر من أمامي مذعورًا».
«حقًا؟!»
«ألا تصدقني؟!»
«ومن قال ذلك؟ بالطبع أصدقك فأنا أعلم أنك شجاع جدًا»
«أبي! إذا صادفك ذلك الكلب فقط أخبرني، وسترى كيف سأجعله يفر من أمامك»
«حسنًا يا بطلي الصغير سيكون ذلك بالتأكيد».
كان يعلم أن القصة صحيحة- مع فارق بسيط- فالكلب المزعوم لجاره سعيد، وهو لا يزال جروًا صغيرًا لا يؤذي قطة، وقبل أن يبدأ حسام بسرد مغامرة جديدة، كانوا قد وصلوا إلى محل للحلويات، اختاروا كعكة كبيرة، ثم توجهوا مباشرة إلى محل الألعاب حيث طلبا منه البقاء في السيارة ريثما يعودا.
«خذاني معكما».
«وكيف ستكون مفاجأة إذا شاهدتها الآن؟ لن نتأخر سنغيب دقائق فقط»
استوقفه قطار جميل، وقرر أن يشتريه.
«ألا تعتقد أن ثمنه مرتفع؟»
«ربما.. لكن حسام سيفرح به كثيرًا، فطالما تمنى أن يكون لديه قطار مثل هذا».

كانا على وشك الخروج من المحل، وهما يحملان القطار وقد غلف بطريقة جميلة. حين ارتفعت أصوات طلقات نارية في الشارع ذاته، وبلمح البصر عمت الفوضى.

«حسام!!»

رمى بالهدية من يده، وهو يصرخ ويهرع نحو السيارة، متجاهلًا خطر الموت الذي يتربص به في تلك اللحظات، وما إن وصل حتى أحس بالأرض تزلزل من تحت قدميه، راح يحدق في حسام بذهول، فقد حينها الإحساس بكل ما حوله، وحتى بقدميه التي باتت عاجزة عن حمله، وكأن موجات عنيفة تتقاذف جسده حيث تشاء، فبات عقله عاجزًا عن تجميع خيوط المشهد المتجسد أمامه.

ولم يُعد له قدرته على التفكير إلا صرخة زوجته التي دوت في الشارع ليعقبها صمت مخيف.. كان حسام ينام على الكرسي حيث تركه وقد لطخ وجهه وصدره بدمه النازف، استجمع قواه وحمله بين ذراعيه.. أحس بالوهن يغزو جسمه، بمجرد ما أصبح بين ذراعيه.. جثا على ركبتيه، وأخذ يضمه إلى صدره وهو يبكي ويئن بحرقة.

«أ..بـ..ي..»

خرجت من بين شفتيه الباهتتين واهية متقطعة، وكأنه ينتزع الحروف من أعماقه في حين راحت يداه تتشبثان بقوة بالشمعة المنحوتة على شكل رقم ٧ التي انتقاها بنفسه لتزيين الكعكة بيوم ميلاده السابع، أعادت هذه الحروف المتقطعة الحياة لوالده فراح يلملم شتات روحه، وأسرع به إلى أقرب مستشفى.

مرت الدقائق عليه وعلى زوجته كأنها دهور طويلة، وهما ينتظران كلمة واحدة يتفوه بها أحد الأطباء لتعيد الحياة لقلبيهما، ولكن أيًّا من ذلك لم يحدث. انزوت زوجته في أحد الأركان تبكي بصمت وحرقة، في حين أسند ظهره على الجدار المقابل لغرفة العمليات وعيناه معلقتان على الباب.. في حين راحت الأحداث والأفكار تتزاحم في عقله المنهك.

«سيدتي! أرجوك طمئنيني على زوجتي وطفلي»

ردت عليه الممرضة وهي تدخل الغرفة على عجل

«لا تقلق يا سيدي ستكون بخير»

كيف يطلبون منه ألا يقلق وزوجته في تلك الغرفة لأكثر من ساعتين، فرغم لهفته التي لا توصف ليكون أبًا بعد زواج دام لأكثر من ١٠ سنوات دون أطفال إلا أنه لا يريد أن يفقدها.

«يااااارب»

نطق بها وهو يذرع الممر ذهابًا وإيابًا عندما فتح الباب مجددًا وخرج الطبيب وهو يبتسم له

«زوجتك بحالة جيدة»

«والطفل؟»

«إنه بخير أيضًا، هل اخترت له اسمًا»

كان قد اتفق هو وزوجته على اسم المولود سواء كان ولدًا أو بنتًا، لكنه نسي الاسم تمامًا حينها من الفرحة.

«حسام... حسام»

أخذت تبكي وهي تردد الاسم بصوت مخنوق، مسح دموعه وجلس إلى جانبها ضمها إليه وامتزجت دموعه بدموعها

«كان علينا أن نأخذه معنا»

قبل أن يجيبها خرج الطبيب من غرفة العمليات فأسرعا نحوه، حدق نحوهما بنظرات حزينة وقال وهو يهز كتفيه:

«آسف حاولت كل ما بوسعي لكن...»

أغمض عينيه وحاول التماسك في حين تهاوت زوجته بشكل كامل، لم يزد الطبيب حرفًا واحد، وقبل أن يمضي، وضع بين يديه الشمعة التي ظل حسام متشبثًا بها لآخر رمق. أخذ يحدق فيها وهو غير مصدق، فالشمعة الوحيدة في حياته تنطفئ في نفس اليوم ونفس المكان التي أوقدت فيه!!

أسند زوجته التي قرر أخذها عند أختها ليرحمها قليلًا من الألم الذي تعانيه هنا، وقبل أن يغادر وجد نفسه محاصرًا ببعض الغرباء، والكاميرا تصور المكان في حين راح شاب متأنق يطلب منه أن يسمحوا له بتصوير ابنه، وأن يقول للجميع أن الشباب الثائر هم السبب في موت ابنه وإقلاق السكينة.

أكد لهم أنه لم ير قاتل ابنه، وما يدركه الآن أن الاحتفال بعيد ميلاد ابنه لم يعد ممكنًا، ثم تركهم وغادر.

علم فيما بعد أنه ركن سيارته في الشارع الذي صادف مرور إحدى المسيرات الشبابية، ومن حيث لا يدري أحد انطلقت بعض الرصاصات الطائشة لتسلبه إحداها ابنه الوحيد.

حاول تفادي المرور بجانب السيارة العابقة بأنفاس حسام الأخيرة ودمائه التي لا تزال حرارتها تصهر قلبه وروحه وتدميها من الداخل.

وما إن وصل إلى بيت أخت زوجته حتى صار للحزن طعم أكثر مرارة، تركهما تواسيان بعضهما البعض، وقفل عائدًا إلى المستشفى لاستكمال الإجراءات، ورغم أن التاكسي كان بانتظاره لكنه أشار إليه أن يمضي، فقد أحس برغبة جارفة لتنفس بعض الهواء قبل أن يلقي بالوداع الأخير على ابنه.

أخذ يمشي دون هدف تتحدر منه دموع صامته ويقاوم صرخة يضيق بها صدره.

ليته استمع لنصيحة زوجته واحتفل بهذا اليوم في المنزل، ليته استجاب

لتوسلات حسام وأخذه معه إلى المحل، وليت إحدى تلك الرصاصات الطائشة قد اخترقت قلبه وأراحته من تجرع هذه المرارة والحسرة.

سرعان ما عاد التعب يطرق جسده بمعاول شديدة تفقده القدرة على الاستمرار في السير.. تلفت حوله علّه يجد مكانًا يرمي فيه بقايا جسده المنهك، ولحسن حظه وجد مقهى بالقرب منه سحب أطراف كرسي وجلس عليه بأنفاس متقطعة وروح كسيرة

كل ما كان يتمناه حينها شربة ماء يبلل بها ريقه فراحت عيناه تبحث عن أحد العاملين لمساعدته، وما إن وقعت عيناه على التلفاز المعلق في الداخل حتى هب من مكانه كمن قرصته أفعى سامة.. ظل يحدق في المشهد الذي ينقل لقاءات مباشرة من موقع الحدث وهو غير مصدق لما تراه عيناه.

اقترب أكثر حتى صار أمامه مباشرة، طلب منه أحدهم أن يبتعد ليتمكنوا من المشاهدة فأسكته بإشارة من يده ليصمت.

نعم فهذه سيارته المهشم زجاجها والدماء متناثرة عليه، طفله الوحيد مسجى على الفراش دون حراك ونفس الشاب المتأنق و...

يا إلهي والدا الطفل يبكيان ابنهما، ويكيلان بالسب والشتم على من سلباهما فلذة كبدهما ويوزعان الاتهامات هنا وهناك على من تسبب في قتله، وتسبب في تلك الفوضى كلها، ولكن...

إن كان هذا المشهد مباشرًا، وهو يقف هنا، وزوجته منهارة تمامًا عند أختها فمن يكونا؟!

تضايق منه أحد الحضور فاقترب منه طالبًا إليه التحرك بعيدًا، أبعد يده التي ربتت على كتفه بقوه، والتفت إليه بعينين دامعتين وبصوت انتزعه من داخله انتزاعًا

«هذا ابني...»

صمت للحظات وكأنه يبحث عن شيء يقوله

«سرقوه مني حيًا وهاهم يسرقوه ميتًا»

وبلمح البصر تحول انتباه الجميع من التحديق في الشاشة والتفوا حول الرجل.. الكل يريد أن يفهم ما يحدث بالضبط

«ماذا تعني؟»

«لا أدري حقيقة.. لا أدري لكنه ابني أقسم إنه ابني، وهذا دمه لا يزال عالقًا في قميصي».

كان يتحدث وهو يمسك بقميصه وينتقل بين الحضور والتلفاز بنظراته كالمحموم.

وهبت الرياح

أحمد عطية - قاص مصري

كان الحوار على أشده، وكان يجلس هناك في أحد أركان الحجرة.. يتابع في صمت، يمتزج بالخوف، ما يدور حوله، وكان الرفاق قد أتوا لزيارة صديقهم الذي حبسه المرض منذ أيام قلائل، وحملوه على المجيء معهم، فلم تكن المعرفة التي تربطه بصديقه المريض قوية، فقد قابله- فيما يذكر- مرة أو مرتين، حتى صورته لم تتضح في ذهنه عندما قالوا له إنه مريض.

تردد في المجيء، لكنه أتى بعد إلحاح، ودار الحديث في أغلبه حول ثواب الزيارة، ولكن حدث ما كان يخافه، فقد انقسم الرفاق إلى فريقين حول إحدى القضايا الدينية التي تشغل بال الناس في هذه الأيام، وأخذ أفراد كل فريق يطرحون رؤاهم التي تعضد موقفهم حيال هذا الأمر.. إلا هو.. فلم يدخل في أي فريق، بل ظل الصمت يخيم عليه وحده، وتناساه الرفاق، وكأنه لم يأت معهم، أو كأن الجالس هناك في ركن الحجرة ظلال تجمعت بسبب اصطدام شيء ما بضوء المصباح، فهو فضاء أسود لا وجود له على أرض الواقع، ومن الممكن في أي لحظة أن يزول.

ارتفع الصوت ووصل الحوار إلى أعلى درجاته، ولم ينطق صاحبنا بكلمة واحدة، وكل ما كان يفعله هو أن يرمق الجالسين بنظره فقط، فنظره حائر بين الفريقين، وغدا وكأنه وقع بين أمواج متلاطمة تدفعه يمينًا ويسارًا حتى أوشك على الغرق، أو بالأدق يئس من محاولات النجاة.

ليته لم يأت.. قالها في نفسه الحزينة مرات عدة، فضرورات الحياة ألهته عن طلب العلم الديني أو حتى معرفة جزء ضئيل منه، فهو يبدو وكأنه في صراع مع تلك الحياة التي لا تهبه من عمره إلا بعض الأوقات البسيطة التي يخلد فيها للنوم.. حتى هذه لم تسلم له في أغلب الأحوال.

الصوت مازال يملأ أركان الحجرة، والرفاق غدوا وكأنهم وجدوا ضالتهم في حديثهم هذا، وثوب الصمت مازال يخيم على صاحبنا في ركنه المظلم الجالس فيه، ووجهه يتوارى خجلا من ضوء المصباح المدلى من سقف الحجرة الذي تحركه الرياح المنبعثة من إحدى النوافذ، فيبدو وكأنه يكشف أستار الظلام ليعري ما وراءها.. وكان صاحبنا كلما اقترب منه ضوء المصباح حاول أن يختبئ في أي شيء، حتى إنه تمنى أن تبتلعه الأرض في موقفه المخجل هذا، فالكل يتحدث إلا هو، وكأن رصيده من الكلمات قد نفد، وغدا حاله وكأنهم حملوه معهم كما يحمل الأب صغيره الى أحد الأفراح في شوارع القرية، فلا حضوره يؤثر، ولا غيابه يضر.

الوجه يزداد حزنًا، والمصباح يعانده في الوصول إليه في مخبئه هذا، والكل انشغل بالحديث عنه، والكلمات تبدو وكأنها مربوطة في جبل من الصخر، والصمت يبدو وكأنه جدار مظلم يحجبه عن الناس من حوله.

الرياح مازالت تهب على وجهه، والليل يرمقه من هناك.. في ذلك الفضاء المتسع الذي يمتد إلى مالا نهاية له من العلو.. انشغل صاحبنا قليلا بتلك الرياح، وبذلك الليل الذي يطل عليه من بعيد، وكأنه أحس منهما صداقة جديدة ربما تعوضه عن هؤلاء الرفاق الذين لم يعرف عن حديثهم أي شيء، ولو تكلم لسخروا منه وعدوه أحد الجهلاء الذين كانوا السبب في بلايا الأمم.

ثم أفاق إلى نفسه مرة أخرى وهو يتمتم.. ليتني لم آت إلى هنا، نعم ليتني لم آت إلى هنا، كان من الممكن أن أتقرب إلى ربي بأي ثواب آخر غير هذا، وصدقني يا صاحبي.. فأنا المريض لا أنت، أنا الآن أشعر أني ذرات تافهة في هذا الوجود المتسع، أشعر وكأنني لا شيء، ربما أكون فراغًا وأنا لا أدرك، أو لعلني شبح لذلك الأحمق الذي عاش منذ آلاف السنين، وبقيت سيرته للأجيال يصبون عليها جامّ غضبهم في كل حادثة من حوادث الحياة.

نعم لعلني هو، فأنا أشعر الآن بأن القرون الخوالي تتحرك في داخلي، وبأن سيرتي تمتد هناك منذ آلاف السنين، منذ القرون الأولى من عمر الأرض، نعم أنا هو، فنحن يجمعنا نسيج واحد يربطه الجهل والتخلف في كل زمان وفي كل مكان، ليتني لم أولد أصلا، ولكنني ولدت لتمتد سلسلة الحمقى في كل زمان.. اللهم لا اعتراض على حكمك يا ربي.

الرياح مازالت تصافح المصباح بشدة، والمصباح مستمر في عناده مع صاحبنا هذا في مخبئه المظلم الذي اختاره لنفسه ليتوارى فيه من الرفاق، والليل مازال يرمقه من بعيد وكأنه ينتظر الفرصة ليهمس في أذنه، وكانت الرياح هي رسول الليل إلى صاحبنا، فسمعها تهمس في أذنه: تحرك يا فتى، وانفض عنك غبار الصمت والجهل، فأرض الله واسعة، فانسل من بينهم إلى حيث لا عودة، وانطلق في ذلك الفضاء تحمله الرياح في ثوب الليل في رحلة عبر القرون إلى نقطة البداية لينطلق منها.

الأسرة المسلمة.. الحل العملي للعنف الأسري

د.حميد مسرار - كاتب مغربي

لقد أسس الإسلام الأسرة وفق نظام يسود فيه جو المحبة والتراحم، وينبذ كل ألوان العنف والتخاصم، ففصل أحكامها ووضح حقوق كل فرد فيها.. وأحاطها بسياج العقيدة والأخلاق؛ صيانة لها من كل ما قد يتسلل إليها من ظواهر وإشكالات تفتك بها، وتخرجها عن مقاصدها.

لقد بغض الإسلام كل ما يسيء إلى الأسرة ويعرقل دورها الحضاري، فبناها على أسس وثوابت تضمن استقرارها، وتأدية وظيفتها على الوجه الأكمل، إلا أنه بات من الملاحظ ظهور آفات مجتمعية سلكت سبيلها إليها، فعصفت باستقرارها، وهدمت علاقات المودة والرحمة فيها، فأساءت إليها ولدورها في بناء مجتمع الفضيلة.

ومن بين تلك الظواهر: ظاهرة العنف الأسري، حيث تطالعنا بعض الدراسات الميدانية التي قام بها باحثون في أقطار عربية وإسلامية بخطورتها وفشوها بألوان متعددة.. فهذا عنف ضد الزوجة، وآخر ضد الزوج، وذاك عنف ضد الأبناء، وآخر ضد الآباء.

وإننا إذ لا ننكر ذلك، فالذي نخشاه هو اتهام أحكام الشرع واعتبارها رافدًا من روافده.. ولإزالة اللبس الحاصل لدى كثير من الناس، وإعطاء بعض الحلول العملية لتلك الظاهرة نقف عند مساهمة الأسرة المسلمة في الحل؛ باعتبارها نواة المجتمع، والمحضن الأساس للتربية والتنشئة الاجتماعية. واقتصارنا على الأسرة

هو تأكيد لأهمية البناء الأسري الإسلامي في علاج كثير من الظواهر التي تعيشها الأسرة من عنف وتفكك، والتي قد تخرجها عن مهمتها ودورها الأساسي.

العنف الأسري.. أسبابه وآثاره

العنف الأسري: هو كل عنف يقع في إطار العائلة، ومن قبل أحد أفرادها، بما له من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمجني عليه(١). وقد يكون لفظيًا أو جسديًا أو جنسيًا، ضد فرد من أفراد الأسرة، يمثل الطرف الأضعف فيها.

وللعنف الأسري أسباب يمكن إجمالها فيما يأتي:

أ- ضعف الوازع الديني: فغياب مراقبة الله تعالى تجعل المرء لا ينظر إلا إلى مصالحه الشخصية التي يريد تحصيلها بشتى الوسائل والطرق، جائزة كانت أم محرمة، لذلك كان النظر إلى المصالح الشخصية على حساب مصالح الأسرة طريقًا مفضيًا إلى العنف لا محالة.

ب- التربية والتنشئة الاجتماعية: حيث إن غياب الاحترام والتقدير، والتنشئة في بيئة عنيفة، من العوامل الأساس لبروز تلك الظاهرة.

ج- غياب ثقافة الحوار والتشاور داخل الأسرة، والتي تجعل من العلاقات الأسرية علاقات سلطوية، لا قرار فيها إلا للأقوى.

د- سوء الاختيار وعدم التوافق بين الزوجين: إذ الاختلاف بينهما في الأساس والمقاصد المؤسسة لعلاقتهما سبب رئيس في تعنيف أحدهما الآخر؛ بغية التخلص منه، أو إظهار كراهيته له.

هـ- الظروف الاقتصادية الصعبة: فلاشك أن الفقر وقلة ذات اليد في بعض الأحيان، وعدم الرضا بالوضع القائم أحيانًا أخرى، قد يكون رافدًا من روافد العنف الأسري.

فأسباب العنف متعددة، تشمل ما هو ذاتي واجتماعي واقتصادي، لذلك كانت آثارة عائدة على الفرد والمجتمع ومن بينها:

- نشوء العقد النفسية، التي قد تتطور وتتفاقم إلى حالات مرضية، أو سلوكات عدائية أو إجرامية.
- تفكك الروابط الأسرية، وانعدام الثقة، وتلاشي الإحساس بالأمان.
- تهديد كيان المجتمع، بظهور الانحراف والسرقة والقتل، وغيرها من المظاهر التي تفتك بلحمة المجتمع، ونظام التكافل فيه.

ونظرًا لخطورة تلك الظاهرة على الأفراد والمجتمعات نسأل:

كيف تسهم الأسرة المسلمة في الحل؟

دور الأسرة المسلمة

تشكل الأسرة المسلمة رمز المودة والتراحم، وعقبة كأداء أمام العنف والتخاصم، يتجلى ذلك في الأسس والثوابت التي بنيت عليها، وهي ثوابت- كما سيتضح - تنبذ كل ألوان العنف، وتعتبره تعسفًا ذمه الشرع، ورتب عليه عقوبات رادعة.

إن عرض هذه الثوابت كفيل بدحض كل المزاعم والأطروحات التي تدعي بأن أحكام الأسرة أحكام ذكورية! تميز بين الرجل والمرأة، وتكرس العنف داخلها، يقول العلامة محمد التاويل: «والمتتبع لأصول الفقه وفروعه لا يكاد يجد لهذا الاتهام الظالم مبررًا، ولا يجد للتمييز المزعوم أثرًا، باستثناء جزئيات قليلة محدودة ومعدودة على رؤوس الأصابع، جاء الوحي بالتفريق فيها بين الرجل والمرأة؛ لحكم وأسرار لا صلة لها بما يتخيله البعض من تفضيل الذكر على الأنثى، وانتقاص من قدر المرأة، وإعلاء لقدر الرجل، بقدر ما هي مرتبطة بوظيفة كل منهما ودوره المؤهل له»(٢).

ويمكن إجمال هذه الثوابت في البعد الديني والأخلاقي والحقوقي والحوار والتحكيم، وهي ثوابت تعكس حرص الإسلام على إنشاء أسر دون عنف، حتى في أحلك الظروف وأصعبها.

البعد التديني

اعتبر الإسلام الدين أساس بناء الأسر، وشرطا من شروط استقرارها، فجعله أساس اختيار الزوجين قال ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد. قالوا يا رسول الله! وإن كان فيه؟ قال إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات» (رواه الترمذي).

وقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(رواه مسلم).

وعماد قيام الأسر واستمراريتها قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: ١٣٢).

فالتدين ضامن للاستقرار الأسري، وحافظ له من كل ما يشوبه من عقبات وإشكاليات، ذلك بأن المنهج التديني يجعل الأفراد يستسلمون للأحكام استسلامًا مؤسسًا على العلم، نابعًا من الرضا والحب، راجين الثواب والجزاء الأخروي.

وحضوره يجعل من الأدوار الملقاة على الأفراد أعمالًا قاصدة مرتبطة بعالم الملكوت، فتنتفي بذلك المصالح الفردية المحضة؛ لترتبط بالمصالح الأخروية كذلك.

من هنا كان تغييب البعد الأخروي

مظنة للعنف الذي يروم صاحبه إلحاق الأذى والضرر المادي والمعنوي بالآخرين: بغية تحقيق مصالح ذاتية ودنيوية محضة.

وإذا كان من مقاصد تأسيس الأسر على دعامة المتدين دفع العنف، فالإشكال الذي يثيره البعض، ويعتبرونه عنفًا هو إباحة الشرع هجر الزوجة، وضربها في حالة النشوز، والرد عليه: أن نشوز الزوجة هو عصيان زوجها والترفع عليه وإظهار كراهيته، أي إظهار كراهية لم تكن معتادة(٣)، وهو تعد منها لا محالة، لذلك كان الهجر والضرب ليسا على الإطلاق، بل لغرض الإصلاح، وابتغاء مصالح الأسرة، فإذا ثبت أن الأزواج تجاوزوا الحد لضعف الوازع الديني تدخل ولي الأمر للضرب على أيديهم.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «يجوز لولاة الأمور إذا علموا أن الأزواج لا يحسنون وضع العقوبات الشرعية مواضعها، ولا الوقوف عند حدودها أن يضربوا على أيديهم استعمال العقوبة ويعلنوا أن من ضرب امرأته عوقب كيلا يتفاقم أمر الإضرار بين الأزواج لاسيما عند ضعف الوازع»(٤).

بل إن الضرب غير المبرح هو آخر الدواء؛ بهدف استمرار العلاقة الزوجية، لذلك اشترط الفقهاء شروطا تجعله دواء لا داء.. بل أكدوا أن عدم اللجوء إليه هو الأفضل، تحصيلا للخيرية التي نص عليها الحديث، يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «ولن يضرب خياركم» (سنن البيهقي الكبرى).

إن البعد العقدي كفيل بتجنيب الأسر هاجس العنف الذي قد يخلف آثارًا مادية ومعنوية سيئة على جميع أفرادها، فمراقبة الله وتقواه دواء شاف من العنف الأسري.

فما على الأسر إلا أن توثق الصلة به سبحانه؛ كي تجنب أفرادها تلك الظاهرة.

البعد الأخلاقي

تستمد الأسرة أحكامها من الشرع، وهي أحكام لها جانبان: جانب أصولي، وجانب أخلاقي، وهذا الوجه الأخلاقي، كما أشار إلى ذلك الدكتور طه عبدالرحمن، ينحصر في أوصاف ثلاثة:

١- المراقبة المعنوية عن طريق الوازع النفسي للإنسان.

٢- ضبط السلوك في باطن أعماله، الشيء الذي يعود بالصلاح أو الفساد عليه وعلى غيره.

٣- توسل الوجه الأخلاقي بالتعليل الغائي في بيان أحكامه، وترتب بعضها على بعض.

إن اهتمام الشارع بالباعث النفسي، والمبادئ الخلقية والمثل العليا، هدفه تطهير الباعث كي لا يحرك الإرادة إلى تحقيق غايات غير مشروعة تناقض مقاصد الشارع، وتأسيسا على ذلك، فالعنف الأسري هدم لغايات الشرع من الأسرة بإلحاق الأذى والضرر المادي والمعنوي بها، وهو أمر يخالف القيم الإسلامية الواجب سيادتها في الأسرة.

إن البعد الأخلاقي يجعل الإنسان ينأى عن كل فعل يسيء إلى الآخرين، فلا إهانة للأزواج ولا تحقير، بل احترام وتوقير، ولا إساءة للأبناء ولا تعنيف.. بل إكرام وتهذيب، ولا عقوق للوالدين بل اعتراف بالفضل وبر وإحسان.

إنها الأخلاق الإسلامية، والتي إن سادت في الأسرة لما وجد للعنف مكان يذكر، وعليه، فحضورها والالتزام بها سبيل لسمو الأسر لا انحطاطها وفشو العنف فيها.

البعد الحقوقي

نظرًا للأهمية التي تكتسبها الأسرة في الإسلام، فقد منح لأفرادها مجموعة من الحقوق، وأسسها على أسس ثابته تقوم على اعتبار الشرع مصدرًا لها، كما تقوم على اعتبارها وسائل لتحقيق مصلحة الأسرة، وتجعل الفرد لا يستعملها إلا في إطار المصلحة الشرعية، وعدم الإضرار.. وإلا كان لزامًا أن تتدخل الدولة للإصلاح، ورد المسيء عن إساءته.

ولاشك أن بناءها على هذه الأسس يجعلها تتميز بخصائص تمنع العنف وتجعله أمرًا مبغضًا، فهي تقوم على العدل بإعطاء كل ذي حق حقه؛ ليعينه على تأدية وظيفته على الوجه الأكمل، حيث منحت الرجل حقوقا بصفته ابنا وزوجًا وأبًا.. ومنح المرأة حقوقا بصفتها بنتا وزوجة وأمًا، وطلبت استعمالها على الوجه المفضي لتحقيق مصلحة الأسرة.. وعلى المساواة المؤسسة على التكامل لا على التماثل، إذ ليس من العدل في شيء أن يتماثل الرجل والمرأة في الحقوق الأسرية مع اختلاف الأدوار التي يقوم بها كل واحد، فالمساواة المقصودة ليست مطلقة، بل هي مقيدة بأحوال يجري فيها التساوي.

يقول الشيخ رشيد رضا في شرح قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٦).

إن هذه الآية تعطي للرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال، وتقرر أن الحقوق بينهما متبادلة وأنهما أكفاء، وأن ما من عمل تعمله المرأة للرجل وإلا للرجل عمل يقابله، إن لم يكن مثله في شخصه فهو مثله في جنسه، فهما يتماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما يتماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل(٥).

وعلى أساس التقابل، فما من حق يمنح إلا وعليه واجب، وهو أمر يجعل من الالتزام بالحقوق أمرًا ميسرًا، وعلى أساس التقييد، إذ الحقوق الأسرية مقيدة بالمصلحة الشرعية وعدم الإضرار، وكل استعمال لها يخالف ذلك فهو التعسف المفضي إلى العنف حتما.

إن بلوغ الأسرة لمقاصدها يحتاج لتنظيم مؤسسي ومالي، جاءت الحقوق الأسرية لتنظمه في جو مليء بالعبادة والأخلاق والمصلحة الفضلى للأسرة، لذا فتنظيم الحياة الأسرية على أساس الحقوق يجعل الأفراد يعرفون ما لهم وما عليهم، فينتفي التطاول المفضي إلى العنف، والذي لا مرتع له إلا في ظل العشوائية وعدم التنظيم.

الحوار والتشاور

لا يخفى على أحد دور الحوار والشورى في نجاح القادة والمؤسسات والأفراد، لما فيهما من المشاركة والتشارك في اختيار القرارات المصيرية، ونظرًا لما قد يعترض الحياة الأسرية من إشكالات عدة في مسيرتها الحياتية، وهي إشكالات قد تهوي بها وباستقرارها، إن لم تجد لها حلولا عملية وأجوبة شافية تمكنها من تجاوزها واستعادة رونق الحياة السعيدة إليها، فإن الحوار والتشاور بشروطهما المعتبرة يعتبران ترياقا شافيا لها، فالحوار داخل الأسرة هو مبادلة الكلام في أجواء هادئة بعيدة عن التعصب.. يتخاطب فيه المتحاورون بالقول الحسن، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (الإسراء: ٥٣)، ويتمسكون بالحلم والصبر، يبتغون العدل والإنصاف. أما التشاور فهو استخراج الرأي من ركام الآراء التي قد ترد على الذهن، وطلب رأي الآخر، أو تبادل الآراء ووجهات النظر حول أمر معين؛ ابتغاء المصلحة الفضلى للأسرة، في جو من التقدير والإنصات والاحترام.

إن التزام الأسر بالحوار والتشاور في الحياة الأسرية كفيل بدرء كل ما من شأنه أن يؤدي إلى العنف، ليعم جو المحبة والمودة والتشارك في حل كل ما يعترض الأسرة من مشاكل.

التحكيم والوساطة

قد يعجز أفراد الأسرة عن حل المشاكل التي قد تعترضهم في مسيرتهم الحياتية، وهي مشاكل قد تكون في غالب الأحيان رافدا من روافد العنف، لذلك كان تدخل أفراد العائلة القريبة أو البعيدة للإصلاح من أهم الأمور التي قد تعصم من العنف، وتبعده عن دائرة الأسرة، فالصلح يختص بإزالة النفار بين الناس(٦)، وهو علاج شاف لكل الأمراض التي قد تعانيها الأسرة، وهي أمراض خفية لا يطلع عليها إلا من كان قريبا منها، عارفا بما يدور فيها، ولا شك أن وصول المحاولات لإنهاء الخلاف إلى طريق مسدود يملي على الأهل المسارعة لعلاج الأخطاء ورد المسيء عن إساءته، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾(النساء: ٣٥).

فواجب الحكمين أن ينظرا في أمر الزوجين نظرا منبعثا عن نية الإصلاح، فإن تيسر الإصلاح فهو ذا، وإلا صارا إلى التفريق.. وقد وعدهما الله بأن يوفق بينهما إذا نويا الإصلاح، ومعنى التوفيق بينهما إرشادهما إلى مصادقة الحق والواقع، فإن الاتفاق أطمن لهما في حكمهما بخلاف الاختلاف(٧).

إن تدخل أفراد الأسرة القريبة والبعيدة للإصلاح هو رد المياه إلى مجرياتها، وعودة الحياة السعيدة إلى سابق عهدها، وذلك بإيجاد نقاط التلاقي، ودفع أوجه الاختلاف، وحل كل ما يكدر الحياة الأسرية. وخلاصة الأمر: إن تأسيس الأسرة الإسلامية على أسس التدين والأخلاق والحقوق والحوار والتحكيم يؤكد أن الحياة الأسرية هي حياة المودة والرحمة، والتعاون والتكافل في أشد الظروف صعوبة وشدة، وليتبين كل ذي لب أن الأسرة الإسلامية حل عملي للعنف الأسري.

الهوامش

١- www.amanjordan.org/aman-studies

٢- لا ذكورية في الفقه، محمد التاويل، ص٢٠ مطبعة أنفو برانت الليدو، فاس.

٣- التحرير والتنوير ٤٤/٥، الشيخ الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

٤- نفسه ٤٤/٥.

٥- تفسير المنار، رشيد رضا، دار المنار مصر ٣٠٢/٢.

٦- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني أبو القاسم، ٥٨٧/١ دار النشر/ دار القلم- دمشق.

٧- التحرير والتنوير، ٤٧/٥.

الصورة النمطية للمرأة في الإعلام العربي... إلى أين؟

بشرى شاكر
إعلامية وباحثة مغربية

صورة المرأة في الإعلام العربي، سواء المرئي أو المقروء والالكتروني حاليًا ليست بمعزل عن صورتها في الإعلام العالمي، فالنهج الذي سبقت وسلكته دول غربية في البحث عن صورة نمطية للمرأة تبث عبر وسائل الإعلام هو نفس الطريق الذي حداه الإعلام العربي، وإن كان بشكلٍ تحول من النمطية إلى السخرية، وقزّم المرأة ودورها في المجتمع بشكل يتنافى وتعاليم ديننا الإسلامي الذي كرم المرأة ورفع شأنها حتى وصفت بمعلمة الرجال.

ولا أحد ينكر أن إحدى أهم الرسائل الإعلامية هي كيفية تسويق قضايا معينة، ومن التسويق، الإعلان والإشهار عن منتج موجه للعموم أو لفئة مستهدفة للحث على اقتنائه بشكل أكبر، أو لإيصال رسالة اجتماعية أو ثقافية أو سياسية ما، فكل إعلان له هدف ربحي كيفما كان ما يقدمه، ولذلك لا تتوانى بعض الشركات في استعمال حملات إعلانية ترويجية تستغل فيها الأشخاص والأفكار للوصول للهدف المنشود، حتى لو كان ذلك بالمتاجرة بأرواح الناس أحيانًا حينما يتعلق الأمر بإعلام يروج لطرف من بين أحزاب متعادية أو فئات مختلفة أو التجارة بالأطفال لتسويق أكثر لمنتج معين، فالطفل يؤثر أكثر على من هم في سنه، ورجل مسن يتناول الحلوى مثلًا لن يكون له نفس الوقع على طفل هو المستهدف من الحملة الإعلانية كما لو ظهر أمامه في كل وقت طفل في عمره يتناول نوعًا معينًا منها، ولعل المرأة هي أكثر من استغلت في الترويج الإعلامي وإعلانات التسويق، فمن إعلانات لمساحيق الغسيل، إلى إعلانات لمواد التجميل والشامبو وإعلانات الملابس والنسيج، وهذه الصورة تزداد وضوحًا واستغلالًا كلما أصبحت المجتمعات استهلاكية أكثر...

استغلال صورة المرأة في الدعايات الإشهارية و«الفيديو كليبات» الغنائية ليس أمرًا وليد اليوم، فمنذ القرن التاسع عشر بدأت صورة المرأة تظهر بشكل أوسع في الإعلام الغربي في إعلانات مصورة لأول مرة، وكان حينها الأمر يبدو مستهجنًا، خاصة حينما قامت إحدى الشركات بإظهار إعلان لامرأة تروج للخمر وتحديدًا البيرة، حينها كان يبدو إعلاناً غريبًا على تقاليد الحضارة الأوربية التي كانت قد تقبلت ظهور المرأة في إعلانات ترويجية شريطة ارتدائها ملابس محتشمة، وأيضًا عرضها لمنتجات الكترونية منزلية، وبدأ أيضًا ظهور المرأة على أغلفة المجلات، ولكن بلباس لائق وغير مثير.

بدأت المرأة تصبح أكثر ظهورًا في الإعلانات في فترة الحرب العالمية الأولى والثانية، وكانت الصورة التي اعتبرت نمطية آنذاك وإلى وقت بعيد في أوروبا هي صورة المرأة ربة البيت بامتياز، فجل الإعلانات التي تستغل صورة المرأة كانت لمساحيق الغسيل والطبخ واستعمال أولى الأجهزة الكهربائية، مثل إعلان الطحانة الكهربائية، والذي أظهر آنذاك الرجل يهدي زوجته طحانة كهربائية، هذه الإعلانات لازمت المرأة العربية إلى يومنا هذا، فمسحوق الغسيل والبحث الدائم عن «جل» أو سائل مزيل لبقع الملابس والبلاط والصحون كان ومازال دائمًا من نصيب المرأة...!

تطورت بعدها صورة المرأة بين سنوات السبعينيات والتسعينيات، فأصبحت تظهر بصورة المرأة العملية التي تنزل للعمل بشخصيتها القوية وملابسها الأنيقة، فاستغلت صورتها للترويج لأكبر الماركات، سواء للملابس أو العطور، وأيضًا السيارات الفاخرة، وغيرها.

صورة المرأة التي تهتم ببيتها وعائلتها، وفي الوقت نفسه تلك

الأنيقة التي تعمل خارج البيت وتبحث عن توفير وقتها، انتشرت في نهاية التسعينيات إلى يومنا هذا سواء في أوروبا مهد الإشهار النسائي، أو في أميركا أو حتى في بلداننا العربية، غير أنه في بلداننا هناك مشاهد فريدة تروج عبر قنواتنا لنساء يتشاجرن من أجل مسحوق الصابون الأكثر فعالية!

في السنوات العشر الأخيرة أيضًا اقتحمت بيوتنا من خلال القنوات، صورة نمطية للمرأة سواء في الإشهار أو في (الفيديو كليبات)، وهي تلك الصورة للمرأة الشابة الجميلة الأنيقة بملابس أقل وببشرة برونزية وجسم رشيق بحيث يتم التركيز غالبًا على شكلها وعلى لون عينيها وشعرها دون الاهتمام -إلا أحيانًا- بجوهرها، وبذلك أصبحت صورة نمطية ترسم في مخيلة المتلقي -أي المستهلك- صورة مزيفة تعتمد الترويج لمنتج ما عن طريق الإغراء والإثارة، حتى وإن لم تكن ثمة علاقة بين ما يعرض للاستهلاك الفعلي وما يعرض للاستهلاك المرئي.

هذه الصورة التي تشكل (موديلًا) مستنسخًا للمرأة الجذابة وغير الحقيقية، تمثل حيفًا لنساء الواقع واستخفافًا بعقل المرأة، ولذلك فإن العديد من المنظمات العالمية كانت تحارب هذا الاستغلال المجحف لصورة المرأة في الإعلان، ومن روادها الأوائل المنظمة الإنجليزية Women for Political Action التي تأسست سنة ١٩٧٣، وأشهرها حاليًا في العالم مجموعة Médi Action المتواجدة في العديد من الدول الأوروبية، وأيضًا في مونتريال في كندا، والتي اعتمدت في بدايتها جولات في المدارس لتنبيه الطالبات بخطورة استعمال الصورة النمطية والجنسية المثيرة للمرأة في الإعلانات.

وفي رابع ندوة دولية حول النساء في العاصمة الصينية بكين ١٩٩٥تم عرض خريطة عمل تتعلق بتغيير الصورة النمطية للنساء في الإعلام وأعلن عن ضرورة اتخاذ تدابير عاجلة لتغيير الصورة النمطية المبنية على جنس المرأة واستغلالها إعلاميًا، بل وكان من بين التوصيات أيضًا سحب الصور التي تسيء للمرأة حتى في المناهج الدراسية، والانتباه أثناء استغلال صورة المرأة في السياسات الصحية ودراسة تأثيرها على الإشهار، وخرجت الندوة بأن الصور النمطية للنساء، والتي يروجها الإعلام هي مسيئة ومهينة للمرأة كإنسان كامل يشكل نصف المجتمع.

فإذا كانت هذه السياسات العالمية التي بدأت ترى في استغلال صورة المرأة إعلاميًا حيفًا وجورًا وتمييزًا ضدها وتقليلًا من شأنها كإنسان يشكل نصف المجتمع، وكما يقال دائمًا هو مسؤول عن تربية نصفه الآخر فما هو الحال في مجتمعاتنا العربية؟

إن آخر إعلان ترويجي أثار بلبلة كبيرة في المغرب مثلًا كان إعلان روج تلفزيونيًا ومرئيًا على (الأفيشات) في الشارع لوكالة بنكية للقروض الصغرى، والتي أظهرت سيدة تضع قرني كبش فوق رأسها، وتحث الناس على اختيار الوكالة البنكية من أجل قرض عيد الأضحى، وقد صدر على إثره بيان منذد من مركز الإعلام والرصد للنساء المغربيات بفيدرالية الرابطة الديموقراطية لحقوق المرأة، وكان ذلك في شهر أكتوبر الماضي.

هذا ليس الإعلان الوحيد الذي يشتهر في بلداننا العربية ويروج لصورة نمطية سيئة للمرأة، فعكس ما ذهبت إليه بلدان غربية في منع المتاجرة بأجساد النساء إعلانيًا واستغلالهن لأغراض إعلانية، فنحن في بلداننا العربية انفتحنا أكثر نحو ظاهرة استغلال المرأة بمفهومه الترويجي، فأن تصبح المرأة مجرد جسد دون النظر لإمكانياتها الفكرية الهائلة التي قد تفوق إمكانيات الرجل في العديد من المجالات، وأن تحصر اهتماماتها في مساحيق تنظيف أو مستحضرات تجميل أو ملابس لماركات عالمية أو تروج لأغاني عبر مئات القنوات التلفزيونية العربية كـ(موديل) بمعايير خاصة، أصبحت ميزة إعلامنا العربي الحالي..

فعاليات متخصصة أكدت لـ «الوعي الإسلامي»:

ارتفاع معدلات الطلاق يفتت النسيج الاجتماعي في الكويت

تحقيق : نشوه صالح

تخلف الإحصاءات التي تعلنها وزارة العدل الكويتية حول معدلات الطلاق في المجتمع الكويتي مخاوف عديدة، ليس فقط على مستوى الأسرة التي تشتت أوصالها بانفصال الزوج عن الزوجة، بل يتعدى الخطر ليدمر نسيج المجتمع من خلال الأبناء الذين يضيعون في مفترق طرق الانفصال.

ولهذا أقدمت «الوعي الإسلامي» على إجراء هذا التحقيق، بعدما أظهرت معدلات الطلاق في المجتمع الكويتي ارتفاعًا ملحوظًا، حيث بلغ عدد حالات الطلاق في الأشهر الأربعة الأولى من عام ٢٠١٢ نحو ٢٣٢٨، فيما وصل عدد حالات الزواج ٥٥٣٩ خلال الفترة نفسها التي وقعت فيها الحالات التي أشرنا إليها، مما يشير إلى أن معدل الطلاق قاربت نسبته ٥٠٪ بمقارنته بحالات الزواج.

في البداية يشير أستاذ علم الاجتماع د.محمد المهيني إلى أن ارتفاع معدلات الطلاق في المجتمع الكويتي له العديد من الأسباب، أبرزها زيادة العنف بشكل عام على سلوكات البشر، نتيجة طغيان الحياة المادية على القيم الروحية، الأمر الذي أدى إلى انفلات الأعصاب لأتفه الأسباب، مما ينعكس على محيط الأسر بشكل

عام، سواء الكويتية أو الخليجية أو العربية، منتقدًا بعض الآباء والأمهات الذين يزيدون من حدة الخلافات بين الزوجين حتى في المسائل البسيطة العادية التي يمكن معالجتها بصورة عادية، موضحًا أن الأب بدلًا من أن يهدئ ابنته وينصحها بعدم افتعال المشاكل نجده يدخل شريكًا في هذا النزاع، وكأن زوج ابنته أهانه قبل أن يتشاجر مع ابنته، ويحدث هذا الأمر كذلك من الأم، لافتًا إلى أن هذا الأسلوب يحدث كذلك مع أهل الزوج، مما جعل الكثير من الآباء والأمهات ينفخون في النار حتى يقع الطلاق.

وتتدخل في الحديث أستاذ علم الاجتماع في جامعة الكويت د.دلال الزبن قائلة: الطلاق زاد في المجتمع الكويتي، خاصة بعد دخول البلاد في عصر الرفاهية، حيث أصبحت المرأة في هذا العصر يمكن أن تستغني براتبها عن الحياة الزوجية، خلافًا للسابق، حيث كانت الزوجة لا تقبل بحل الطلاق إلا في أضيق الحدود، عندما كان معيلها فقط هو الزوج، لافتة إلى أن ارتفاع معدلات الطلاق في المجتمع الكويتي ينعكس بالدرجة الأولى على الأبناء الذين يدفعون فاتورة انفصال الأب عن الأم، مما أسهم في زيادة حالات التفكك الأسري في البلاد، مطالبة بضرورة تفكير الزوج والزوجة جيدًا قبل الإقدام على فكرة الطلاق حتى لا يضيع مستقبل الأبناء.

وشددت د.الزبن على ضرورة الانسجام والتعاون بين الزوجين تفاديًا لوقوع الطلاق بينهما، مشيرة إلى أن التفاهم يجب أن يكون هو ديدن العلاقة بين الزوجين، لأنهما شركاء في حياة واحدة.

ويطالب أستاذ علم النفس في جامعة الكويت د.خضر البارون بضرورة إزالة جميع الأمور التي تزيد من حدة التوتر بين الزوج والزوجة، مطالبًا الزوجة بأن تهدأ في حالة غضب زوجها، خاصة عندما يكون عائدًا من عمله، لأن حرارة الجو والازدحام المروي الشديد يلعبان دورًا كبيرًا في تغيير نفسية الرجل عندما يكون عصبي المزاج، مشيرًا إلى أن الزوج كذلك عليه أن يتحمل زوجته، فهي المسؤولة الأولى عن كيان بيتها، خاصة إذا كانت عاملة في الوقت نفسه، ولذلك يجب على الزوج ألا يثير غضبها في الأمور البسيطة التي لا تستدعي أي غضب.

أما أستاذ علم النفس في جامعة الكويت د.عويد المشعان فقال: الطلاق كلمة قد تكون بسيطة، ولكن فحواها غليظ للغاية، خاصة أن الدين الإسلامي حذر من الاستهتار بهذه الكلمة، مطالبًا الأزواج في هذا العصر بأن يبتعدوا عن كل الأسباب التي تدفع إلى الطلاق، نظرًا لعواقبه الوخيمة، مشيرًا إلى أن العوامل المادية تدفع في أحيان كثيرة للطلاق، حيث يطمع بعض الأزواج في رواتب زوجاتهم وممتلكاتهم، كما أن هناك بعض الزوجات تطالب بما ليس بمقدور أزواجهن، مما يؤدي لوجود الخلافات بينهما حتى يقع الطلاق.

ويوضح المحامي مبارك المطوع أن هناك العديد من المستحدثات في هذا العصر، تسهم في زيادة معدلات الطلاق في المجتمع الكويتي، أهمها اعتماد قانون الأحوال الشخصية في الكويت على آراء فقهية على خلاف الإجماع، مشيرًا إلى ضرورة تعديل هذا القانون ليتماشى مع الآراء الفقهية الأساسية، لافتًا إلى أن هناك بنودًا في قانون الأحوال الشخصية تجعل الرجل يعاني كثيرًا عند وقوع الطلاق، مما يجعل الزوجة تزداد عنادًا في طلبها للطلاق، مشيرًا إلى أن هناك بعض الأزواج لا يتقون الله عز وجل في زوجاتهم، ولذلك يتفوهون بلفظ الطلاق لأسباب بسيطة جدا، موضحًا أن انتشار الفضائيات التي تظهر المرأة بقدر من عدم الاحتشام يلعب دورًا كبيرًا في انتشار الطلاق، حيث إن بعض الأزواج أدمنوا مشاهدة هذه الفضائيات، وعقدوا المقارنات بين زوجاتهم وفتيات الفضائيات، مما أسهم في زيادة معدلات الطلاق.

وطالب الداعية الإسلامي الشيخ صالح الغانم بضرورة اتباع النهج الإسلامي في اختيار الزوج، بحيث إذا جاء للفتاة الشاب المسلم الملتزم دينيا وخلقيا، ولديه القدرة على فتح بيت الزوجية من الناحية المادية فما المانع من قبول هذا الشاب، مشيرًا إلى أن إصرار بعض الأسر أن يكون المتقدم لابنتهم ثريا من أصحاب الملايين، يمكن أن يؤدي لزعزعة الحياة الزوجية، لأن المال ليس كل شيء، مطالبًا الشاب أن يقبل على الفتاة الملتزمة دينيا وخلقيا، كما جاء في الحديث الشريف: «تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»، مشيرًا إلى أن الطلاق هو أبغض الحلال عند الله عز وجل، ولذلك يجب على الزوجين أن يتعاملا بروح هادئة مع بعضهما البعض، حماية للأسرة من التشتت والضياع، خاصة أن الأولاد ربما يقعون في براثن الإدمان وأصدقاء السوء وقد ينتهي الأمر بالسجن.

وجهة نظر بيولوجية

الرجال مسؤولون عن رقي الجنس البشري

تزاحمت أسئلة كثيرة في ذهني منذ أن عرفت أن الرجل يقذف بملايين- تصل إلى ٥ ملايين-من الحيوانات المنوية في عملية الجماع الواحدة، وفي المقابل تنتج المرأة بويضة ناضجة واحدة فقط خلال الدورة الشهرية الواحدة، ومن هذه الأسئلة التي أبت أن تفارقني وصارت محفورة في ذاكرتي «لماذا ينتج الرجل هذا الكم الهائل من الحيوانات المنوية والمرأة تنتج بويضة واحدة فقط وفي مدة زمنية أطول؟» وازداد الأمر غموضًا وتعقيدًا عندما عرفت أن حيوانًا منويًا واحدًا فقط من بين هذه الملايين يقوم بمهمة تخصيب البويضة.

د. البشير أحمد الجطلاوي
جامعة مصراتة – ليبيا

للحصول على إجابة مقنعة على الأسئلة سالفة الذكر بحثت في كل ما وقع تحت يدي من مراجع تتعلق بالموضوع، وطرحت هذه الأسئلة عدة مرات في بعض اللقاءات العلمية التي كنت أتوقع منها الحصول على إجابة، إضافة إلى ذلك اتصلت بكثير من المتخصصين للغرض نفسه وكانت الإجابات – للأسف – غير مقنعة، والإجابات الأكثر منطقية والتي يمكن مناقشتها تشير إلى أن هذا العدد الكبير من الحيوانات المنوية وظيفته تسهيل حركة هذه الحيوانات في رحم المرأة. إن هذه الإجابة تتعارض مع أبسط القوانين والقواعد البيولوجية ونظرية الأفضلية (Optimum theory)، ويستحيل وجودها في جسم راق كجسم الإنسان تقوم خلاياه وأنسجته وأعضائه بوظائفها بدقة متناهية، وبه من الضوابط والآليات ما جعلته أكثر الأجسام كفاءة في أداء وظائفه، فهناك تنسيق وتناسق بين الوظيفة وحجم وشكل العضو أو الجهاز الذي يقوم بهذه الوظيفة، وكذلك موضعه في الجسم بالنسبة للأعضاء أو الأجهزة الأخرى، فجعل الله –جلت قدرته– على سبيل المثال لا الحصر الفتحات التي تخرج المخلفات والفضلات الضارة في أسفل الجسم، بعيدة عن الأعضاء والأجهزة الحساسة، حتى لا تلوث المخلفات المطروحة خارج الجسم أعضاء وأجهزة الجسم، ولك أن تتصور ما سيحدث من فساد للأجهزة المهمة والحساسة نتيجة انسكاب المخلفات والفضلات فوقها إذا كانت هذه الفتحات موجودة في أعلى جسم الإنسان، وقد جعل الله كذلك موضع الشرايين القريبة من سطح الجسم أعمق من موضع مثيلتها– الأوردة تحت الجلد– وذلك لتقليل كمية الدم المفقود إذا تعرض الجلد لجرح، وللعلم إن الدم يسير في الشرايين بضغط ناتج عن انقباض القلب بينما في الأوردة ينساب انسيابًا. إن هذا التنسيق والتناسق جعل جسم الإنسان في أحسن تقويم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(التين: ٤)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (الانفطار: ٧)، وعليه إن هذه الوظيفة (الحركة) لا يمكن أن تكون وظيفة أساسية خُلق من أجل انجازها هذا الكم الهائل من الحيوانات المنوية، يمكن أن تكون عملية تسهيل الحركة هذه وظيفة ثانوية جاءت نتيجة لأداء هذه الحيوانات لوظيفة أخرى،

أساسية، أكثر أهمية من الحركة.

إن ظاهرة قيام الأعضاء والأجهزة بمهام ثانوية إلى جانب قيامها بوظائفها الأساسية موجودة في أجسام الكائنات الحية المتطورة والإنسان من بينها، وهذا يدل على مرونة (elasticity) الكائن الحي، وبالتالي على كفاءته وتكيفه للمعيشة في بيئته، فهي تختصر عدد الأعضاء والأجهزة في الجسم، فالرجل مثلاً وظيفتها الأساسية الحركة (المشي)، ومع هذا نجد الإنسان يستخدمها استخدامات أخرى مثل ركل الكرة، وإزاحة الأشياء التي قد تعترض طريقه أحيانًا، ومع هذا لا نستطيع أن نقول إن وظيفة الرجل ركل كرة القدم، وكثيرًا ما يحدث الخلط بين الوظائف الأساسية والوظائف الثانوية، وخصوصًا في الأعضاء والأجهزة التي تقوم بعدة وظائف.

إذا صحّ أن الغرض الأساسي من تكوين هذا العدد الهائل من الحيوانات المنوية هو تسهيل الحركة، فإن عملية الحركة مكلفة أكثر من عملية تخصيب البويضة نفسها، حيث إن إتمام عملية التخصيب تكلف الرجل إنتاج حيوان منوي واحد، بينما عملية حركة هذا الحيوان الذي سيقوم بعملية التخصيب تكلف الرجل ٥ مليون حيوان منوي أي ٥ مليون ضعف، وهذا يشابه إلى حد كبير تصور أن حركة الإنسان تعادل ٥ مليون ضعف من قيمة الإنسان في حد ذاته، ناهيك عن العمليات الأخرى التي تحفظ حياة الحيوان المنوي إلى أن يقوم بمهمته. إذا كان الهدف من إنتاج هذا العدد الهائل هو الحركة، فهناك عدة طرق لتقليل التكلفة كإنتاج حيوان منوي عملاق بربع أو ثلث التكلفة التي ينفقها الرجل في إنتاج هذا الكم الهائل من الحيوانات المنوية، على غرار ما يحدث في مبيض المرأة وما يقوم به أطباء النساء والتوليد في عملية أطفال الأنابيب، وبهذا يوفر الرجل الكثير من الطاقة والوقت والجهد، في الوقت نفسه تتم عملية الإخصاب.

إن إنتاج هذا العدد الهائل من الحيوانات المنوية لغرض حركة حيوان منوي واحد عملية مكلفة وغير اقتصادية، يتناقض وجودها مع وجود العديد من العمليات الاقتصادية في جسم الإنسان، والتي يمكن أن تكون عملية حركة الحيوان المنوي اقتصادية على غرارها، ومنها على سبيل المثال: إعادة استخدام عنصر الحديد في تكوين كريات دم حمراء جديدة بعد تكسر كريات الدم الحمراء الهرمة، و لازلت أتذكر قول مدرس الأحياء في المدرسة عندما قال: إذا كان جسمك سيحتاج إلى كمية جديدة من الحديد في كل مرة يتم فيها تكوين كرات دم حمراء جديدة، فإنك ستحتاج يوميًا إلى تناول حمولة شاحنة كبيرة من الخضروات الخضراء لتستخلص كمية الحديد المطلوبة لتكوين هذه الكريات الجديدة، وليست هذه العلمية الوحيدة في الجسم، فهناك الكثير من الأملاح التي يتم إعادة امتصاصها في الجهاز البولي قبل خروجها مع البول، وكذلك أملاح الحويصلة الصفراوية يعاد استخدامها. وهكذا يتضح وجود العمليات الاقتصادية في جسم الإنسان، والسؤال هنا «لماذا لا تكون عملية إنتاج الحيوانات المنوية في الرجل اقتصادية كما هو الحال في العمليات سالفة الذكر؟» وهكذا يتضح أن عملية تسهيل الحركة ليست هي الغرض الأساسي من إنتاج هذا العدد الهائل في الخصية، ولابد أن يكون وراء إنتاج هذا العدد الهائل غرض على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لحياة الجنس البشري.

في أثناء دراستي لعلم بيئة العشائر (Population ecology) والذي يعتبر- بحق- علم الصراع من أجل البقاء (Struggle for existence) عرفت أن التنافس على الموارد الشحيحة في البيئة هو أحد القوى الدافعة لعجلة تطور الكائنات الحية، فعلى الكائن أن يطور نفسه ويرفع من كفاءته ليتحصل على كمية كافية من هذه الموارد الشحيحة ليضمن مكانًا في المستقبل، والفرد الفائز في هذا التنافس هو من يملك الصفات والمقومات التي تؤهله لهذا الفوز،

وهي أفضل الصفات المتاحة، وهي تضمن للفرد تمرير هذه الصفات، عن طريق التكاثر، إلى الأجيال القادمة. وأما الفرد الذي لم يوفق في امتلاك صفات تؤهله إلى الفوز، أي يمتلك صفات أقل أفضلية من الصفات التي يمتلكها الفرد الفائز، جعلته أقل كفاءة، فسوف تكون حظوظه قليلة في نقل صفاته إلى الأجيال القادمة، وبهذا يتم استبعاد هذه الصفات في الأجيال القادمة، وبهذه الآلية، مع مرور الزمن يتم غربلة الصفات، ويتم استبعاد الصفات الأقل كفاءة و لا يبقى إلا الصفات التي تمنح الفرد أعلى الكفاءة، وهكذا يتطور ويرقى المجتمع من أفضل إلى أفضل.

تتنافس الحيوانات المنوية (Sperm competition) كسائر الكائنات الحية الأخرى، وبما أن هناك تنافسًا فهناك تطور –ربما لهذا السبب لجأ الإنسان إلى تنظيم مباريات التنافس الرياضي والفكري– وكلما زاد عدد الأفراد المتنافسين زادت الكفاءة التنافسية للأفراد المتنافسة، فمثلًا مستوى الطالب المتحصل على الترتيب الأول في فصل دراسي به ١٠ طلبة سيكون في الغالب أقل من مستوى الطالب المتحصل على الترتيب الأول في فصل به ١٠٠ طالب، ومستوى هذا الطالب أي المتحصل على الترتيب الأول بين ١٠٠ طالب سيكون أقل من مستوى الطالب الذي تحصل على الترتيب الأول في فصل به مليون طالب وهكذا. وأيضًا كلما قل عدد أو كمية الموارد المتنافس عليها زادت شدة التنافس، وهنا المورد المتنافس عليه هو البويضة الناضجة في رحم المرأة، وهي واحدة فقط وهذا أقل عدد يمكن التنافس عليه، وهذا يجعل التنافس بين الحيوانات المنوية

«أطفال الأنابيب» عملية لا تخضع لانتخاب أقوى الحيوانات المنوية

أكثر شدة، فمصير الحيوان المنوي الخاسر الموت والفناء. وللعلم هناك كثير من الكائنات الحية تنتج إناثها عددًا كبيرًا من البويضات الناضجة، وتنتج ذكورها عددًا أقل من الحيوانات المنوية مما جعلها أقل تطورًا، وربما تكون عملية قسمة عدد الحيوانات المنوية على عدد البيوضات مؤشرًا جيدًا على معدل تطور هذا الكائن.

يتضح جليًا مما سبق ذكره أن الحيوان المنوي الأفضل بين هذا الكم الهائل من الحيوانات المنوية هو من يقوم بتخصيب البويضة، فالحيوانات المنوية تتنافس بشدة فيما بينها لغرض الوصول إلى البويضة و تخصيبها، ولهذا، الحيوانات المنوية تتطور باستمرار للرفع من كفاءتها، وهذا التطور يتنقل عبر مادتها الوراثية إلى الأبناء في الأجيال القادمة، وفي المقابل لا توجد مثل هذه العملية عند النساء أثناء تكوين البويضات، وإلى الآن غير معروف ما إذا كان يوجد تنافس بين البويضات، حتى وإن كان هناك تنافس فإنه سيكون محدودًا جدًا، وهذا ربما راجع إلى ارتفاع تكلفة تكوين البويضة، فالبويضة أكبر حجمًا وتحتوي على مواد أكثر مقارنة بالحيوان المنوي، إضافة إلى أن البويضة عديمة الحركة، فالحيوان المنوي هو الذي يسعى إلى البويضة، وهذه المعلومة استخدمها كثير من الناس في تفسير سعي الرجال إلى البحث عن النساء وليس العكس، فالرجل هو الذي يخطب المرأة، وقيل إن سيدنا آدم في بداية الخلق هو الذي بحث عن أم البشر حواء. وعليه فإن الرجل هو المسؤول عن تطور الجنس البشري عن طريق التنافس، وبالتالي تطور حيواناته المنوية كما هو– معروف– مسؤول عن تحديد جنس الجنين.

جدير بالذكر أن الحيوانات المنوية التي تستخدم في تخصيب البويضة خارج الرحم فيما يعرف بأطفال الأنابيب لا تخضع إلى عملية الانتخاب الطبيعي (Natural selection) هذه، وليس بوسع الطبيب المختص أن يختار أفضل الحيوانات المنوية، وحتى إن تمّ الاختيار– أو الانتخاب– فسيكون انتخاب اصطناعي (Artificial selection)، والانتخاب الاصطناعي مهما علت مراتبه لن يرقى إلى مستوى الانتخاب الطبيعي، وعليه فالانتخاب الاصطناعي يتيح الفرصة لحيوانات منوية أقل كفاءة لتخصيب البويضات، وبالتالي، نقل صفاتها الضعيفة إلى الأجيال القادمة، ولهذا فإن ظاهرة أطفال الأنابيب، إن انتشرت في المجتمعات البشرية، سوف يكون لها تأثير سلبي على رقي وتقدم الجنس البشري في المستقبل.

في الختام: هل لهذا السبب وللدور المهم الذي يلعبه الرجل في تطور ورقي الجنس البشري جعل الله الرجال قوّامون على النساء وجعل نصيب الرجل في الميراث ضعف نصيب المرأة، وجعل شهادته تعادل شهادتين من شهادات النساء؟، ربما يكون هذا سببًا مع عدة أسباب أخرى، وربما يكون ذو علاقة بالموضوع بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وربما يكون لا علاقة له بالموضوع إطلاقًا! إن هذا السؤال ما زال بحاجة إلى إجابة ومازال الموضوع بصفة عامة بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة.

إدارة الكلفة

د. سلطان السهو
دكتوراه في المحاسبة

إن إدارة الكلفة ذات أهمية كبيرة للمنظمة، لأنها ليست عملية قياس، أو تقرير عن تكاليف المنتج أو الخدمة فحسب؛ بل هي فلسفة واتجاه فكري.

وهو أنه تمثل إدارة الكلفة وجهة النظر المسبقة، إذ تكون تكلفة المنتجات والخدمات جميعًا ناتجة عن القرارات الإدارية، لذلك فدور محللي إدارة التكلفة ليس توثيق القرارات وتسجيل التكاليف فحسب، وإنما أن يكونوا شركاء مؤثرين في صنع قرارات الإدارة لتطوير وتحسين الخدمات وتخفيض الكلف.

لذا فإن المؤسسات الناجحة وراءها مديرون أو على وجه الدقة قادة متميزون، وهؤلاء القادة يخلقون ثقافة عمل تسمح لمرؤوسيهم بأن يبينوا لهم المشاكل، هذا بعكس ثقافة العمل التي يخشى فيها الموظفون أن يواجهوا رئيسهم بالمشاكل أو يبدون رأيًا يخالف رأيه، أو يبين له أن قراره قد أثر سلبًا على العمل.

القادة المتميزون يواجهون المشاكل ويريدون سماع الحقيقة لو كانت مُرة، فهؤلاء المديرون يريدون النقاش المثمر ويحبون أن يتعرفوا على وجهات نظر مرؤوسيهم، فهم لا يريدون مناقشات ظاهرية، بل يريدون مشاركة في تفكير من حولهم مما يشجع على خلق هذا الجو الصحي.

إنهم عندما يناقشون مشكلة فإنهم يحاولون الوصول إلى كيفية التغلب عليها ومنعها مستقبلًا، والتعلم منها، ولا يركزون على توجيه الاتهامات وظلم الآخرين.

نحو وعي إسلامي بدراسة التاريخ وتفسيره

التاريخ عند المسلمين (٦)

د. أحمد خليل الشال
عضو لجنة السيرة والتاريخ الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر

تناولنا في الحلقة السابقة العوامل الغيبية كأول أصل من أصليْ تفسير التاريخ عند المسلمين، في إطار أركان عملية تفسير التاريخ في الإسلام، واليوم نتناول الأصل الثاني من هذه المنظومة أي العوامل المشهودة.

وهي الأمور المحسوسة بشيء من الحواس المعروفة لدى الإنسان، ويستطيع العقل إدراكها، وتلك التي تقتصر عليها مناهج جل المذاهب الوضعية، ويطلق عليها «المادية»، وهي- في رأي بعض المعاصرين- تدور عند أصحابها في فلك عاملين اثنين لا ثالث لهما: الإنسان، والظروف المحيطة به.. أما الإنسان فباعتبار حريته عند قوم، وباعتبار خصائصه عند آخرين، وباعتبار موروثاته المكتسبة عند غيرهم. وأما الظروف، فهي تعني عندهم البيئة بمعناها الواسع الذي يشمل الجغرافيا، والعصر، والمجتمع بأشكال علاقاته المختلفة، التي تشمل العلاقات السياسية، والاقتصادية، والتقاليد، والنظم، والثقافات.

وتلك كلها عوامل لا ينكرها المنهج الإسلامي، بل يقر بها، ويشهد بدورها في التأثير في تفسير حركة التاريخ الإنساني على الأرض، وهذا ما يميز المنهج الإسلامي في تفسير التاريخ عن المذاهب الوضعية.. فالإسلام يقر بتعدد العوامل المشهودة وتأثيرها في مسيرة تاريخ الإنسان، بينما كان أهم عيوب المذاهب الوضعية قولها بالعامل الواحد، ومن ثم تعددت مدارسه، فرأينا مدرسة التفسير المادي، والتفسير الجغرافي، والحضاري، والجنسي أو الغريزي.. وهذا- لا ريب- قصور في فهم التاريخ وتفسيره، أن تحصر العوامل المؤثرة في مسيرته في عامل واحد.

أما حرية الإنسان، فقد سبق وذكرت أن الله تعالى وهب للإنسان نصيبًا

من الحرية، ويسر لها أسبابًا تجري بالمقادير، وإلا فسدت الأرض، وبهذا القدر من الحرية يكون التكليف والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٨-١٩). وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠).

وقد بدأ التكليف للإنسان بمبدأ وجوده في الكون، وكان أول تكليف في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥).

وكان هذا أول اختبار وابتلاء لهذا القدر من الحرية التي وهبها الله تعالى للإنسان، وكان ذلك بدوره مبدأ عرض الأمانة على الإنسان، الذي قدم نصيبه من الحرية في الاختيار حين عصى فغوى ﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١).

وكان في ذلك أيضًا إعمال أول سنة في بني آدم، ألا وهي سنة الابتلاء التي هي نصيبه من الجبر ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ﴾ (النحل: ٩٢)، ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ﴾ (الفجر: ١٥)، والتي ستلازم نصيبه من الحرية إلى قيام الساعة ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢).

ومن ثم، فتاريخ الإنسانية كله يقوم على هذه السنة، سنة الابتلاء، وهي تمثل ذروة العلاقة بين الأركان الثلاثة: الله، ثم الكون، والإنسان.. ذلك أن الابتلاء ما هو إلا تفاعل الإنسان مع هذه الأركان: مع ربه بما يبتليه به من عناصر الكون الغيبية والمشهودة، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: ١٥٥)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧)، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (فاطر: ٦)، ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف: ٢٧)، ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ﴾ (يونس: ٢٢). ثم بما يبتليه به من غيره من بني جلدته أيضًا، فابتلى الرسل بأممهم، والحكام برعيتهم، والرعية بحكامهم، والضعيف بالقوي، والقوي بالضعيف ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ (الفرقان: ٢٠)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (الأنعام: ١١٢)، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ (محمد: ٤)، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (الأنعام: ١٦٥)، وهذه حقائق قرآنية ثابتة بالكتاب والسنة.

وتلك السنة، وهي الابتلاء، الذي هو صراع بين نصيب الإنسان من حريته ونصيبه من الجبر، لا ريب أن كان له ثمنه الذي تميز به الإنسان عن غيره من خلق الله، ممن نزع منه هذا النصيب من الحرية، وهو الثواب والعقاب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١)، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٢).

وتعتبر النفس الإنسانية هي مناط الابتلاء، بما أودع الله فيها من صفات الخير والشر: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧-٨)، ذلك أن النفس الإنسانية نسيج عجيب من أخلاق الكمال والقصور على السواء، وكأن في ذلك أثر امتزاج الروح بالمادة- الطين- فتمرى فيها الخبيث والطيب، والحسن والقبيح، والخير والشر..

وغلبة شيء من هذه الأخلاق على غيرها أمر نسبي، يتغير بتغير عناصر الابتلاء على مر الأيام والليالي، في الأمم والأفراد، فإن «قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»

(صحيح مسلم).

ويوضح النبي ﷺ هذه الحقيقة بقوله «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه» (صحيح مسلم).

ولذلك كان تحذيره ﷺ من فتن «كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» (صحيح مسلم)، ومن ثم كان تفسير التاريخ، الذي يقوم على رصد نتائج هذا الصراع المتغير باختلاف الزمان والمكان، واستنباط أحكامه: طريقًا للاستفادة منها.

وعناصر الابتلاء متعددة، فمنها ما هو كامن في النفس بموجب الجانب السيئ الذي أودع فيها من الجزع، والشح، والضعف، وحب الدنيا وشهواتها..

فقال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ٢١)، وقال: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨)، وقال: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠)، وقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (آل عمران: ١٤).

ومنها ما هو خارج عنها، كفساد المجتمع ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ (الفرقان: ٢٠)، وتزيين الشيطان ووسوسته ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩)، وهكذا تعددت عناصر الابتلاء ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥).

ومن ثم، فإهمال هذه الحقائق القرآنية يؤدي إلى فساد عظيم في تفسير التاريخ، ومثال ذلك: تفسير بعضهم حركة التاريخ الإنساني بأنها صراع بين الطبقات، فكانت النتيجة- التي رأوها خيرًا للبشرية- نزع هذه الفوارق الطبقية بفرض الشيوعية أو الاشتراكية على الناس، فأدى هذا إلى خلل عظيم، وما ذلك إلا بسبب منافرة هذا الأمر لحقيقة التفسير الإسلامي ممثلا في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢). ومثله ذلك المذهب الرأسمالي، حين أجاز احتكار المال لمن يقدر عليه، فأخل بحق الفقراء والمساكين، فكان من جراء ذلك فساد أشد من سابقه، فأوجب الله تعالى لهؤلاء حقًا على سبيل الفرض، وليس على سبيل المنّ، فقال: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، فإنه جل شأنه أجاز للبشر امتلاك المال، بل نسبه لأصحابه بقوله ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ﴾، ولكن في المقابل لم ينس حق الفقير والمسكين كما مر بنا. وعليه، فإن أي تفسير للتاريخ يبتعد عن تلك الحقائق التي قررها الكتاب والسنة يؤدي لا ريب إلى فساد كبير في المقدمات والنتائج.

وفي ضوء هذه المعطيات ينبغي أن يكون تدبير الإنسان لنفسه، ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ (القيامة: ١٥)، فلا ينبغي له أن يتعدى قدراتها وحدود فطرتها وتكليفاتها، وإلا ضل صاحبها وهلك، ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: ٧).

وأن يعلم أنه مهما كان حرًا مختارًا فإنه خاضع محتاج لا محالة لغيره: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف: ٣٢)، وأن حاجته لخالقه أشد ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥).

وهذا كله يجرنا إلى أصل مهم يقرره المنهج الإسلامي في تفسير التاريخ الإنساني، وهو أن وجود الإنسان على الأرض ما هو إلا من أجل مهمة واحدة خلق من أجلها، يستوي فيها مع غيره من الخلائق جميعًا، ألا وهي العبادة فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٠)، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤). فهو رغم ما أعطي من نصيب من حرية فإنه داخل حتمًا في دائرة العبودية شاء أم أبى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣)، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ﴾ (الحج: ١٨).

إلا أن الفرق بين من شاء ومن أبى، أن الأول مذعن لما أمر به وهو راض مختار طائع، فهو بذلك محقق لمعنى العبودية، جاعل حياته كلها تدور في هذا النطاق ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣)، فهو يتعامل مع الأوامر والنواهي (التشريعات) على أنها أمر كوني يتساوى فيه مع بقية الخلائق، لا خيار له فيها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وهذا ما يسميه القرآن «إسلامًا»، وهو أن يسلم الإنسان إرادته ومشيئته حرًا مختارًا لله رب العالمين، فهو يتعامل مع القضاء التشريعي- أمرًا ونهيًا- على أنه قضاء كوني ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران: ٨٣)، وذلك كمال الإيمان ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥). ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١)، ومن ثم فُضّل الإنسان على بقية المخلوقات بالثواب في الدنيا والآخرة.

بينما أساء الآخر- ذلك الذي أبى- استغلال نصيبه من الحرية في هذا الشأن، فظن بجهله أنها تعني التفلت والإعفاء من كل تكليف، وأن له الحق في قبول ذلك أو تركه.

ولاشك أن كل ما سبق مؤثر في مسيرة دهر الإنسان، إذ إن تاريخ الإنسانية كله يدور- وفق المقادير- حسب تلك الاختيارات التي يختارها الإنسان تبعًا لتلك المشيئة المقيدة، ومن ثم يصنع تاريخ البشر.

أما بالنسبة للموروثات فقد حكم الشارع العادة والعرف فيما ليس فيه نص، حتى جرى ذلك قاعدة يحتكم إليها الفقهاء والأصوليون وعلماء الاجتماع.. بأن العادة محكمة، وأن المعروف عرفا كالمشروط شرطا. ولكنه ذم من قدم العادات والتقاليد على أوامر الله ونواهيه، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠).

أما الظروف المحيطة، أو البيئة كما سماها البعض، فمن حكمة الله تعالى أنه خلق الإنسان من جنس الأرض التي يعيش عليها ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥)، وذلك سبب التوافق بين الإنسان ومحيطه الذي يعيش فيه، فهو- الإنسان- مؤثر فيه، وكذلك محيطه يؤثر فيه أيضا.. ولكن الفارق أن الله خص بني آدم بالتكريم والتفضيل على كثير من خلقه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠)، فبدأ خلقه من طين، سويًا متكلمًا عالما بخالقه، مدركا لهذا الكون المحيط به ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤)، ثم جعل نسله بعد ذلك من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب. يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ. الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

العدد (٥٧٩) ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٣م

نيكولاس بلونشو رئيس مجلس الشورى الإسلامي في سويسرا:

نحتاج إلى آلة إعلامية قوية للتعريف بالإسلام

حاوره : علاء عبدالفتاح

برغم أن عمره ثلاثون عامًا فقط، فإنه يترأس أهم وأكبر منظمة إسلامية في سويسرا، ويطوف بلدان العالم دعمًا لهذا الكيان المسمى «مجلس الشورى الإسلامي» الذي يمثل أكثر من ٤٠٠ ألف مسلم هناك، ويضم أكثر من ٢٦٠٠ عضو و١٣ مركزًا إسلاميًا إنه «نيكولاس بلونشو» الذي زار الكويت أخيرًا، وحرص على الالتقاء بـ«الوعي الإسلامي» في مقرها، ليمد أواصر المعرفة والخبرة من أجل دعم المسلمين في تلك البقعة من المعمورة المفتقدة لزيارات العلماء الأجلاء.

يقول نيكولاس: إن مجلس الشورى يقدم معلومات عن الإسلام للمدارس والمستشفيات والسجون والجامعات في سويسرا، فيجذب بذلك المزيد من المهتدين الجدد يوميًا، لكن بالطبع المعوقات كثيرة، والطريق الى التعريف بالإسلام شاق في بلاد تعلي من شأن الماديات على حساب الروحانيات.

في البداية سألناه عن إسلامه هو شخصيًا، وكيف هداه الله إلى طريق الرشاد؟

قال: ولدت في محافظة بيرن بسويسرا، من أب فرنسي وأم ألمانية، وفي مرحلة المراهقة وعمري ١٥ عامًا بدأت أتساءل عن الهدف من الحياة، وقرأت كتبًا عن الفلسفة والأديان، ولاحظت أن هناك شيئًا يجمع الأديان كلها، وهو التدرج للوصول إلى إله واحد، حتى في قضية تثليث النصارى هناك الرب الأعلى، ولاحظت أن هناك انحرافًا في بعض الأديان لا يقبله العقل، كأن يموت سيدنا عيسى من أجل البشرية كلها.. وقرأت في الإسلام أن الله أرسل لكل أمة رسولًا كي لا يعبدوا إلا الله، لكن الناس حرفوا الرسالات، وبقي هذا الفكر الفطري وهو عبادة الرب الأعلى، تعمقت في قراءة كل ما يخص الدين الإسلامي حتى حدثت حادثة غيرت مجرى حياتي، فقد اتصل بي أصدقاء لي كي أترجم لهم ما تقوله جماعة مسلمة أتت إلى سويسرا للتبليغ والدعوة، لكنها لا تتحدث إلا الفرنسية، وهم يعلمون أني أتحدث اللغتين بطلاقة، فوافقت.

وهناك استمعت إلى الحديث وترجمته لأصدقائي فوجدته منطقيًا جدًا والأدلة دامغة على أن الدين الإسلامي هو خاتم الأديان، وأن القرآن لم يتغير فيه حرف منذ أن أوحاه الله إلى نبيه عليه الصلاة والسلام.. سألني أحدهم: أنت تترجم وتفهم ما تقول فهل آن لك أن تعتنق الإسلام؟ وشعرت بشيء داخلي قد انطلق لأقول: نعم.. والحمد لله اعتنقت الإسلام ذلك اليوم.

المجتمع السويسري منغلق على ذاته ومغموس في الماديات

● وكيف عمقت من معرفتك بالإسلام حتى تكون على درجة عالية من التدين تسمح لك بأن ترأس أكبر منظمة إسلامية في سويسرا؟

– التقيت بإمام مسجد جزائري وصار هو معلمي، ودلني على مدرسة تحت رعاية العالم محمد قطب، وتحمست جدًا لأن الدين صار همي الأول، وكنت حريصًا على أن أقدم له شيئًا، وبالتالي درست ما استطعت، وتناقشت مع كل من قابلت من علماء ومعلمين، ثم سافرت إلى اليمن طلبًا للعلم، ودرست هناك العلوم الشرعية ٤ سنوات و٦ أشهر على منهج الزنداني، وتزوجت وأنجبت هناك، ثم عدت لسويسرا مع زوجتي وطفليّ، وتزامن ذلك مع بداية الحملة الإعلامية الشرسة لحظر المآذن في سويسرا، وفوجئت بعدم مقاومة المؤسسات الإسلامية الموجودة ككيان واحد، ومن هنا جاءت فكرتي لتوحيد كلمة المراكز الإسلامية للوقوف صفًا واحدًا عبر منظمة واحدة هي مجلس الشورى الإسلامي.

● وكيف نشأت هذه المنظمة عمليًا؟

– لم يكن هناك طرح إسلامي منظم ومنطقي أمام الطرح العلماني.. كانت هناك ثلاث منظمات كلها غير متفقة على أهداف واحدة: منظمة فلسطينية، وثانية إيرانية، وأخرى تركية، وبالتالي فشلنا في ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٩ وجاء تصويت الشعب بـ٥٧,٦٪ لحظر المآذن.

وكنت قبل التصويت بـ٤ أشهر قد طرحت فكرة هذا المجلس كجمعية أهلية، عدد أعضائها ٢٥ عضوًا من أهل السنة، صاروا الآن ٢٦٠٠ عضو، وبالفعل تم التأسيس بهدف جمع الفرق وإنشاء كيان يحمي المسلمين وشعائر الإسلام مستقبلاً، وصرنا نلتقي بالوزراء في مؤتمرات سنوية، ونطرح معالجاتنا للمشاكل التي تصادف المسلمين كبناء مقابر إسلامية أو إيجاد مجازر للذبح بطريقة إسلامية.

● ماذا عن اعتراف سويسرا بالدين الإسلامي كدين رسمي في الدولة؟

– في الوقت الحاضر ليس هناك اعتراف رسمي، ونحن حريصون على أن يظل الأمر بيدنا.

● ما المعوقات التي تقابلكم حاليًا؟

– لقد ثبت من خلال بحث للمجلس عن «الإسلاموفوبيا» أن أعلى درجة تخوف من الإسلاميين هي في سويسرا، ولذلك نعاني من مشكلات كثيرة، مثل رفض السكان

فروع وأقسام مجلس الشورى الإسلامي

مكتب رئيسي في العاصمة السويسرية بيرن وفروع عديدة في سويسرا كلها، ويضم ٩ أعضاء في مجلس الإدارة يشتغلون بنسبة ١٠٠٪، و٤٣ عضوا في المجلس العمومي.

هناك عشرة أقسام تمس جميع المجالات والميادين الاجتماعية والدينية والسياسية:

– القسم الإداري والرئاسي: مكلف بإدارة علاقات الرئيس الخارجية، وكذا مع المنظمة، وبالدعوات التي يتلقاها، والزيارات التي يقوم بها، ويضم الأمين العام والمحاسبة وتنظيم المؤتمرات.

– قسم الإعلام والعلاقات العامة: يهتم بمراقبة الإعلام ونشر المقالات والتعليقات على المواضيع التي تمس القضية الإسلامية، ويساند البحوث والمحاضرات والمؤتمرات والعروض الجامعية في المجالات الإسلامية، ويهتم كذلك بالعلاقات التي تربط المنظمة بالجامعات والمؤسسات الرسمية في سويسرا، وكذا بإصدار الأفلام والفيديوهات.

– قسم شؤون المرأة: يهتم بمشاكل المرأة المسلمة في سويسرا ويدافع عن حقوقها في مسائل عديدة كالحجاب، وقد قام بإصدار موقع خاص لمناقشة الأسئلة حول الحجاب الإسلامي.

– قسم التربية: يقوم بإعداد كتب ومناهج التربية الإسلامية للمدارس العمومية والمساجد ويهتم بمشروعين مهمين:

– مدرسة تحفيظ القرآن: وتضم ٣ مستويات، وتستقبل ٥٠ تلميذا، وتوجد على صعيد ثلاث مدن، مما يعني أننا نُسهم في تدريب وتخريج ١٥٠ حافظًا للقرآن ولتفسيره في سويسرا سنويًا.

– رعاية الطلبة: يقوم بمراقبة مسيرة الطلبة المسلمين، ويسهر على توفير كل ما يحتاجون إليه من كتب، ويهتم أيضا بتمويل الدراسات الإسلامية العليا للشباب في سويسرا أو في مصر.

القسم الاجتماعي: يدير كل ما يخص الزواج والطلاق والنكاح والصلح في الجانب الاجتماعي والمادي، ويقوم أيضا بالإشراف على زيارة السجون وتوزيع القرآن الكريم داخلها ومساعدة الفقراء والمدمنين على تخطي الأزمات.

– قسم الشباب: ينظم الرحلات الاستكشافية والرياضية والتعليمية لبناء الشخصيات الإسلامية المستقبلية لخدمة الإسلام والأمة الإسلامية.

لبناء مساجد جديدة في محيط سكنهم.

كما أن المرأة المحجبة تعاني كثيرًا في الشارع والمجتمع والعمل حتى إنها قد تتحمل السباب العلني، ويقولون لها ارحلي عن سويسرا.

● لكن أين التمدن هنا؟ أين الحضارة الحديثة والحرية الشخصية التي يتغنى بها الغرب ليل نهار؟

المحجبات يتعرضن للسباب في الشارع بسبب التزامهن بالزي الإسلامي

– الشعب السويسري منغلق على ذاته، ولا يعرف أشياء كثيرة عن الآخر، والإعلام الصهيوني العالمي مسيطر على العقول بقنواته.

● ولماذا لا يتم طرح قنوات إسلامية للتعريف بالإسلام ومواجهة الإعلام السائد هناك؟

– الطرح موجود لكن المشكلة في التمويل.. نحن لدينا أحزاب سياسية تشتري مراكز إعلامية وجرائد وقنوات والتكلفة تصل لـ٥٠٠ مليون فرنك للمركز الواحد.

نشرة تعريفية

● قسم الدعوة: مكلف بإدارة صالونات تعريفية بالإسلام في ١٢ مدينة سويسرية، وتعرض كل يوم سبت خلال «سوق السبت»، ويقوم هذا القسم بتنظيم مؤتمرات تكوينية للدعاة وبإصدار أو تصحيح كتب الدعوة وإقامة عروض ومحاضرات حول الإسلام بالمدارس العمومية والجامعات.

● قسم مراقبة الحلال: يقوم بمراقبة إنتاج الاغذية الحلال، وإصدار التراخيص للجودة الحلال، ويشرف على البحث بالمختبرات بالتعاون مع شركات ضخمة لضمان تغذية حلال لكل المسلمين القاطنين بسويسرا.

● قسم اللجنة العلمية: يتمثل في الاتحاد الأكاديمي للطلبة القاطنين في سويسرا، الذي يساند الطلاب في الدراسات العليا، سواء في الجانب المادي أو على مستوى المضمون، ويضم أيضا لجنة الفتوى للإجابة على أسئلة الناس.

● قسم رعاية المساجد والمراكز الإسلامية بسويسرا.

● قسم اللجنة القانونية: يضم قضاة وشخصيات يراقبون القضايا التي تكون فيها حقوق المسلمين مهضومة، ويهتم كذلك بالتراخيص للمؤتمرات وبناء المساجد.

نبذة تاريخية عن مجلس الشورى الإسلامي

تأسس مجلس الشورى الإسلامي السويسري سنة ٢٠٠٩، نتيجة إقامة استفتاء حظر المآذن في سويسرا.

● في ٢٠١٠/٩/٢٢: كسب مجلس الشورى الإسلامي قضية ضد منع الحجاب في المدارس، وتأييده من طرف بعض الأشخاص في وزارة التربية، مما يلعب دورًا كبيرًا ضد أي محاولة لمنع الحجاب في المدارس.

● ٢٠١٠/١٠/١٤: تمثيل الجالية المسلمة السويسرية في الملتقى السنوي لوزارة الخارجية السويسرية، تحت عنوان «كيفية التوفيق بين الثقافات والعقائد المختلفة» بحضور وزير الخارجية السويسرية السيدة ميشلين كآميري، والأمين العام لوزارة الخارجية السيد بتر ماولير وممثل اتحاد الحضارات في الأمم المتحدة السيد خورقة صمبايو و٢٥٠ شخصًا من جنسيات مختلفة وعدة منظمات.

● ٢٠١٠/١٠/١٦: افتتاح المركز الرئيسي الجديد في العاصمة السويسرية بيرن بحضور أعضاء المجلس العمومي للجمعية.

● ٢٠١٠/١١/٢٧: تأسيس جمعية اتحاد الشباب المسلم وهي مختصة في تنظيم أنشطة للشباب المسلم في سويسرا، وإصدار موقع إلكتروني لها.

● ٢٠١٠/١٠/٢٣: المشاركة في مناقشة اتحاد المنظمات الإسلامية الذي كلفت وزارة الداخلية المنظمة EKR المتخصصة في محاربة التميز بسويسرا بتنظيمه.

● ٢٠١٠/١١/١٦: تنظيم صلاة عيد الأضحى جماعة في مدينتي زيوريخ ولوتزرن، وتوزيع ١٤٠٠ هدية رمزية على الحضور.

● ٢٠١٠/١٢/٣١: إصدار أول فيلم إسلامي في سويسرا باللغة الألمانية والفرنسية وقد شوهد إلى اليوم ٢٨٢-٣٥٠ مرة على الموقع الإلكتروني «يوتيوب» وشاهده آلاف المشاهدين بالقاعات السينمائية بسويسرا وألمانيا.

● ٢٠١١/٢/١٩: عقد المؤتمر السنوي الأول للمنظمة، وتحقيقه نجاحًا كبيرًا، وحضور ٢٥٠٠ زائر على الصعيد الأوروبي.

تلمسان.. جوهرة المغرب العربي

محمد عبدالعزيز
القاهرة - دار الإعلام العربية

في شتى ميادين الجمال الطبيعي الخلاب، تجدها حاضرة بنجادها ووهادها وغاباتها وينابيعها، شامخة بمحاسنها ومفاتنها التي وهبها البارئ، صامدة دومًا من الغرق في محيط التلاشي واللاوجود، محتفظة دومًا بحيويتها ونشاطها وتوهجها عبر القرون والدهور، متجاوزة كل المخاطر والمحن، فلم تقهرها كثير من الكوارث والأهوال التي طمست غالبية المدن المجاورة لها بتأثير الدمار والحروب.. هذه هي «تلمسان» لؤلؤة المغرب العربي، ودرة المدن الجزائرية التي تزهو بكثرة ما فيها من مبانٍ فنية رائعة خالدة، وبماض فكري وثقافي وسياسي تليد، مزجت- بطبيعتها السخية الحسناء وجهود الإنسان المبدع- الفن بالتاريخ، فتفوقت في شتى الميادين حتى صارت «غرناطة» إفريقيا.

داخل مزارع هائلة من الكروم والزيتون، تقع المدينة شمال غرب الجزائر، يحدها البحر المتوسط شمالاً، وولاية النعامة جنوبًا، وولايتا عين تموشنت وسيدي بلعباس شرقًا، والمغرب الأقصى من جهة الغرب.. وهي مدينة تاريخية وسياحية،

كانت تعرف بـ«بوماريا» في العهد الروماني، واتخذها الزيانيون عاصمة لهم. وقد اختلف في أصل تسمية «تلمسان»، فهناك من يؤكد أنها تتكون من كلمتين بربريتين هما «تلم» ومعناها تجمع، و«ان» ومعناها «اثنان»، لكونها جمعت بين مدينتي «تقرارات» التي أسسها يوسف بن تاشفين، و«أغادير» التي أسسها أبوقرة اليفريني على أنقاض المدينة القديمة «بوماريا».. وهناك من يقول بأنها كلمة بربرية «تلا ومسان»، ومعناها «المنبع الجاف».. أما العامة فيؤكدون أنها كلمة عربية مركبة من كلمتين «تلم» بمعنى «تجمع»، و«إنسان» لتصبح «مجمع الناس».

ماض مزدهر

والمدينة التي يلقبها سكانها بأنها «اللؤلؤة أو جوهرة المغرب العربي» تفتخر بماضيها المجيد والمزدهر، ذات المعالم الأندلسية المتأصلة في المغرب الإسلامي، وتنقسم إلى ٢٢ دائرة و٥٣ بلدية، وتزدهر بالعديد من الآثار والمعالم السياحية، مثل مغارات عين فزة، المنصورة، وندرومة، ميناء هنين، ومساجد بني سنوس التي تعود للعهد المرابطي.. وتعتبر أيضًا من أهم مدن المغرب العربي، فقد كانت عاصمة لمملكة عربية تحت حكم سلالة عبدالودود، أو الزيانين في القرون الوسطى..

تعرضت للعديد من الهجمات من «المرينيين» من فاس، فبنى أهلها العديد من الحصون والقلاع من أشهرها «المنصورة»، وهي مدينة إدارية قريبة من مدنية تلمسان القديمة، ترمز لوجود المريني، إلا أن سكان تلمسان ردوها نارًا ورمادًا، ولم يبق منها إلا آثار بعد التخلص من الفاسيين.. وقد قصد تلمسان مئات الآلاف من سكان الأندلس من قرطبة وغرناطة بعد سقوط هذه الأخيرة سنة ١٤٩٢.. وفي ١٥٥٣ دخلها العثمانيون من الجزائر العاصمة بعد معركة مع الإسبان،

تحفل المدينة بالعديد من المساجد التي مثلت منارات لعلوم الإسلام

وجعلوها تابعة للإمبراطورية العثمانية، وتمت حمايتها من المحاولات التوسعية الإسبانية والمغربية مدة قرون، كما استعمرتها فرنسا في العام ١٨٤٤م، بعد سقوط الجزائر والمدن الغربية.

منارة إسلامية

تحفل تلمسان بالعديد من المساجد التي مثلت منارات للعالم الإسلامي، تعلم فيها كثيرون عبر الأجيال المختلفة، ومن أهم العلوم التي يتلقاها الطلاب في تلك المساجد العامرة: العلوم القرآنية، وبصفة عامة تتسم مساجد تلمسان بصفات معمارية فريدة، جمعت بين الطابع العربي الإسلامي إلى جانب الطابع البربري الصحراوي، فعلى سبيل المثال تتكون مئذنة أي مسجد أو زاوية من ٣ طبقات، كلها مربعة الشكل، بحيث تكون الطبقة

الثانية أصغر من الأولى، والثالثة أصغر من الثانية، فتشكل الأولى القاعدة الكبيرة، وتكون الثالثة القمة الصغيرة.

ويؤكد كل زائر للمدينة أن أهلها إجمالا قوم لا يمكنك إلا أن تحترمهم، وعندما تتحدث إليهم تشعر بأنك تتحدث إلى قوم يدركون جيدًا أنهم أبناء مدينة ينطق كل شبر فيها بالتاريخ والحضارة، وليس من قبيل المبالغة القول بأنه في هذه المدينة لا يحتاج أهلها إلى الحديث عن تاريخ مدينتهم، إنما حضارتها هي التي تتحدث.. فمن «سيدي بومدين» إلى «المنصورة»، ومن «المنصورة» إلى «باب القرمادي»، إلى «المسجد الكبير»، إلى «قلعة المشور».. عبر كل هذه الأماكن والرموز التاريخية وغيرها تجد نفسك في رحلة لا تنتهي عبر التاريخ.. ومنها انطلق القائد «يوسف بن تاشفين» ليوحد المغرب العربي من إسبانيا (سراقوسة)

صمدت من الغرق في محيط التلاشي واللاوجود واحتفظت بالحياة والنشاط

شمالًا إلى نواكشوط جنوبًا، إلى ليبيا شرقًا، مشكلًا «الإمبراطورية التاشفينية» التي ما تزال إنجازاتها حاضرة إلى الآن.

والحاضر أزهى

شهد العام الماضي ٢٠١١ اختيار المدينة عاصمة للثقافة الإسلامية، فشهدت المدينة إنجاز العديد من المشاريع الثقافية، وترميمًا شاملًا لجميع المعالم الأثرية، وتهيئة المنشآت الثقافية لاحتضان فعاليات اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية.. وشملت هذه المشاريع إنشاء مركب ثقافي ضخم ببلدية «المنصورة» التاريخية، ضم قاعة للمحاضرات تتسع للآلاف، وقاعات للعروض، وحجرات خاصة للبحث والدراسات، وكذا ضمت مركزًا إسلاميًا جديدًا اشتمل على مدرج للمحاضرات، ومكتبة، و٥ قاعات لاحتضان الأنشطة العلمية المتنوعة، إضافة إلى جناح لتعليم القرآن الكريم للبنين والبنات وكبار السن، فضلا عن قاعة للإنترنت، وأخرى متعددة الخدمات.. كما تحولت المدينة بكاملها إلى ورشة مفتوحة لترميم المآذن والمساجد والحمامات القديمة على غرار حمام ندرومة، وقامت وزارة الثقافة الجزائرية بإطلاق مشروع لإنشاء مركز للدراسات الأندلسية، يعتبر الأول من نوعه في المغرب العربي، يتم إنجازه على النمط المعماري العربي الإسلامي، وتكون مهمته الحفاظ على التراث الأندلسي المادي والمعنوي.

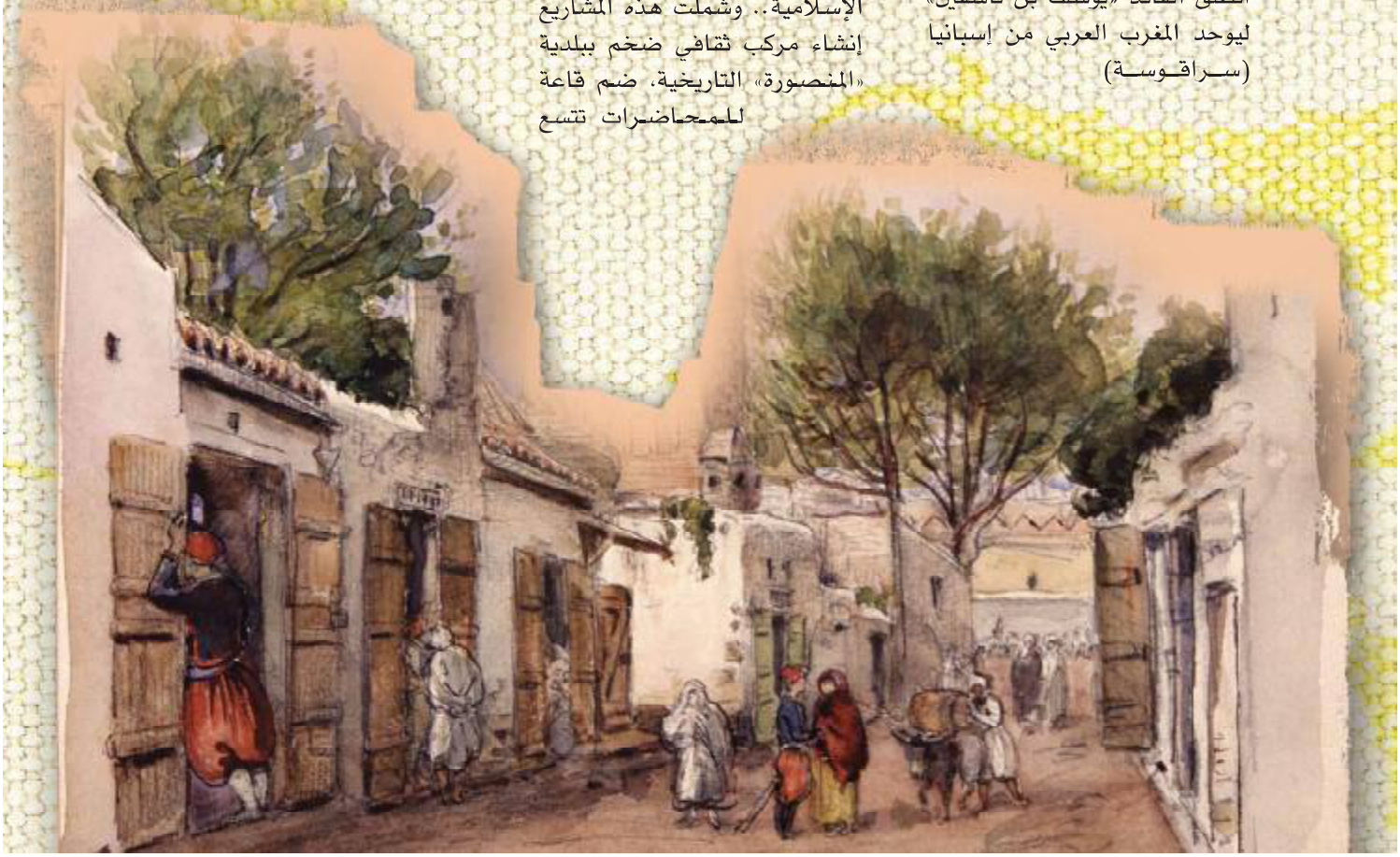

الطب الإسلامي في مرآة التاريخ والاستقصاءات

د. محمد القاسمي- أخصائي أعشاب

مما لاشك فيه أن نشأة الطب مرتبطة بحياة الإنسان، وتاريخ نشأته بدأ قبل تدوينه، وللمؤرخين في هذا المضمار آراء متنوعة، وحسب معتقداتهم فإن قادة الأديان هم المخترعون له، على سبيل المثال يقال إن لقمان الحكيم هو الطبيب الأول الذي ذهب إلى الغابات واكتشف أدوية لبعض الأمراض، وعلى هذا الرأي ترجع نشأة الطب واختراعه إلى رجال الدين، ويتبين من هذه الأقوال أن الطب نشأ وترعرع في البداية على الطريقة الإلهامية من خلال العلاج بالأدعية والرقى والتعاويذ، وأمثلتها موجودة في أعمال الأطباء النابغين الذين كانوا يقومون بالتداوي بواسطة الأدوية والأدعية، مثل أسقيلبيوس وغيره.

وفيما بعد أرجعت نشأته إلى الأمم، وأكبر دليل على تطور وتقدم أي أمة كان عبارة عن اختراعها وتقدمها وتطورها في مجال الطب، ويشار في هذا المجال إلى البابليين، ثم العرب والهنود والصينيين.

ولكنه من المعلوم جيدا من كتب التاريخ أن اليونانيين كانوا قد تطورا وتقدموا بخطوات جبارة في هذا المجال، وقدموا أنفسهم كمخترعين للطب، وبدأوا بتعليمه وتدريسه، ولكنهم أبقوه محدودًا على نطاق ضيق ضمن عائلاتهم.

وبعد ذلك بدأ عهد أبقراط الذي أنهى عصر العمل بالطب كمهنة وراثية، وعمم تعليمه وتدريسه، وبعهده بدأ ينتشر الطب، وقام أبقراط بإنشاء أول مستشفى، ويتبين من هذا أن مهنة الطب بدأت في اليونان.

وبعد ذلك بدأ العهد المشرق على يد الأطباء العرب الذين استمدوا من الطب اليوناني، ثم أخذوا بزمام المبادرة، وبدأوا بعمل الأبحاث والتحريات وتدوينها، وفي الوقت نفسه جمعوا كتبًا نادرة في الطب من روما واليونان والصين والهند، وترجموها إلى اللغة العربية، وبعد ذلك بدأوا التمحيص والتجارب في النتائج المستخلصة، وقام الأطباء العرب بتفنيد النظريات القديمة عن الكيمياء القديمة وتأكيد النظريات الصحيحة، ووضعوا القواعد الصحيحة عن العلوم النظرية والتطبيقية في مجال الطب، وأحد هؤلاء النوابغ هو أبوبكر الرازي الذي حول حلم الطب الإسلامي إلى حقيقة بفضل أعماله وعلومه الطبية الرائعة، وقام الأطباء من بعده بتأليف المصنفات العظيمة والحاويات، ومن الأطباء العرب الأفذاذ الذين أوصلوا العلوم الطبية إلى القمة:

١-

جابر بن حيان. ٢- حنين بن إسحق. ٣- أبوبكر الرازي. ٤- علي بن عباس المجوسي. ٥- أبوالقاسم الزهراوي. ٦- الشيخ الرئيس ابن سينا. ٧- ابن رشد. ٨- عيسى بن علي.

إن تطور وتقدم العلوم والفنون هو نتاج مساعي ومجهودات المحققين والباحثين من الأمم القديمة والبلدان المتنوعة العديدة في الأزمنة القديمة، وهي ليست تحولا مفاجئًا، وتاريخ تلك البلدان والأمم القديمة العديدة يحتوي على أدلة وشهادات دامغة على هذه العلوم والفنون.

جدير بالذكر أنه فيما بعد بدأ علم (مهنة) الطب في الهند بأسلوب مختلف، حيث أنشئ بناءً على قواعد «براهما»، وبغرض إبقاء الحياة شاع الطب، وجاء العلماء أمثال ستورت وتشاراك، وبعد ذلك بدأ خلط الطب الهندي بالطب الإسلامي، وأخيرا أنشأ الحكيم أجمل خان كلية الطب الإسلامي في دلهي، وبذلك بدأت سلسلة نظام التعليم الجديد للطب الهندي المخلوط الذي هو أنسب نظام لبلاد مثل الهند، ولكنه من المؤسف أن أباطرة العلوم الطبية الجديدة واصلوا مساعيهم الخبيثة للقضاء عليه، واستعانوا بعلم التداوي بالتضاد ALLOPATHIC.

ولكن الخبر السار أن المخترعين والمؤسسين الأصليين للطب بدأوا بتكريس مساعيهم خدمة لهذا المنهج، وبدأ العالم يعترف بأهمية وفائدة الطب الإسلامي، ودولة الكويت أول بلد عربي حمل الإرث العربي وأحس بمسؤوليته ولفت انتباه الأمم في العالم إلى الطب الاسلامي، وعُقد في الكويت مؤتمر عالمي انبثق منه شعاع الأمل، وفي الوقت نفسه أدركت أمم العالم فائدة الطب الإسلامي وأحست بعيوب الطب الألوباثي (التداوي بالتضاد) والأعراض الضارة له، والآن اتجهوا إلى الاستقصاء والاستنتاج بأن أساس تطور وتقدم العلوم الجديدة هو مبني على أبحاث وتحقيقات العلوم والفنون القديمة، وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية وألمانيا وإسبانيا، وأنشئت مراكز أبحاث لهذا الغرض في هذه الدول.

ولكن السؤال الأهم هو متى حدث ذلك؟

عندما بدأت أوروبا تكريس جهودها لخدمة العلوم والفنون، فأول شيء قامت به هو ترجمة كتب العلوم والفنون العربية المتوافرة في مكتباتها إلى لغاتها، وأجرت الأبحاث العملية والتطبيقية عليها.

وقد عمد الأوروبيون إلى الدسيسة والخبث، وأخفوا كنوز العلوم والفنون القديمة التي تعتمد عليها العلوم الجديدة اعتمادًا كليًا، واعتبروا كل شيء جزءا مهمًا من العلوم الجديدة.

ولكن القضاء والقدر كان ضد ذلك، وعامة الناس في بلدان أوروبا اضطروا- نتيجة لوطأة التأثر الضار- إلى توجيه أنظارهم إلى العلوم الأساسية والأصلية، وناقشوا الأمور الأساسية المتعلقة بالطب الإسلامي، وليس هذا فحسب، بل أُجريت في نهاية القرن العشرين كثير من البحوث والتحقيقات في مجال الطب الإسلامي..

ولإخفاء الحقائق يقومون بتبديل وترجمة أسماء الباحثين والمحققين العرب وأبحاثهم واختراعاتهم، وكذلك مصطلحاتهم، ويتم إخفاء هذه الحقائق عن الباحثين الآسيويين والأوروبيين بحيث لا يستطيع المصنفون العرب أن يميزوا هذه التصانيف بأنها عربية الأصل، وفي بعض الحالات يدعي المترجمون الأوروبيون أن هذه الكتب المترجمة هي من مصنفاتهم، ومن هؤلاء المترجمين الغاصبين الخائنين الأكثر تميزا بالخيانة والخبث هو المترجم «قسطنطين الإفريقي» الذي نسب إلى نفسه النسخة المترجمة من كتاب إسحق بن حنين «العشر مقالات في العين»، وحذف المقالة العاشرة من هذا الكتاب الذي خاطب فيها إسحق بن حنين تلميذه «ابن الطبري»، وعزا قسطنطين هذه المقالة إلى تلميذه يوحنا، وسماه «شيدر قسطنطين إفريقي في طب العيون». كما قام إندرس إفريقي بغصب كتاب علي بن عباس «كامل الصناعة» وقام بنشر ترجمة هذا الكتاب المعنون «نبتنجي» باسمه، وزاد على ذلك فنشر كتاب ابن رشد «كتاب الكليات» تحت اسم «كاليجيت أيويرز»، ونشر أيضًا كتاب عيسى بن علي «تذكرة الكحالين» تحت اسم «ميموراندا فور أكوكيتس»، وقام بتبديل كتاب الرازي «الحاوي في علم التداوي» وسماه «كانتي تينسي»، وبدل اسم كتاب آخر للرازي «التقييم والتشجير» إلى اسم «لائرد دونائم»، وبدل اسم كتاب «مسائل حنين بن إسحق» إلى «أليا جاج جواهنيتي» وهذا غيض من فيض.

والسؤال الآن: بعد كل هذا المسخ والتشويه لأعمال العلماء العرب بهذه الجرأة هو.. كيف يمكن التوافق والتصالح السياسي بين هؤلاء الأوروبيين الحاقدين وبين الحكماء والأطباء العرب ومن يعترف بخدماتهم؟

إعداد : د. محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

مناهج الإفتاء في النوازل المعاصرة

المقصود من هذا العنوان بيان المناهج المعاصرة في النظر الاجتهادي للقضايا النازلة، والحوادث المستجدّة، فإنها غالبًا ما تكون منحصرة في منهجين اثنين؛ هما:

أولا: منهج التضييق والتشديد

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، بينت هذه الآية الكريمة أن الدين مبني على اليسر ورفع الحرج، وأدلة ذلك غير منحصرة، فاستقراء أدلة الشريعة قاض بأن الله عز وجل جعل هذا الدِّين رحمةً للناس ويسرًا.

يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا» (رواه مسلم).

ويمكن إبراز بعض ملامح هذا المنهج في أمر الإفتاء بما يلي:

أ- التعصب للمذهب، أو للآراء:

يقول الإمام أحمد- رحمه الله: «من أفتى الناس ليس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه، ويشدد عليهم» (مجموع الفتاوى- ٢٠/٢٠٨).

ب - التمسك بظاهر النصوص:

يقول الإمام ابن القيم- رحمه الله: «لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا، أو حرمه، أو أوجبه، أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه كذلك، مما نص الله ورسوله على إباحته، أو تحريمه، أو إيجابه، أو كراهيته.. قال غير واحد من السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا أو حرم كذا، فيقول الله له

فتاوى الوعي

التشويش على المصلين بالقرآن

(٩٧/٢٢١/١)

عُرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

تقدم كثير من المصلين إلى إدارة المساجد بالسؤال الآتي: «قبيل صلاة الجمعة في بعض المساجد يقوم قارئ بقراءة القرآن بصوت عالٍ، فيشغل المصلين عن صلاتهم، ويحرم المعتكفين من قراءة القرآن بأنفسهم. فما رأيكم في هذا العمل، وما هي السنة الشريفة التي ينبغي اتباعها؟».

فأجابت اللجنة بما يلي:

إذا ترتب على القراءة بصوت عالٍ تشويش على المصلين أو على قارئ آخر يقرأ لنفسه، فإنه يُطلب إلى القارئ بصوت عالٍ أن يخفض صوته. والسنة التي ينبغي اتباعها التوسط بين المخافتة والجهر، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ١١٠)، والله سبحانه وتعالى أعلم.

إطلاق أسماء الرسل على المساجد

(٩٨/٢٢٢/١)

عُرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء المقدم من السيد/ مدير إدارة المساجد، ونصُّه:

ما حكم إطلاق أسماء الأنبياء والرسل على بعض المساجد المنشأة حديثًا، وكذلك أسماء أمهات المؤمنين؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

إن ذلك جائز ولا مانع منه شرعًا. والله أعلم.

التصرف بأثاث المسجد القديم

(١٠٢/٢٢٤/١)

حضر إلى «لجنة الفتوى» بدولة الكويت مدير إدارة المساجد ومراقب إدارة المساجد، وقدما الاستفتاء الآتي:

هل يجوز التصرف بالسجاد القديم المرفوع من المساجد للاستعمال الشخصي؟ وهل يمكن نقل السجاد أو غيره إلى مسجد آخر؟ وذلك في حالة ما إذا كان من ميزانية الوزارة، أو من المتبرعين، علمًا بأنه كثيرًا ما ينقل الذي يستبدل بالمسجد إلى مخازن الوزارة فيتلف لبقائه فترة طويلة في الشمس والمطر أو يباع بثمن زهيد.

فأجابت اللجنة بما يلي:

إن هناك تفصيلًا بين ما إذا قدمت الدولة بديلًا أفضل من السجاد أو الأثاث القديم، وبين ما إذا لم تقدم شيئًا من ذلك، فإذا قُدم بديل أفضل فإن القديم (سواء أصله من ميزانية الوزارة أو مما وقفه أهل الخير) يصبح مملوكا للدولة، ويجوز التصرف به تبعا للأنظمة المتبعة في الدولة من بيع أو تمليك بغير عوض، وأما إذا لم يقدم بديل فإن السجاد أو الأثاث القديم ينقل إلى مسجد آخر إذا كان ينتفع به فيه، فإن كان لا ينتفع به فإنه يتصدق به عينًا، أو يباع، ويتصدق بثمنه، وحيث جاز التّصدق بشيء من ذلك، أو بثمنه، فلا يجوز التّصدق به

كذبت لم أحل كذا، ولم أحرمه» (إعلام الموقعين- ٣/١٠٩).

ج-الغلو في سد الذرائع، والمبالغة في الأخذ بالاحتياط عند كل خلاف:

يقول ابن القيم رحمه الله: «فإذا حرم الرب تعالى شيئًا، وله طرق ووسائل تفضي إليه، فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقا لتحريمه، وتثبيتًا له، ومنعًا من أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم وإغراءً للنفوس به» (إعلام الموقعين- ٣/١٤٧).

وعلى النقيض تمامًا يأتي المنهج الثاني من مناهج الإفتاء في النوازل المعاصرة:

ثانيا: منهج المبالغة في التساهل والتيسير

لا ينبغي أن يكون ضغط الواقع ونفرة الناس عن الدين مسوغًا للتضحية بالثوابت والمسلمات، أو التنازل عن الأصول والقطعيات مهما بلغت المجتمعات من تغير وتطور، فإن نصوص الشرع جاءت صالحة للناس في كل زمان ومكان.

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- رحمه الله- في ذلك: «فعموم الشريعة لسائر البشر في سائر العصور مما أجمع عليه المسلمون، وقد أجمعوا على أنها مع عمومها صالحة للناس في كل زمان ومكان، ولم يبينوا كيفية هذه الصلوحية، وهي عندي تحتمل أن تتصور بكيفيتين:

الكيفية الأولى: أن هذه الشريعة قابلة بأصولها وكلياتها للانطباق على مختلف الأحوال بحيث تساير أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر.

الكيفية الثانية: أن يكون مختلف أحوال العصور والأمم قابلًا للتشكيل على نحو أحكام الإسلام دون حرج ولا مشقة ولا عسر، كما أمكن تغيير الإسلام لبعض أحوال العرب، والفرس، والقبط، والبربر، والروم، والتتار، والهنود، والصين، والترك، من غير أن يجدوا حرجًا ولا عسرًا في الإقلاع عما نزعوه من قديم أحوالهم الباطلة» (مقاصد الشريعة- ص٩٢-٩٣). المرجع: «ضوابط الفتيا» للدكتور مسفر القحطاني.

إلّا على من كان من أهل الصدقة؛ كالفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل، ونحو ذلك.

وأما ما ذكر في السؤال من أن بعض الأثاث المستعمل قد ينقل إلى مخازن الوزارة فيتلف لبقائه مدة طويلة في الشمس والمطر فإن الواجب على المسؤولين عن ذلك اتخاذ الإجراءات لصيانة هذه الأموال لما ورد في الشرع من النهي عن إضاعة المال. والله أعلم.

الاستفادة من نخيل المساجد

(٣/٥٩/٧١٢)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصه:

الرجاء تزويدنا بالحكم الشرعي للنخيل الموجود في بعض المساجد من حيث الاستفادة من ثماره وفسائله (فروخه)، حيث إن هذا الأمر يسبب الحرج للناس، ويكثر السؤال عنه. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

فأجابت اللجنة بما يلي:

إن النخيل الموجود في المساجد إذا عرف من غرسها، وقصد أن يسبّلها بأن يأكل الناس منها: فللناس أن يأكلوا منها.

وكذا إذا لم تُعرف نيته، فيجوز الأكل منها، وقد جرت العادة بهذا، أما الفسائل فحكمها حكم الثمار. والله أعلم.

الاقتراض بفائدة لبناء مسجد

(٥/٦٤/١٤١٩)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء المقدم من رابطة للشباب المسلم بأميركا، ونصه:

يبني بعض المسلمين مساجد اضطروا إلى الاقتراض بالربا لإكمال بنائها، فما حكم هذه المساجد؟ وما حكم الصلاة فيها؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز الاقتراض بالربا لبناء المسجد، ولا ضرورة تلجئ إلى ذلك، وحكم الصلاة في هذه المساجد أنها صحيحة. والله أعلم.

التصرف بما زاد من التبرعات لبناء مسجد

(٥/٦٤/١٤٢٠)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء المقدم من رابطة للشباب المسلم بأميركا، ونصه:

يجمع بعض الناس أموالا لبناء مسجد أو ترميمه ثم تفيض عن الحاجة، فهل يجوز استخدام الأموال الزائدة في استثمارات لصالح المسجد أو صرفها في نشاط المسجد؟ وإذا لم يجز ذلك فما هو الحل الأمثل لتصريف هذه الأموال؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

الأولى استخدام ما زاد من التبرعات المقدمة لبناء مسجد أو ترميمه في إعمار مسجد آخر، أو ترميمه، ويجوز صرف هذه المبالغ الفائضة في مصالح المسجد نفسه أو غيره من المساجد، كالتأثيث مثلًا، سواء صرفت المبالغ الزائدة مباشرة أو ريعها، على أنّه يجب أن يكون الاستثمار مشروعًا. والله أعلم.

الوعي نت

إعداد: خالد محمد

كيف تحمي حساب شركتك بمواقع التواصل الاجتماعي؟

بعد أن ذاع اختراق قراصنة مواقع شركات كبرى ومواقع إعلامية أخرى، نقدم لك بعض الخطوات التي من شأنها ضمان سرية حساب شركتك من القرصنة بحسب ما جاء في تقرير نشر على مجلة تايم الأميركية:

الخطوة الأولى: تتمحور في «كلمة العبور» السرية، حيث إن أفضل الوسائل التي من شأنها حماية الحساب تكمن في وضع برنامج للموظفين بشكل عام، يمكّن الموظف من الدخول إلى الحساب من خلال اسم المستخدم وكلمة العبور الخاصة ببريده الإلكتروني، ومنها إلى الحساب على موقع التواصل الاجتماعي.

الخطوة الثانية: حصر القنوات التي تغذي حسابك على موقع التواصل الاجتماعي، كترتيب التعامل مع حسابات شركتك على موقع «فيسبوك» و«تويتر» و«لينكد إن» من خلال نظام واحد تحت إشراف موظف المعلومات والتقنية لديك.

الخطوة الثالثة: إجراء عدد من الدورات التدريبية للموظفين، وكيفية التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي، وخاصة في شؤون الأمن والحماية.

إطلاق تطبيق «إذاعات القرآن»..

أطلقت شركة «رُمّان» للتطبيقات الذكية، الإصدار الثاني من تطبيق «إذاعات القرآن» الخاص بهواتف «آبل» (آيفون وآيباد) اللوحية، وقالت الشركة إن تطبيق «إذاعات القرآن» هو تطبيق إسلامي مجاني وشامل، يحتوي على جميع الأدوات الإسلامية من أوقات الصلاة، والأدعية، واتجاه القبلة، وحاسبة الزكاة، والقرآن الكريم وتفسيره، بالإضافة إلى ترجمته إلى ٣٦ لغة.

ويوفر التطبيق في إصداره الثاني أكثر من ٦٥ إذاعة إسلامية من جميع أنحاء العالم، وأكثر من ١٣٠ بابًا من أدعية حصن المسلم، بالإضافة إلى مسبحة إلكترونية.

كما يقدم التطبيق أوقات الصلاة عن طريق استخدام موقع الهاتف (بالنسبة لخطوط الطول والعرض)، مع منبه لأوقات الصلاة بخاصية تحديد صوت الأذان، وبوصلة لمعرفة اتجاه القبلة، ويمكن من خلال التطبيق التحويل من التقويم الميلادي إلى التاريخ الهجري.

ويوفر التطبيق في إصداره الثاني خاصية الاستماع لسور وآيات القرآن الكريم لأكثر من مقرئ، وإعادة الاستماع لحفظ القرآن الكريم والبحث، وإمكانية وضع إشارات مرجعية، هذا إلى جانب القرآن الكريم مترجمة معانيه بالكامل إلى ٣٦ لغة، كما يضم تفسير الجلالين.

ويمكن للمستخدمين مشاركة محتوى التطبيق بكل سهولة على شبكات التواصل الاجتماعي، كما أنه يوجد صفحة على «تويتر» للتواصل والمشاركة بالنقاشات عن طريق الوسم «هاشتاج QuranRadiosApp».

جوجل تطور تطبيقا لأندرويد للتحكم بالحاسوب

تعمل شركة جوجل الأميركية على تطوير تطبيق يتيح لمستخدمي نظام «أندرويد» التحكم بالحاسوب الشخصي عن بُعد، وذلك اعتمادًا على دالة «سطح مكتب كروم البعيد» التي تتيح التحكم عن بعد بين جهازي حاسوب باستخدام متصفح «كروم».

وبحسب البوابة العربية للأخبار التقنية، أوضح المطور في جوجل، فرانسوا بيوفور، على حسابه في شبكة التواصل الاجتماعي «جوجل+»، أن فريق تطوير متصفح «كروم» يعمل حاليًا على جلب الدالة المذكورة المتاحة لمستخدمي المتصفح تحت اسم «كروموتينغ» إلى نظام «أندرويد».

«تويتر» يستقبل ١٧ مليون تغريدة كويتية يوميا

أشارت إحصاءات حديثة إلى أن شبكة «تويتر» هي الأكثر استخدامًا في الكويت، ونقلت وكالة كونا للأنباء أن هناك نحو ١٧ مليون تغريدة يوميًا باللغة العربية من الكويتيين على موقع تويتر، الذي أخذ ينتشر لدى شرائح كبيرة من جيل الشباب، الذي يشكل ٦٠ في المائة من المجتمع الكويتي، مبينًا أن تحديث الأخبار في هذه الوسائل يتم أولا بأول، لاسيما أن تسارع الأحداث في المنطقة أعطاها تميزًا عن غيرها من وسائل الإعلام التقليدية.

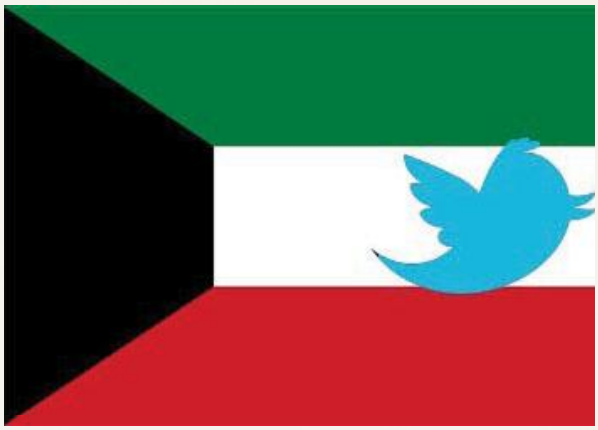

وبينت أن شبكات التواصل الاجتماعي، التي تسمى «الإعلام الجديد»، صارت أكثر تأثيرًا من وسائل الإعلام التقليدية، لارتباطها بعاملَين مهمين هما: السرعة والانتشار، مبينًا أن «تويتر» و«فيسبوك» أصبحا أكثر أهمية من القنوات الفضائية والصحف الورقية.

ودعت إلى التنبه إلى مدى دقة وصحة المعلومة المنشورة على شبكات التواصل الاجتماعي، والحرص على الحصول عليها من مصادر معتمدة وموثوقة، وعدم نشر المعلومات التي تتضمن مخالفة للقوانين المعمول بها.

وفي إطار متصل دعا خبيران معنيان في مجال شبكات التواصل الاجتماعي إلى الاستفادة من الميزات الكثيرة التي تتيحها هذه الشبكات وتوظيفها بالصورة المثلى، فيما حذر آخران من الأخطار المترتبة على إساءة استخدامها والتعامل السلبي معها.

وقال هؤلاء الخبراء- في لقاءات متفرقة مع وكالة «كونا» للأنباء: إن شبكات التواصل الاجتماعي (مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب وانستغرام) تشهد إقبالًا لافتًا في الكويت، مشيرين إلى إحصاءات حديثة ذكرت أن الكويت تضم أكبر عدد لمستخدمي «تويتر» في المنطقة بحسب النسبة والتناسب، وفقا لآخر إحصاء لعدد السكان في الكويت.

وتطرق الخبراء إلى عدد من الإحصاءات عن استخدامات هذه الشبكات، منها بلوغ عدد المستخدمين الفاعلين على موقع «فيسبوك» نحو ٨٥٠ مليون شخص في الشهر عام ٢٠١٢ وتحميل مليون صورة يوميًا، وممارسة نسبة كبيرة من الشركات التسويق الإلكتروني.

من جهته قال مدير إحدى الشركات المتخصصة في المجال الغذائي: إن شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية، وصارت مختلف الشرائح العمرية تستخدم هذه الشبكات عبر الأجهزة التكنولوجية الحديثة، كالهواتف الذكية، مبينًا- على سبيل المثال- أن نحو ٨٥٪ من الكويتيين يمتلكون هواتف ذكية، وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بعدد سكان الكويت.

يُذكر أن هناك بعض التطبيقات التي تتيح للمستخدم التحكم بجهاز الحاسوب الخاص به عن بعد عن طريق هاتفه أو حاسوبه اللوحي، إلا أن هذه التطبيقات قد تُثير- بحسب الخبراء- مخاوف البعض، نظرًا لاستخدامها بروتوكولات اتصال خاصة بها، قد تتشابه مع مستخدم آخر، وبالتالي فقدان مسألة الخصوصية التي يسعى الجميع إليها، على حد تعبيرهم.

لذا أوجد فريق «كروميوم» المطور لمتصفح كروم منذ فترة حلًا لهذه المسألة عن طريق دالة «كروم ريموت ديسكتوب» أو «سطح مكتب كروم البعيد» التي أضيفت إلى متصفح كروم، والتي تعتمد على خادم خاص ومنفصل من أجل إنشاء الاتصال، بفضل استخدامها حساب جوجل الخاص بالمستخدم نفسه، وبالتالي فهي توفر خصوصية أكثر من بقية الوسائل المتاحة.

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

حاجتنا إلى التطبيق العصري للاقتصاد الإسلامي

المنهج الإسلامي نظام شمولي متكامل لشؤون الدنيا والآخرة، وهو يتناول جوانب الحياة كافة، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو تشريعية أو اقتصادية.

ولعل كلمة فضيلة شيخ الازهر د.أحمد الطيب في المؤتمر العلمي الثالث بكلية التجارة جامعة الازهر التي جاء فيها: «إن الاقتصاد الاسلامي إذا طبق تطبيقًا عصريًا صحيحًا وواعيًا ومنبثقًا من روح الإسلام السمحة وسعة أفقه، فإنه يكون قادرًا على حل كثير من المعضلات والمشكلات الاقتصادية التي تمر بها الأمة».. هذه الكلمة هي خير رد على من يدعون أنه لا يوجد ما يسمى بالاقتصاد الاسلامي.

وبعد فشل الاقتصاد الوضعي سواء كان اشتراكيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، أو رأسماليا عقب الأزمات المالية المتلاحقة، فقد كان من الضروري أن يبحث العالم عن مخرج بديل للأنظمة الوضعية، فوجد الاقتصاد الاسلامي المنقذ لما يطرحه من حلول وبدائل لا تتوافر في الاقتصاد الرأسمالي الذي يجعل مصلحة الفرد هي الأصل، وأن تدخُّل الدولة هو الاستثناء، ولا تتوافر في الاشتراكية التي تجعل تدخّل الدولة وانفرادها بالنشاط الاقتصاد هو الأصل ومصلحة الفرد هي الاستثناء، ولكن الاقتصاد الإسلامي يقوم على أصول ثابتة جاء بها القرآن والسنة، فهو نظام إلهي، وذلك ما يميزه ويجعله فريدًا عن الأنظمة الوضعية، وهو يحقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ويتميز بالإشباع الروحي، ويجمع بين الكسب المادي والعمل في إطار أخلاقي يحرم الربا والاعتداء على أموال الآخرين والاحتكار والغش.

محمد علي رزق

الصمت والكلام.. في ميزان الذهب والفضة

اللسان.. هو ذلك العضو اللحمي الصغير الذي يقع بين الفكين، الحاد جدًا.. شديد المرارة.. تحيط به القواطع والأنياب وطواحين الأسنان من فوقه ومن أسفل منه وعن يمينه وعن شماله.

ترى.. كيف سمحت له كل هذه الخناجر الحادة، والمتاريس المكينة، والحراسة الدائمة المشددة بالتسلل، والخروج والتجول هنا وهناك ليشتم هذا، ويلعن ذاك، وينهش في الأعراض، ويأكل لحومًا ميتة تارة، ولحومًا مسمومة تارة أخرى؟!

كم من جرائم اقترفها اللسان.. وكم من مصائب أحدثها اللسان.. وكم من صلات رحم بترها اللسان.. بل كم من معارك وحروب طاحنة أشعل فتيلها اللسان!

واللسان هو الذي أغرق الأمم في طوفان الذنوب وسيئات الأعمال، حتى أودى بالأفراد والجماعات في مجاهل السبل وأسفل الدركات!

ففي كل يوم تستصرخ به الأعضاء: «اتق الله فينا يا لسان»!

طفولة روح

يتراقص ويلهو ويلعب.. ولا يعرف ماذا يحدث.. ولا يتساءل لم يحدث وكيف يحدث.. همه فقط هو لعبه ولهوه.. في عمق لحظته يعيش.. ولا يفكر بما حوله ولا يعبأ بأحد، ففيه ثقة عمياء تجعله قادرًا على فعل أي شيء وأمام أي أحد.

وحده من يقول الحقيقة، فهو لا يجامل ولا يعادي أحدًا، وإذا أحب شيئًا ظهر عليه، وإذا كره شيئًا قال به، واضح المظهر والمخبر.. يجتمع أفراد الأسرة أمام التلفاز، وينغمسون في متابعة مسلسلات بائسة حزينة، وتجده غارقًا في ألعابه، وضحكاته تجلجل المكان، وتبث صدى الطفولة البريئة.

وتدور من حوله أحاديث ممتلئة بالخلاف، وتشتد الصراعات، وهو في الزاوية مشغول بتركيب ألعابه، وفي عينيه ترى عبارات السلام، ومن ملامحه تقتبس السلام، فالنبي ﷺ قال: «إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم».

في المنزل الكل مشغول في همه، حتى وإن كانت بعض الهموم رديئة ولها نوايا زائفة فهو مشغول بلعبه ولهوه، وعندما تراه تود لو أنك مكانه من جمال ما ترى وبراءة ما تشاهد.

وفي المساء يتثاءب ويتثاقل ويرتمي قرب أمه وقد أنهكه التعب، ويرخي عليه الليل سدوله، وينام كأنه درة من درر الجنان، ينام هنالك بعيدا عن صراعات الأكوان، ينام بعيدا عن اقتتال الأنام، ينام وهمه فقط أن يكون في أمان، وهمنا نحن أن يبقى هو حيًا لننعم بالسلام.

حمد عبدالعزيز الكنتي

وقد حثت السنة النبوية المطهرة على الصمت، واجتناب اللغو وسائر آفات اللسان، ففيما رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ: «من كف لسانه ستر الله عورته، ومن ملك غضبه، وقاه الله عذابه...».

وورد عنه ﷺ أنه قال: «من سره أن يسلم فليزم الصمت».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

نجاح إبراهيم منصور

قصة الحياة

يا روعة الإسراء والمعراج تسري كوثرًا
بذكر سيد الندى تعطر البشرْ
وتجعل الحياة أبهى قصة وتنفض الكدرْ
مسراكم يا سيدي يفيض نهر رحمة
يجدد الحياة للقلوب ينثر العبرْ
لأن إسراءك يحكي قصة الحياةِ
حين تعبر الأرواح درب عمرنا ويخلد الأثرْ
لأن معراجك يتلو قصة التغيير
حين يمتطي الضياء قلب من صبرْ
يا منحة السجود والركوع
حين ينتشي السرور حين ينثني الخطرْ
يا ليلة بنا تمر هاهنا بنفح طيب أصدق البشرْ
أحبكم يا سيد الوجود كل لحظة
وحين تبحر الحروف تعبر المحيط
نحو ظلكم في ليلة الإسراء ساعة السحرْ
القلب فيها ينتشي
مهللا بذكر سيد الهدى
وبالصلاة والسلام
واتباع ما نهى وما أمرْ
ومن نسائم الصلاة أحرفي
يا سيدي تصلي
في خفق كل لحظة مر بها القدرْ
ومن نسائم السلام مهجتي
يا سيدي تصلي
في كل عبرة جرت من سيرة الحبيب
سيدي الأغرْ

هائل الصرمي

هكذا استفادوا من تقدمنا

بعد انكسار الآخر (الغرب) إثر الحروب الصليبية التي امتدت فترة من الزمان قاربت مائتي عام، حيث بدأت الحملة الأولى عام ١٠٩٦م، وانتهت الأخيرة عام ١٢٧٠م، وتم جلاء الصليبيين النهائي عام ١٢٩١م، وقف مع نفسه وقفة متأنية حاول من خلالها تقويم أعماله الحربية وجدواها في محاولته سحق الإسلام، أو حتى إضعاف شكوته، فوجد الحقيقة التي تجلت أمامه وهي أن الفارق كبير بينه وبين الشرق من ناحية الرقي الحضاري والتقدم العلمي، فشعر بضرورة الاستفادة من التقدم الشرقي في كافة النواحي والمجالات، ولم يمض وقت طويل حتى عقد مؤتمر فيينا الكنسي بين عامي ١٣١١-١٣١٢م، وكان «من أهم قراراته: إنشاء كرسي للغة العربية في معظم جامعات أوروبا، فتأسس كرسي اللغة العربية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا، ويعتبر كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمة وشبه الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمنزلة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتبع ذلك انتشار المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنية بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفة خاصة».

وهذا معناه أن الآخر (الغرب) ازداد عنده الوعي ونما، واستشعر ذاته، فعمل على تغذيتها بآخر ما توصل إليه العلم، والذي كان العرب والمسلمون أربابه.

محمد فتحي النادي

المحرر: الأخ الكريم الباحث محمد النادي بحثكم جدير بالتقدير ونعتذر عن عدم إمكانية نشرة كاملًا في متن المجلة بسبب كثرة المواد الواردة إلينا والتي تحمل نفس صفة الجدارة، وقد أردنا فقط لفت أنظار القراء إلى أهمية بحثكم بنشر مقدمته.

الثروة في الإسلام

سبحان الله الذي أنزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ، واختاره نبيًا للإسلام، وأمره بنقل تعاليمه إلى عباده الصالحين في كل زمان ومكان، وقد حثنا الإسلام منذ بداياته على العمل لتعمير الأرض، والاستفادة من ثرواتها في تحقيق سعادة الإنسان ورفاهية المجتمع. كما أرشدنا الله- سبحانه وتعالى- ورسوله الكريم ﷺ إلى الطرق والوسائل والمجالات التي يستطيع الإنسان من خلالها كسب قوته وقوت عياله بالحلال، ومن أبرزها مجالات الزراعة (الاستفادة من الماء في إنبات الأرض، والحصول منها على المحاصيل المختلفة التي تستخدم في تغذية الإنسان والحيوان والطير)، فضلًا عن مساهماتها في الصناعة، فهناك المحاصيل الاقتصادية، والتجارة (تبادل السلع عن طريق البيع والشراء مع الآخرين سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم)، والصناعة (تحويل المواد الخام إلى مواد مصنعة يستفيد منها الإنسان دون الإضرار بالآخرين).

وقد عظم القرآن الكريم هذه المجالات وأشاد بها في العديد من سوره وآياته «الحج:٥. يوسف:٤٧-٤٨. الرعد:٤. الواقعة:٦٣-٦٥. المؤمنون:١٨-٢٠. التين:١-٣. الحديد:٢٥. سبأ:١٠-١٢. هود:٣٦-٣٧. القصص:٧٨. القصص:٨١».

كما أشاد رسولنا الكريم ﷺ في العديد من الأحاديث الصحيحة التي ذكرها البخاري ومسلم وغيرهما بقيمة العمل والحث عليه.

وإلى جانب المجالات التي أشرنا إليها فيما سبق حدثنا القرآن الكريم ورسولنا الكريم ﷺ عن الزكاة والصدقة، باعتبارهما من مصادر الثروة في الإسلام، ومن أهم وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي والاقتصادي بين الناس جميعًا، لأن الزكاة ليست تفضلًا من الغني على الفقير، بل هي ركن أساسي من أركان الإسلام، ومظهر من مظاهر التعاطف والتكافل، وعامل من عوامل التضامن والإخاء، ووسيلة إيجابية لمواجهة الفقر ومشكلاته الخطيرة، التي تنعكس على الأفراد والمجتمعات، وسائر الأمم المتقاربة والمتباعدة.

محمد فؤاد علي

لماذا ندور حول الكعبة عكس عقارب الساعة؟

سؤال يدور بخلد الكثيرين.. لماذا ندور حول الكعبة عكس عقارب الساعة؟
مع أننا في جميع عبادتنا نبدأ باليمين، نسلم باليمين، نأكل باليمين، ندخل المسجد باليمين، كل أمورنا نبدأها باليمين، فما الحكمة من ذلك؟
قال أهل العلم: إن القلب في الناحية اليسرى للإنسان، فنحن عندما نطوف عكس عقارب الساعة يكون القلب أقرب ما يكون ناحية الكعبة..
والعلم الحديث أثبت أشياء تؤكد أهمية الطواف عكس عقارب الساعة، فالدم داخل الإنسان يبدأ دورته عكس عقارب الساعة، والإلكترونات حول النواة تدور عكس عقارب الساعة، فإذا خرجنا عن نطاق الأرض وجدنا القمر يدور حول الأرض عكس عقارب الساعة، والأرض تدور حول الشمس عكس عقارب الساعة، والكواكب تدور حول الشمس عكس عقارب الساعة، والشمس بمجموعاتها تدور حول المجرة عكس عقارب الساعة، والمجرات بأكملها تدور عكس عقارب الساعة، أي أنه عندما نطوف حول الكعبة نطوف مع الكون كله نسبح الله في اتجاه واحد.
وتتوحد جميع مخلوقات الله بتسبيح الله سبحانه وتعالى، وعند الطواف بالكعبة فإننا نكون بذلك قد طفنا في الأرض التي طاف بها أنبياء الله جميعًا، من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ.

أيمن سعد

فهرس مخطوطات مكتبة السليمانية في إستانبول

صدر حديثًا فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في (مجموعة السليمانية)، وهي إحدى مجموعات المكتبة السليمانية في إستانبول، والتي تضم أكثر من مائة مجموعة من المجموعات التي كانت موزعة على مكتبات وجوامع ومدارس إستانبول، وقد عرض الفهرس في دار المنهاج السعودية، وهو الفهرس الثاني الذي يصدر عن مؤسسة سقيفة الصفا العلمية، التي أصدرت سابقًا فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية النمساوية في مجلد واحد.
وقد تبين لي أن دار المنهاج تتولى توزيع إصدارات سقيفة الصفا العلمية، التي تعنى بالتراث الإنساني والإسلامي والعربي، ومن أنشطتها فهرسة مخطوطات التراث والمحافظة عليها، وهي تتولى حاليًا فهرسة مكتبة الأزهر في مصر أيضًا.
يقع هذا الفهرس في ثلاثة مجلدات فاخرة، ويتألف كل مجلد من ٧٢٦ صفحة، وقد كتب تقديم هذا الفهرس مدير مكتبة السليمانية أمير أش، وأعد الفهرس الدكتور محمود السيد الدغيم.

خالد عزب

المحرر: الأستاذ خالد عزب، نشكر لك حسن متابعتك لما يصدر من موسوعات قيمة، ولولا ضيق المساحة لنشر عرضكم القيم كاملًا، ولكن عزاءنا أن يستفيد القراء من تلك اللمحة السريعة، ويتابعون بأنفسهم تلك الذخائر.

ردود سريعة

– الكاتب خالد رزق تقي الدين: وصلنا مقالكم المتميز عن الشيخ أحمد صالح محايري، وبالكشف عنه اتضح أنه سبق نشره في أحد المواقع الالكترونية، لذا يرجى– عند إرسال مواد إلى المجلة– الحرص على عدم نشرها في جهة أخرى، وفي انتظار مساهمات جديدة حصرية.
– صاحب قصيدة «إلا رسول الله»: لقد نسيت ذكر اسمك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، وجدنا أن القصيدة جيدة لكنها باللغة العامية، والمجلة تكتفي بنشر المواد المكتوبة بالفصحى فقط.
– الشاعر محيي الدين عطية: وصلتنا مساهمتكم الشعرية بعنوان «خير المهور»، لكنها مقطوعة (٥ أبيات فقط)، نحن في انتظار قصائد أخرى مكتملة التجربة الفنية، ليمكن نشرها في متن المجلة أو بريدها.
– د.صادق أمين: بحثكم المرسل بعنوان «دور القاعدة والفكر التكفيري الخارجي في تشويه صورة الإسلام» يقع في ١٦٦ صفحة وبالتالي، لا يمكن نشره بين طيات المجلة، ولكنه جهد محمود.. لا مراء في ذلك.
– الكاتب محمد فؤاد علي: مقالكم «عبدالله القصار فنان السواحل الكويتية» يصلح لمجلات تهتم بالشأن الفني أكثر مما يصلح لمطبوعتنا.

القراء الأفاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دومًا.

ينابيع المعرفة

إعداد: تركي النصر

تحسين الصوت بالقرآن

فإذا حسّن الرجل صوته بالقرآن- كما كان السلف يفعلونه- مثل أبي موسى الأشعري وغيره، فهذا حسن، وأما ما أحدث بعدهم من تكلّف القراءة على ألحان الغناء، فهذا ينهى عنه جمهور العلماء؛ لأنه بدعة، ولأن ذلك فيه تشبيه القرآن بالغناء.

(جامع المسائل لابن تيمية ٣/٣٠٥)

رق القلب وعبوديته

من كان متعلقًا برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له.. إذ الرق والعبودية في الحقيقة: هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده.

(طريق الوصول إلى العلم المأمول للسعدي ص ١٨)

أول من ترجم القرآن إلى اللغة الأردية

«رفيع الدين الدهلوي» الهندي أصلا، الدهلوي ولادة وإقامة، الملقب بمولانا شاه.

فقيه حنفي، محدث، كلامي، أصولي، تولى الإفتاء بدهلي، ألف بالعربية والفارسية والأردية، له أول ترجمة للقرآن الكريم إلى الأردية.

(معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين)

الحلم عند العرب

سئل الأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: تعلمته من قيس بن عاصم المنقري. حضرته يومًا وهو محتب يحدثنا، إذ جاءوا بابن له قتيل وابن عم له كتيف، فقالوا: هذا قتل ابنك هذا! فلم ينقطع عن حديثه، ولا حل حبوته، حتى فرغ من الحديث، فالتفت إليهم وقال: أرعبتم الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بني، نقصت عددك، وأوهنت ركنك، وفتت في عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت إلى قومك. ثم التفت إلى قومه وقال: أين ابني فلان؟ فوقف بين يديه. فقال له: يا بني، قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة لأنها غريبة؛ لعلها تسلو عنه.

(الحديقة لجب الدين الخطيب ٣/١٢٦٦)

من روائع الحكم

- قال معاوية رضي الله عنه: لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي.
- وقال عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما-: القرابة تقطع، والمعروف يكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.
- وقال عبدالله بن الزبير- رضي الله عنهما-: ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم.

(الحديقة لجب الدين الخطيب ٣/١٢٦٩)

أنواع الهجر

ذكر الله تعالى في القرآن: الهجر الجميل، والصفح الجميل، والصبر الجميل، وقد قيل:

١- إن الهجر الجميل هو: هجر بلا أذى.

٢- والصفح الجميل: صفح بلا معاتبة.

٣- والصبر الجميل: صبر بغير شكوى إلى مخلوق.

(العبودية لابن تيمية ص ٦٩)

أهل الفضل والسلامة

« .. وأما أهل الفضل فيمسكون عن المدح والذم في المشاهدة، ويثنون بالخير في المغيب، أو يمسكون عن الذم، وأما العيابون البرآء من النفاق والقحة (الوقاحة)، فيمسكون في المشهد، ويذمون في المغيب، وأما أهل السلامة فيمسكون عن المدح وعن الذم في المشهد والمغيب».

(مداواة النفوس)

توقير أهل الحديث

لم يزل أهل العلم في القديم والحديث يعظمون نقلة الحديث، حتى قال الشافعي- رحمه الله تعالى-: إذا رأيت رجلًا من أهل الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي ﷺ.

(الفتاوى لابن تيمية ١١/١)

المصطلح العرفي

العقود يرجع فيها إلى عرف الناس، فما عدّه الناس بيعًا أو إجارة أو هبة؛ كان بيعًا أو إجارة أو هبة، فإن هذه الأسماء ليس لها حدّ في اللغة والشرع، وكل اسم ليس له حد في اللغة والشرع؛ فإنه يرجع في حده إلى العُرف.

(الفتاوى لابن تيمية ٢٢٧/٢٩)

دليل الفطرة

.. ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما.

(مدارج السالكين لابن القيم ٦٠/١)

يرد على الجميع

لم يكن لعلي بن محمد السخاوي المقرئ (٦٤٣ هـ) شغل إلا العلم، قال ابن خلكان: رأيته مرارًا راكبًا بهيمة إلى الجبل، وحوله اثنان وثلاثة يقرأون عليه في أماكن مختلفة دفعة واحدة، وهو يرد على الجميع .

(نوادر الفوائد - ١ / ١٤)

ناسخ الحديث ومنسوخه

قال العلامة ابن كثير: «قد صنف الناس في ذلك كتبًا كثيرة مفيدة، من أجلها وأنفعها: كتاب الحافظ الفقيه أبي بكر الحازمي رحمه الله.

وقد كانت للشافعي- رحمه الله- في ذلك اليد الطولى، كما وصفه الإمام أحمد بن حنبل، ثم الناسخ قد يُعرف من رسول الله ﷺ كقوله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» ونحو ذلك.

وقد يُعرف ذلك بالتاريخ وعلم السيرة، وهو من أكبر العون على ذلك، أما قول الصحابي: هذا ناسخ لهذا، فلم يقبله كثير من الأصوليين، لأنه يرجع إلى نوع من الاجتهاد، وقد يخطئ فيه، وقبلوا قوله: هذا كان قبل هذا، لأنه ناقل، وهو ثقة مقبول الرواية».

(اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير)

الحرية والحريات الأساسية

أحمد مبارك سالم
كاتب بحريني

منذ قديم الأزل وعلى مر العصور كان تعبير الحرية وتفسيره موضع بحث واهتمام الفلاسفة، حيث دأبوا على محاولة التوصل إلى مفهوم دقيق يكون من شأنه وضع حدود واضحة للتصرفات التي يجوز للإنسان أو يسمح له بالتصرف في إطارها وفقًا لرغباته، وبما يحقق مصالحه.

وقد قام بعض الفلاسفة الإسلاميين بدراسة الحرية من منظور إرادة أو مقدرة الإنسان على الاختيار بين البدائل، ويرجع هؤلاء الفلاسفة الحرية إلى أنها هبة الله التي أنعم بها على البشر للاختيار بين البدائل المتاحة لهم.

إن الشريعة الإسلامية جاءت لتحافظ على كرامة الإنسان كمبدأ أساسي، خاصة فيما يتعلق بحقوق وحرية جميع البشر (الحريات العامة)، وذلك بصرف النظر عن أجناسهم أو معتقداتهم، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الحرية الفردية منظمة شرعًا بطريقة تمنع وقوع تعارض مع فرصة الآخرين للتمتع بمثل هذه الكرامة الإنسانية. إن الإسلام جاء باحترام الشخصية الإنسانية، والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية، وبذلك فإن الشيخ محمد أبوزهرة يفسر الحرية بأنها كلمة أخذت من وصف الحر، فالحر والحرية متلاقيان في المؤدى، وإن كانت الحرية وصفًا، والحر موصوفًا.

وإذا كان مفهوم الحرية الشرعي يتأطر ضمن تعاليم الإسلام حفاظًا على إنسانية الإنسان في ممارساته وسلوكاته، فإنه يختلف عن تلك الحرية التي نشأت في النظامين– الرأسمالي الديومقراطي والاشتراكي الشيوعي–، حيث يتفق كل منهما على إعطاء الإنسان حريته الشخصية يتصرف بها كيف يشاء، وعلى نحو ما يريد، وذلك ما دام في هذا التصرف سعادة له، دون النظر إلى كون تصرفه اعتداء على حريات الآخرين، وهو توجه يختلف عن حدود الحرية في منظومة الفكر الإسلامي، والتي تتقيد بالأحكام الربانية التي تؤطر مصلحة الإنسان في الآن والمستقبل.

وبالنظر إلى المعنى العقلي للحرية، فإنها تتمثل في القدرة على التفكير الباطني دون أثر للقوالب الذهنية المفروضة على المجتمع، والقدرة على التحرر من الخوف الداخلي حتى يصبح الإنسان هو ذاته لا غيره، وأن يكون مظهره حقيقته. كما تتضمن الحرية القدرة على التعبير عن الرأي وصياغته في قضايا يمكن فهمها والرد عليها والتحاور بشأنها، وليس مجرد التعبير عن رغبات وتمنيات.

ومن دلالات مفهوم ومصطلح الحرية أنه تعبير عن القدرة على الانسلاخ من الشائع، وإنقاذ الذهن من المتعارف عليه، والعود إلى الذات الحر الأصيل الذي يضع المسائل منذ البداية.

ويعتبر مبحث الحريات العامة من أهم مباحث القانون الدستوري الذي يعد بدوره أب القوانين.إن مبحث الحريات العامة يهتم بالحريات الأساسية التي يخولها الدستور للمواطن، ويصونها له ضد التجاوزات، ومختلف ضروب التعسف التي قد يتعرض لها، سواء من قبل الأفراد أو من قبل السلطة، كما تشير الحريات العامة إلى مجموع الحقوق الأساسية والفردية والجماعية للإنسان والمواطن في الدولة.

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

فلاشات الحج
التلفزيونية

جميلةٌ تلك المشاهد.. غاليةٌ تلك الساعات..
عظيمةٌ تلك الأيام.. يباهي الله بها ملائكته..
فهنيئاً لمن سرى قلبه..داعياً رب السماوات..

اطلب نسختك الآن..

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات
بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦
تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com

DVD VIDEO
عربي / انجليزي

إدارة الإعلام الديني
RedAwqaf

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

«الوعي الشبابي» مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فيصل يوسف العلي

البريد الإلكتروني
info@shabab.alwaei.com

للتواصل زوروا موقعنا
www.shabab.alwaei.com